

# في محراب فاطمة عليها السلام

الشيخ حسين كوراني



# الإهداء، ..

إلى كل موحد عمر قلبه حب الله تعالى..  
أو عقد القلب على الحب جاداً في الوصول إليه..  
مدركاً أن السبيل هو اتباع المصطفى الحبيب ﷺ.  
والمقياس.. رضا الصديقة الكبرى.  
وإلى روح الإمام الخميني، وشهداء المقاومة الإسلامية في  
كل مكان..  
أقدم هذه الكلمات..



## المقدمة..

هذه دروسٌ أُلقيت في الشام (مصلى السيدة زينب عليها السلام) في أعوام ١٤١٧ - ١٨ - ١٩ هجرية . ضمن سلسلة أسبوعية، مساء كل جمعة تحت عنوان «أساسيات في الفكر والسلوك» .

وقد أعدتُ النظر فيها محافظاً على طابع الحديث العام . . كما أعدتُ كتابة الحديث الرابع، وأضفت في آخر الدروس موضوع «آداب ولايتها عليها السلام . . وأخطر الحجب» للتوسُّع في ما كان تم تناوله باختصار، وقد اشتمل على تحقيق حول ملحق الخطبة الفاطمية .

من سمات الحديث العام ذكر خلاصة ما تقدم . . لينسجم السامع الجديد مع الجو . .

ومن سماته تكرار استحضار المفصلات الأساسية التي ينبغي التأكيد عليها خاصة عندما تمس الحاجة إلى ذلك . . وقد كان ظرف هذه الدروس يستدعيه بالحاح . . . وفي هذا ما يجيب على بعض تساؤلاتك وأنت تتابع هذه الأوراق فقد كان أكثر المستمعين من زوّار عقيلة الوحي الصديقة الصغرى عليها السلام القادمين من بلدان شتى . . مما يفرض طبيعة متسائلة ومتحركة في جمهور المستمعين . . وطريقة مستجيبة لذلك في تقديم المادة . .

وحيث أن النقاط المنهجية . . تحظى بحيز هام في ما ستقرأ . . ونظراً لأهمية البحث في المنهج . . فقد تبلورت فكرة كتابة مستقلة حول مقاربة مكانة المعصوم، والنص . .

وهو سبحانه المرجو أن يجعلهما خالصين لوجهه الكريم . . ليكونا مساهمة في نقل الاهتمام من الشخص إلى المنهج ومن القول إلى المنطلقات . . وفيها تكمن الخطورة . . وهي المستهدف أولاً وبالذات . . طلباً لرضا الله تعالى . . والحمد لله رب العالمين .

حسين كوراني

بيروت: ١٣ شعبان ١٤٢٢هـ

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أَلحمد لله رب العالمين،  
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا ونبينا نبي الرحمة  
والهدى أبي القاسم محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين  
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

السلام على سيدنا ومولانا قائدنا وهدانا ونور أبصار  
الورى والبصائر بقية الله في الأرضين صاحب العصر والزمان  
عجل الله تعالى فرجه الشريف والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله  
تعالى وبركاته<sup>(١)</sup>.

---

(١) افتتاح الأحاديث.

(I)

## أجواء الولادة وخطورة «المنهج» السائد

\* تمهيد . .

\* فرادة السرور . . والغربة . .

\* نموذج من كلمات العلماء الأعلام . .

\* ما معنى وجه الله؟ . .

\* على روح العصر أن تنسجم مع الإسلام . .

\* تحدث أمها وهي جنين . .

\* أشرقت الأرض بنورها .



## (١)

في أجواء ذكرى ولادة مولاتنا الزهراء عليها الصلوات الرحمن لا بد أن تكون الوقفة على عتبة قرة عين الرسول ﷺ.

وقبل حديثين، وبمناسبة شهادة مولاتنا ﷺ، وقفت على أعتابها. ولكن.. هل يمكن لمناسبة تقترن باسم الزهراء ﷺ أن تمر بنا دون الوقوف في رحاب عزيزة المصطفى الحبيب وقرّة عينه؟

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره هو المسك ما كررته يتضوع يدعو إلى ضرورة الوقوف كثيراً بباب الزهراء أن معرفتها هي معرفة الله عز وجل، ومعرفة المصطفى الحبيب والأئمة جميعاً، معرفة الزهراء دين ينبغي أن يعقد القلب عليه. صحيح أن معرفتها كما ينبغي.. أو فقل: «حق معرفتها» لا يتاح إلا لمن آتاهم الله تعالى ذلك، ولكن.. صحيح أيضاً أننا نتدرج في سفح نتصور أنه معرفة الزهراء، فنذكر على الأقل ملامح من هاتيك العظيمة التي تداخلت منزلتها مع منزلة رسول الله ﷺ...

في البداية أيها الأحبة.. كيف ينبغي أن ندخل إلى مجلس الزهراء؟ عند ولادتها.. كيف كان الجو في مكة؟

وهذه الأيام.. كيف هو الجو في السماء وفي الأرض عند الذين يعرفون الزهراء ٠٠ كيف هو جو مولاتنا زينب عليها صلوات الرحمن وهي تستقبل ذكرى ولادة أمها الزهراء؟.. هل يشبه ما في السماء من احتفال بذكرى ولادة الزهراء ما تحدثنا عنه الروايات عن ذلك الاحتفال السماوي العجيب عندما سطع نور الزهراء، وإذا بذلك النور الزاهر في الجنة ولم يُعهد من قبل، وإذا بالملائكة يتعجبون: ما هذا النور؟ فيأتيهم الجواب أنه نور الزهراء ﷺ.

في مطاوي الحديث سوف أورد بعض النصوص التي توضح لنا هذه

الحقيقة . أريد في البداية أن نعيش معاً هذا الجو العام الذي عاشته مكة . . وبيت المصطفى الحبيب، وعاشه رسول الله ﷺ نفسه ومعه خديجة أم المؤمنين . . رضوان الله تعالى عليها . تلك الفرحة الغامرة التي كانت بَدراً فاطمياً سطع نوره في ذلك الظلام المقيم . . ظلام تلك الغربية الدامسة التي كانت تسد الآفاق . كانت الجاهلية مطبقة . . بُعث المصطفى الحبيب ﷺ وبدأت رحلة المعاناة .

في أجواء هذه المعاناة كانت ولادة الزهراء .

كيف كانت معاناة مولانا خديجة التي اختارت رسول الله ﷺ؟ ألا نقرأ في كتب التاريخ والسيرة أن نساء قريش قاطعنها فلم تعد واحدة منهن تكلمها . . كنّ يمنعن أية امرأة تريد الدخول إليها . . إذاً، ليست الغربية فقط هي تلك الغربية التي عاشتها الزهراء ﷺ في الدنيا، ولا تلك الغربية التي عاشتها الزهراء ﷺ على أبواب شهادتها، ولا فقط تلك الغربية التي عاشها أمير المؤمنين وأهل البيت عندما شُيعت الزهراء في غربة . . وفي ظلمة الليل، وإنما ولدت الزهراء غريبة، وعاشت غريبة، واستشهدت غريبة، وشُيعت غريبة، ولم يعرف قبرها إلى الآن . . «وطوبى للغرباء» .

غربة الزهراء غربة الحق، ولا يمكن للحق أن يحظى بإجماع الناس عليه . . وقليل ما هم

أيها الحبيب . . الحق ثقيل مرّ . . «حَفَّت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات» . طريق النار سهل! ما أشد ما نسرع فيه ثم نحاول أن نلجأ إلى ركن ركين ليعصمنا الله عز وجل .

بدأت غربة الزهراء ﷺ قبل ولادتها . . رأت غربة أمها فكانت تحدثها (كما سيأتي معنا إن شاء الله تعالى) .

في هذا الجو سطع نور الزهراء ﷺ .

تصور أيها الحبيب فرحة رسول الله ﷺ! التي يمكن القول إنها لم تكتمل . . كأني به ينظر إلى الزهراء وينظر إلى ما سيجري عليها من بعده، كما فعل بأبي عبد الله الحسين ﷺ عندما أخذه من يد أم أيمن . . قال: «عزيز

عليّ أبا عبد الله» يذكر المولى عبد الله الرضيع في يوم ولادة أبي عبد الله الحسين . . .  
إذا كان المؤمن ينظر بنور الله تعالى . . فكيف بالمعصوم . . وكيف إذا بمن هو  
سيد المعصومين جميعاً ومن علمه مظهر علم الله تعالى .

طبيعي جداً أن الفرحة قد شابها الحزن . فاطمة . . هذه العظيمة التي سمعتم  
قول الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه عنها: «لو كانت رجلاً لكانت نبياً»،  
أعني لو فرضنا أن الرسول ﷺ لم يبعث وكانت هي موجودة فبالإمكان أن تكون  
الزهراء نبياً . . أي أن عظمة الزهراء متداخلة مع عظمة رسول الله ﷺ ، ومع  
عظمة أمير المؤمنين الذي هو نفس رسول الله ﷺ كأني به ﷺ يفرح . . ثم  
يشوب فرحه الحزن، ولكن المورد في النتيجة مورد فرح وشكر للنعمة الإلهية  
العظمى . . وما أدراك ما فاطمة؟

تصوّر أيها الحبيب فرح مولاتنا خديجة رضوان الله تعالى عليها، تصوّر فرح  
أبي طالب . . وفاطمة بنت أسد، تصوّر لو أن والدي رسول الله ﷺ موجودان  
آنذاك . . كم هي فرحتهما، وكم هي فرحتهما في العالم الآخر!!

كيف ندخل إلى مجلس التبريك . .

نريد أن ندخل إلى مجلس التبريك بذكرى مولاتنا . . بجوار مولاتنا  
زينب عَليَها السَّلَام . . الذي يدخل إلى بيتٍ وُلِدَ فيه مولود . . كيف يدخل؟ صحيح أننا  
نتحدث الآن بعد أربعة عشر قرناً . . ولكن العظماء بتمحضهم في الله تعالى فوق  
المكان والزمان ولا يستطيع الموت أن يطويهم (أوليائي تحت قبابي لا يموتون  
وإنما يُنقلون من دار إلى دار). هذه الأيام ذكرى الولادة، والسماء في بهجة، ومن  
في الأرض ممن يعرفون الزهراء في فرحة، المولى صاحب العصر والزمان  
عجل الله تعالى فرجه الشريف في سرور، لذلك تزف التهاني في مثل هذه الأيام .  
ماذا نقدم ونحن نريد أن ندخل إلى مجلس التبريك؟ ما هي هديتنا؟ ألا يأخذ  
الشخص معه هدية عندما يدخل إلى بيت ولد فيه مولود؟ ما هي الهدية التي  
نقدمها؟ سأقترح عليكم هدية آمل أن تنفعنا نفعاً كبيراً . نأمل أن لا يرد لنا معها  
طلب بإذن الله عز وجل . . ليلتزم كل شخص منا بهديه ألف مرة «اللهم صل على  
محمد وآل محمد» ولنبدأ بواحدة منها . صلوا على المصطفى الحبيب وآله .

ليلتزم كل منا بألف مرة: «اللهم صل على محمد وآل محمد» هدية منه إلى المولى عبد المطلب<sup>(١)</sup>، والمولى أبي طالب، ومولاتنا فاطمة بنت أسد، ووالدي رسول الله عبد الله وآمنة، وكذلك إلى مولاتنا خديجة، وإلى مولاتنا زينب، وإلى مولانا حمزة عم رسول الله ﷺ.

حتى إذا لم تتذكر الأسماء كلها. . لتكن نيتك هذه الأسماء التي ذكرتها لك. . لنتزم بتقديم هدية ألف مرة «اللهم صل على محمد وآل محمد» إلى هذه الأرواح الطاهرة، والذي يمكنه أن يستزيد فيقدم لكل شخص منهم ألف مرة «اللهم صل على محمد وآل محمد» فستكون هديته أفضل بالتأكيد، لكن لا أقل من أن نشاركهم فرحتهم مشاركة ملموسة.

أيها الحبيب. . بعد هذا التمهيد أريد أن أذكر لك نموذجين من كلمات بعض علمائنا الأعلام وهم يتحدثون عن الزهراء عليها السلام:

النموذج الأول: لآية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني المعروف بالكمباني أو الغروي.

من هو آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني؟ هو العالم الجليل والفيلسوف الإسلامي الكبير - الذي يفتخر السيد الطباطبائي صاحب «تفسير الميزان» بأنه تتلمذ على يده ست سنوات. . والسيد الطباطبائي يعتبر فيلسوف الإسلام في هذا العصر - يعتبر أن الله عز وجل منّ عليه بلطف خفيّ فوقّ للتلمذ على يد هذا العالم. .

هذا العالم الجليل له قصائد في أهل البيت. . في المصطفى الحبيب وآله الأطهار. وقصائده تكشف عن لغة علمائنا. . هذه اللغة التي يتحدث بها الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه، والتي يتحدث بها الشيخ المفيد رضوان الله

---

(١) قال الشيخ الصدوق عليه الرحمة: اعتقادنا في آباء النبي ﷺ أنهم مسلمون من آدم إلى أبيه عبد الله، وأن أبا طالب كان مسلماً وأمه آمنة بنت وهب كانت مسلمة، وقال النبي ﷺ: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم»، وأضاف الشيخ الصدوق: وروي أن عبد المطلب كان حُجة وأبا طالب كان وصيه. . الشيخ المفيد، الاعتقادات، ص ١١٠.

عليه، والتي وردت في كتاب «الكافي» وفي كتاب «بصائر الدرجات» أو في كتاب «الاختصاص» للشيخ المفيد أو المنسوب إليه، وغيرها من المصادر.

ولكي لا تتبادر إلى الذهن شبهة ضعف الاستشهاد بالشعر في مثل هذه المواضيع الحساسة أوضح أولاً إن شعر العالم المحقق والفيلسوف المدقق والعلم الرباني يختلف عن شعر غيره.. فهو لا يطلق الكلام جزافاً.. بل بلحاظ أنه مسؤول عن دلالة كل كلمة يقولها.. خصوصاً عندما يكون المضمون الذي يصدر منه هو ما ورد في الروايات كما تجد في ما يأتي.

واستحضر في ذهنك استشهاد المصطفى الحبيب بشعر لبيد.. ومدحه لمضمونه واعتباره أفضل كلمة قالها الشعراء.. مردداً قوله: ألا كل شيء ما خلا الله باطل إلخ.. ولا تنس أن المورد هنا ذكر نماذج من كلمات علمائنا الأعلام.. وللحديث الاستدلالي سياق آخر.

في قصيدته حول الصديقة الكبرى عليها السلام من ديوانه «الأنوار القدسية» يقول آية الله الأصفهاني قدس سره:

جوهرة القدس من الكنز الخفي<sup>(١)</sup> بدت فأبدت عاليات الأحرف  
إلى أن يقول:

بل هي أم الكلمات المحكمة في غيب ذاتها نكات مبهمة  
أم أئمة العقول الغرّبل أم أبيها<sup>(٢)</sup> وهو علة العلل  
روح النبي في عظيم المنزلة<sup>(٣)</sup> وفي الكفاء كفؤ من لا كفؤ له<sup>(٤)</sup>  
وحبُّها من الصفات العالية عليه دارت القرون الخالية

(١) إشارة إلى الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً»، الفصول المهمة للحر العاملي، ص ١٤٨.

(٢) ليست أم الأئمة فقط وإنما هي أم أبيها، كما ورد في الحديث النبوي المشهور.

(٣) «فاطمة روعي التي بين جنبي»: لا تعني أن فاطمة هي ابنتي وأحبها فقط.. لا، وإنما هي روعي في عظيم المنزلة.

(٤) «لولا علي لما كان لفاطمة كفؤ من آدم فما دونه». المحجة البيضاء ٤/ ٢١٠ وهو مضمون عدة روايات.

وليس في محيط تلك الدائرة مدارها الأعظم إلا الطاهرة  
حجابها مثل حجاب الباري بارقة تذهب بالأبصار  
إلى أن يقول:

دنت إلى مقام «أو أدنى» فلا تبتغ من ذلك أعلى مثلاً<sup>(١)</sup>  
إلى أن يقول:

بل وجهها الكريم وجه الباري وقبلة العارف بالأسرار<sup>(٢)</sup>

الزهراء، وجه الله عز وجل . . ما معنى هذا المصطلح؟ ما معنى أن أهل  
البيت وجه الله تعالى؟ الروايات كثيرة بمضمون «نحن وجه الله». وفي دعاء الندبة  
مثلاً نقرأ عن الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف: «أين  
وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء؟ ما معنى وجه الله؟ عظمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ في  
هذا النص كما لاحظتم، وفي آخر بيت ذكرته يوجد مصطلح «وجه الله». دعونا  
نقف بعض الشيء عند هذا المصطلح.

أولاً: ما هو الوجه؟ إنه الجزء المشرف في الإنسان الذي إذا أردت أن تخاطب  
إنساناً فإنك تواجهه، فإذا أراد الإنسان أن يخاطب الله عز وجل - والله سبحانه وتعالى  
منزه عن الجسمية - فإلى من يتوجه؟ يتوجه إلى رسول الله . . إلى الزهراء . . إلى أمير  
المؤمنين وأهل البيت، وليس غيرهم أحد يُتوجه به إلى الله عز وجل . .  
هذا تقريب للمعنى . .

تقريب آخر: الوجه يستعمل في اللغة العربية بمعنى الجهة؛ أنت أرسلت  
إنساناً إلى مكان . . يذهب هذا الشخص ويقول: ذهبت في الوجه الذي وجهني  
إليه أبي . . أو فلان. وهو تعبير مستعمل في اللغة العربية . . «في الوجه الذي  
وجهتني إليه»، مثلاً: في رسالة الشهيد مسلم بن عقيل رضوان الله عليه . . أو في  
رسائل أخرى نجد هذا النص: «الوجه الذي وجهتني فيه» أو إليه، إذا . . الوجه:

---

(١) مقام الزهراء دنا إلى مقام رسول الله . . مقام «قاب قوسين أو أدنى» . . فهل ستجد سمواً  
فوق هذا السمو؟

(٢) الشيخ الأصفهاني، الأنوار القدسية، ص ٢٦.

جهة . رسول الله ﷺ وأهل البيت جهة الله ، الجهة التي تؤدي . . وتوصل إلى الله عز وجل . . والتي من أتاها فقد أتى الله تعالى .

تقريب آخر: وجه الشيء أو وجه القوم: هو الوجيه في القوم، فلان وجه القوم . كان الشيخ الصدوق وجه العلماء في زمانه، أو وجه الطائفة، كما في بعض التعابير، فلان وجه من الوجوه المعروفة، ألا يقال ذلك؟ وجه القوم أي هو وجيه القوم، أي هو الموجّه عند هؤلاء القوم، وجه الله: الوجيه عند الله: الموجّه عند الله . مصطلح وجيه موجود في القرآن الكريم: «وكان عند الله وجيهاً» .

إذا . . مصطلح «وجه الله» يمكن أن يفسر تفسيرات كثيرة، وكلها مقبولة، فلماذا يضيق صدرنا عندما نسمع هذا المصطلح؟

أو هناك تقريب آخر: وجه الشيء الذي إذا كشفته لم تجد تحته إلا هذا الشيء . أي هناك وجه، وما تحته هو هذا الشيء هذه الحقيقة المعينة . يقول أحد مراجعنا الأعلام ما خلاصته:

رسول الله ﷺ . . وجه الله، بمعنى أنه فني في الله عز وجل، يعني: في الظاهر فقط يوجد عنوان محمد، لكن هذا العنوان . . عنوان محمد ﷺ يشير إلى الحقيقة الإلهية ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾، الزهراء كذلك، أمير المؤمنين كذلك، كل إمام من الأئمة المعصومين كذلك .

يشرح هذا المرجع الجليل هذه الفقرة من رواية عن الإمام الصادق ع عليه السلام، يقول فيها: «وإنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها» . ذكرت في الحديث السابق أن هناك رواية أخرى غير هذه الرواية، أنها «سميت فاطمة لأن الله فطمها وفطم محبيها وشيعتها عن النار» . وهذه غيرها . يقول هذا المرجع: لقد فنيّت هذه الثلة الطاهرة (المصطفى الحبيب وآل البيت) في الله عز وجل وقد برهن على أن أحكام المفنيّ فيه تلحق الفاني، وتنقلب بعد الفناء أحكام الفاني إلى أحكام المفنيّ فيه، بمعنى أنه لا يعود ثمة عليّ ولا فاطمة ولا حسن ولا حسين ولا يبقى إلا وجه الله<sup>(١)</sup> .

(١) آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني، مقتطفات ولائية، ص ١٠٣، ترجمة ابن نخي، الطبعة الأولى .

ذكرت في حديث سابق<sup>(١)</sup> مثال الحديد المحماة بالنار . . الحديد عندما تزول خصوصياتها وتصبح كأنها جمرة لطول بقائها في النار فتكون قد فنيت في النار، وانتقلت إليها أشكال النار وخصائصها ولكنها ما تزال حديدة . . لا تخرج عن كونها حديدة . كذلك شدة القرب من الله عز وجل تجعل المخلوق . . العبد بحيث تنتقل إليه الخصوصيات الإلهية التي يمكن أن تنتقل، إلا أنه يبقى عبداً، ويبقى الله عز وجل السبب لكل شيء، ومصدر كل شيء، لا حول ولا قوة إلا به ومنه. روي عن الإمام الصادق عليه السلام : «لنا مع الله حالات . . هو فيها نحن، ونحن فيها هو، وهو هو، ونحن نحن»<sup>(٢)</sup> .

لا يقولن أحد: لا يصح أن تُطرح هذه المفاهيم على الناس . . فالقرآن الكريم طرحها: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ .

اليد في بيعة الشجرة يد رسول الله ﷺ ، إلا أن الله عز وجل يقول عنها: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ . الذي ينطق . . الذي كان يتكلم هو رسول الله ﷺ ، إلا أن الله عز وجل يقول لنا: كلامه كلامي: ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى﴾ .

عظمة الزهراء ينبغي البحث عنها في مطاوي البحث عن عظمة رسول الله ﷺ ، في هذا الموقع المتقدم . إذا جئنا إلى أجواء مولد الزهراء عليها السلام في مكة فإننا نجد نصاً يحدثنا بخصوصيات أريد أن أقدم لها ببعض الملاحظات:

أيها الأحبة . . تعرفون أن هناك منهجاً سائداً في كثير من الأوساط يرتكز إلى جملة من الثوابت بعضها متفق عليه إلا أن الخلل في تطبيقه يبلغ أقصى حدود الكارثة، والبعض الآخر ما أنزل الله به من سلطان . .

يقولون: ينبغي أن ينزه الإسلام عن الخرافات . . وهذا لإشكال فيه، لكن ما المراد بالخرافات؟ يقع الاختلاف . يقولون: لماذا نعرض الإسلام أمام الغرب

(١) هو الحديث الآتي فليلاحظ .

(٢) اللعة البيضاء للتبريزي الأنصاري، ص ٢٨، نقلاً عن الكلمات المكنونة للفيض الكاشاني، ص ١١٤؛ والإمام الخميني في مصباح الهداية، ص ٦٧ .

بطريقة لا يقبلها، لماذا نعرض الإسلام على الجامعيين والمثقفين بطريقة لا يقبلونها. . . إلى هنا قد نكون متفقين، فلا شك أن من واجبنا الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة. . . ولكن نسأل: ما هي برأيكم الطريقة التي يجب أن نعتمد. . . يقولون: إن علينا أن نتجنب الأمور التي تستفز استنكارهم. . . ونعتمد المنهج الذي يستهويهم ويقنعهم. . . ونسأل: هل هذا أسلوب أو منهج. . . هل هو هدف مرحلي لتشكيل القناعات الأولية مدخلاً إلى الدخول في العمق. . . إذا كان كذلك فلا مانع منه. . . بل هو المطلوب. . . «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق».

يقولون: ليست المسألة مسألة هدف مرحلي أو أسلوب. . . فالإسلام دين العقل، ويجب أن ينزّه عن الخرافات. . . وعن كل مظاهر الأمية في الخطاب الديني.

ويقال لهم: لنبدأ أولاً بالأمية في الخطاب الديني فهي حديث ذو شجون. . . حيث أن أكثر مفردات الخطاب الديني السائد تسيء إلى الدين. . . وتصد كثيراً من الناس عن دين الله أفواجاً.

نوافقكم الرأي في ضرورة إخضاع الخطاب الديني لتغيير جذري في الشكل والمضمون. . . والأداء. . . ولكن دعونا نتفق على المقصود من تنزيه الخطاب الديني عن الخرافات.

يقولون: المراد أن نعتمد العقل. . . والمنهج العقلي. . . ونحذر من كل ما لا يقبله العقل. . . خصوصاً الكرامات وسائر الغيبيات التي تدخل في المنهج الغيبي. . . ونحن في عصر تفتّح مدارك العقل وبلوغها الذروة. . . والإسلام دين العقل. . . فلماذا نُصِرَّ على طرحه بالطريقة التي تنفر الناس منه.

ونقول: بلى الإسلام دين العقل. . . ولا بد من أن نعتمد العقل والمنهج العقلي إلا أننا لا نوافقكم الرأي في أن المنهج الغيبي نقيض المنهج العقلي. . . ولا نوافقكم على أن الكرامات والغيبيات. . . بالمطلق، يجب الحذر منها. . . والدليل على الأول هو ما قلتموه ولم تلتزموا بمضمونه. . . من أن الإسلام دين العقل. . . فإن معنى ذلك أن الغيب هو في صميم العقل. . . لأن الإسلام دين الإيمان بالغيب. . . فكيف يمكن أن نفهم قولكم: إن المنهج العقلي نقيض المنهج

الغيبية؟! . . لا يمكن فهمه إلا على أساس أن من يرى رأيكم لا يعرف الإسلام . .  
ولا العقل . .

إن العقل الحجة شيء آخر غير المزاج، والوهم والخيال، والوقوع في أسر العادة والمألوف وما تصورتموه عقلاً ليس شيئاً غير هذه المفردات المتقدمة . . ورب مستغرب شديد الغرابة إلى أقصى الحدود يقوم عليه الدليل العقلي . . ثم إنكم تخلطون بين الغيب والخرافة . . ما يجب الحذر منه هو الخرافة وكل باطل . . أما الغيب الذي قام الدليل على وجوده فهو حق . . وأما المغيبات فينبغي اعتماد المنهج العلمي في التثبت منها . . والأخذ بما قام عليه الدليل والإعراض عما لم يعتضد به . . ورب أمر هو كالخرافة . . يكون الإيمان به دليل سلامة العقل . . ويأتي مزيد إيضاح إن شاء الله تعالى . . أما أن نرفض المغيبات بناءً على موقف مسبق يُسقط عليها جميعاً فإن هذا يتنافى مع الإيمان بالغيب عملياً على الأقل إن لم يكن عملياً ونظرياً . . وللتفصيل في ذلك مجال آخر .

وأذكر هنا بالمناسبة خلاصة تجربة ثقافية في لبنان . . فلقد أحدثت استجابة أهلنا النوعية والنادرة لخطاب الأمام الخميني رضوان الله تعالى عليه انقلاباً في موازين القوى داخل الساحة الإسلامية، كانت أولى تداعياته ثقافية . . وسرعان ماتجلى ذلك في ميادين الجهاد ضد العدو الصهيوني، عبر أولي الألباب المستنيرة بنور الله تعالى والقلوب الكبيرة التي تتسع لهموم المسلمين وسائر المستضعفين .

لم يكن هذا التحول الثقافي - السياسي - الجهادي ممكناً إلا في ضوء توفيق الله عز وجل لأهلنا للبحث عما يروي الغليل في رحاب نهج الأمام الخميني المرتكز إلى واقعية الإسلام وعقلانيته القائمتين على إحلال كل من الغيب والشهادة في موقعه الطبيعي، والتعامل معهما بحجميهما الحقيقيين . . فالواقع الموضوعي ليس غيباً فقط، وليس شهادة فقط وهذا هو الأهم، فلم يفتّر المدركون لأهمية الغيب يوماً على عالم الشهادة، في حين أن الفرية قائمة أبداً من (المدركين) لأهمية عالم الشهادة على الغيب والمغيبات .

إن إخراج عالم الغيب من عملية تثقيف الأمة يعني ببساطة الوقوع في وهدة الثقافة المادية العاجزة عن تحريك خلجة واحدة من مشاعر الإنسان في الاتجاه السليم .

ولا يعني ذلك على الإطلاق أي تساهل في اعتماد الضوابط الصارمة التي تمنع من تحويل ساحة الغيب المقدسة إلى ميدان لقطاع الطرق المشعوذين المستأكلين بادعاء المقامات! ذلك أن أولى العلامات الفارقة بين النجدين صدقة السر التي هي في العمق عبادة السر وطهارته التي تتوقف على عدم إخراج النفس من حد التقصير وعدم الاستحقاق، فضلاً عن التظاهر. . . وفضلاً عن قبيح منكر الأعداء. كان الجو الثقافي عندنا في لبنان، كما كان عليه - في الأعم الأغلب - في سائر بلاد المسلمين، حتى إيران نفسها. . . ضمن (المنهج الإسلامي المادي) وكان (الإسلام اللبناني) سبباً في التنازلات باسم (الإنفتاح) بحكم التركيبة اللبنانية النادرة التي كانت تقوم على قاعدتي تعدد الطوائف واعتبار لبنان قطراً غربياً اتفق وقوعه الجغرافي في الشرق، إنه بداية الغرب، وليس أحد ثغور الشرق من جهة الغرب.

لقد شكل تواصل أهلنا في لبنان مع الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه، مفصلاً ثقافياً بالغ الأهمية والآثار التي ما تزال فصولها تتوالى. . . فانطلقت عملية تثقيف من نوع آخر غير ما كان مألوفاً. . . وكان الجو مميزاً شديداً الاستقطاب بالغ التأثير. . . ولم يكن يخفى على المعنيين أن محاولات تبذل همساً، تحاول لجم هذه الاندفاع الثقافية الخمينية، وقد طال الهمس مفاصل في النهج الثقافي الأصيل، منها ما يرتبط بالصديقة الكبرى، وبسيد الشهداء، والأمام المهدي، وأهل البيت عموماً عليهم جميعاً صلوات الرحمن. . . - وأتعمد ترك التفاصيل - ولا أشك في أن أكثر تلك المحاولات - على الأقل - كانت صادرة عن حسن نية، وخلل منهجي خطير، بات من الواضح تماماً أن الأخطر منه تصور أنه ظاهرة فردية أو إفرادية، في حين أن بلاءه يكاد يكون مطبقاً، وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء. . . ولا ينافي ما تقدم أن لبعض الأفراد الدور الريادي في تنكب المنهج العلمي والعقلي والإصرار عليه، بدعوى الانتصار للعقل وذود الخرافة عن ساحة الدين.

وقد استمرت انحناء النهج الآخر بكل أطرافه حتى نهاية الحرب الأمريكية ببرقع عراقي ضد الجمهورية الإسلامية وقبول الإمام الخميني بالقرار ٥٩٨.

كانت المقاومة الإسلامية في ذروة من ذرى توهجها، والجهاد والشهادة فعل (الجمهور) لا (النخبة) إلا من غادر نخبويتها لمدعاة ليصبح من النخبة الحقيقية، عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً. . والثقافة المستجيبة لهذا الجو هي الثقافة النخبوية على مستوى الأسس والمنطلقات، الجماهيرية في طريقة العرض على قاعدة: الحقيقة لكل الناس، للجماهير، لا (للنخبة) فحسب. . وموقع القصة في إيصال الفكرة عبراً قصر الطرق موقع فريد يكشف عنه موقع القصص القرآني من كتاب الله تعالى. . وكانت تُطرح بعض القصص من قبيل القصص التي أوردها آية الله الشهيد دستغيب رضوان الله تعالى عليه في كتابه القيم «القصص العجيبة»، وهي قصص يشهد هذا العالم الجليل بأنه لم يورد منها في كتابه إلا ما تأكد من صحته. كان الجومقبولاً - إجمالاً - ثم بدأت أرى في بعض الفترات أن هناك من يتذمر من طرح هذه المسائل، وأنا على يقين أن السبب لا يرجع إلى الأسلوب أو إلى أن ما يطرح ليس صحيحاً واقعاً، بل يرجع إلى الخجل بكثير مما أمرنا أن نعتقد به ونجاهر بالحديث عنه. . إما بحجة (هل نربي الناس بالقصص) أو مخافة أن يسمع ذلك المسيحي وغير المسلم عموماً<sup>(١)</sup>!

وكان القائمون على الشأن الثقافي حريصين على أن تكون المادة الثقافية التي تقدم في وسيلة إعلامية، تلحظ تنوع المشارب. . إلا أن في صلب الحقائق الدينية ما لا يستسيغه الآخرون. . أليست القصص التي يسمعونها هؤلاء من خلال قراءة القرآن الكريم أكثر غيبية فهل نحذف القصص القرآنية التي تصدمهم وتثير استنكارهم؟! . . هل نحذف من القرآن الكريم قصة ضرب قتيل من بني إسرائيل بلحم البقرة فإذا به حيّ يقول: قتلني فلان؟

---

(١) الملفت جداً أن هناك محطة تلفزيون نصرانية في بيروت مخصصة للتبشير. . وهي تستفيض في ذكر المغيبات و«الكرامات» بل إن نسبة «الغيب» في هذه المحطة في زيادة وأطراد دائمين، دون أدنى تردد أو تلثم. . وفي إحدى المقابلات شارك رجل دين مسلم وآخر نصراني فأفاض النصراني في الحديث عن المغيبات. . أما المسلم فقال: لا اطلاع لي على هذا المجال. . وهو صادق وموضوعي في ذلك لأن «المنهج» السائد عندنا هو الانصراف عن لب الإيمان وعصبه. . والإعراض عن المغيبات بدلاً من التدقيق فيها.

هل نحذف من القرآن الكريم حديث الهدهد واكتشافه لعرش بلقيس، وكلامه التوحيدي العقائدي: ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾؟ ما هذا الهدهد العاقل الموحد؟! ربما يذهب شيخ إلى أمريكا أو أوروبا ويرجع منبهراً بالإنجاز المادي، لا يرى غيره، لكن هذا الهدهد أدرك الإنجاز المادي: ﴿أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم﴾. . . وبقي قلبه يدور مدار التوحيد ومقتضاه، لم يتأثر سلباً، فجزم بأنهم من حيث المعتقد - وهو الأهم - متخلفون. . .

هل نحذف حديث النملة: ﴿فتبسم ضاحكاً من قولها﴾؟ .

وأمثال لك كثير كما لا يخفى. . .

هل التركيز على ذلك ضرب من التخلف - والعياذ بالله - وليس تربية للناس بالقصة. . . وهل يجب أن نحذر أن يسمعه غير المسلمين.

قد يقال: ولكن هذا قرآن!! ولا يصح أن نقيس به غيره.

ولا إشكال في أن كل ماعدا القرآن الكريم ليس مثله، ولكن ألا يشكل ما في القرآن أصلاً ينبغي أن نؤسس عليه في التعاطي مع المغيبات.

ليست المشكلة أيها الحبيب في أن هذه الأمور الغيبية لم ترد في القرآن. . . فلذلك لا نقبلها، هناك حسن نية عند البعض يقترن بخلل منهجي فاضح يصل إلى حد الخجل من ذكر الغيب. . . بدعوى الواقعية والعقلانية!!

وبين إفراط الندرة وتفريط الأكثرية التي تتحمل مسؤولية ذلك الإفراط تقع الجادة الوسطى في التعاطي مع الغيب. . . ولا يعني الإفراط الكم، فهو مطلوب بما يتناسب مع حجم الغيب بالنسبة إلى عالم الشهادة، بل يعني المنهجية التي تنتظم المفردات في سلكها. . .

إما أن ننسجم مع عنواننا القرآني (المؤمنين بالغيب) الموقنين بأنه واقع موضوعي بل الواقع الموضوعي والشهادة ظله. . . وإما الروح الأنهزامية التي تستقوي بالخارج (الثقافي) وتداهنه إلى حد الغزل بمغزله والنسج على منواله، لتحظى بإطرائه.

إذا أردنا أن نطرح الإسلام بما ينسجم مع الغرب أو الغربيين أو أشباه «المثقفين والدكاترة» والمتفرنجين والعلمانيين، فلن يبقى من الإسلام شيء! يجب أن نطرح الإسلام كما هو . . وفي باب المغيبات نجد أن الله عز وجل يقول: هذا القرآن الذي يتلى في كل مكان . . اقرأوا فيه بأعلى الصوت، أعلى الصوت أن الله عز وجل أمات شخصاً مائة عام ثم بعثه وإذا بطعامه لم يفسد ﴿لم يتسنه﴾ . . وحماره (هكذا ومن يخجل فلماذا لا يخجل بدولي والثيران المستنسخة وفئران المختبرات) بلى الحمار دبت فيه الحياة من جديد ليري الله عز وجل صاحبه كيف يُنشز العظام ثم يكسوها لحماً . . يريدنا أن نقول هذا . . بملء الفم وأعلى الصوت في كل مكان، هذا هو المنهج القرآني .

ولا يعني هذا على الإطلاق أن نحدث الناس بما لا يقبلون، ونتركهم في حيرة، أو نحملهم على الرفض . .

بل المقصود أن نطرح الإسلام كما هو دون أن ندخل أمزجتنا، فالمطلوب وصوله إلى الناس هو دين الله تعالى وليس دين زيد وعمرو . . علينا أن نقول: هذا هو الإسلام، وندافع عنه، ونقربه إلى الأذهان بالحكمة والموعظة الحسنة، ليست الموضوعية أن نطرح ما نريد من الإسلام ونخفي ما لا نريد! ليس من دين الله في شيء أن نخفي كرامات رسول الله وأهل البيت بدعوى أنها لا تنسجم مع العقل .

ليس من الإسلام في شيء أن نخفي كل أحاديث المستحبات لأنها تحدثنا عن ثواب عظيم بحجة أن هذا لا يتقبله الكثير من الناس . . إن المشكلة فينا وليست في الناس . . يتقبل الناس الآن أن جائزة يانصيب تصل إلى مائة مليون دولار! فإذا كان شخص لا يتقبل أن صلاة ركعتين يمكن أن يحصل الإنسان من أجلها على ثواب عظيم هو مثلاً مئات القصور في الجنة، فإن علينا أن نقرب له المسألة بالطريقة المناسبة، لكن لا يجوز أن نحرف الإسلام فنخفي أكثره بحجة الحرص على الإسلام! ولقد أدى ذلك إلى سيطرة مقياس لا أساس له ولا سقف هو أن نطرح الإسلام بالطريقة الانتقائية والتجزئية التي تشوّه الإسلام!!

أيها الأحبة . . أكثر الأحاديث حول الزهراء عليها السلام لا يمكن أن تفهم بناءً على هذا المنهج السائد. سأذكر نموذجاً هذا النص . . وقد نقلته من «البحار» عن

«أمالي الشيخ الصدوق»، والنص عن الإمام الصادق عليه السلام، سئل كيف كانت ولادة فاطمة عليها السلام؟ فقال:

«نعم، إن خديجة عليها السلام لما تزوج بها رسول الله ﷺ هجرتها نسوة مكة، فكنن لا يدخلن عليها، ولا يسلمن عليها، ولا يتركن امرأة تدخل عليها [لاحظوا الغربية!]، فاستوحشت خديجة لذلك وكان جزعها وغمها حذراً عليه ﷺ [رغم أن خديجة رضوان الله عليها، مستهدفة بالمقاطعة.. فإن حذرها وخوفها على رسول الله ﷺ] فلما حملت بفاطمة كانت فاطمة عليها السلام تحدثها من بطنها وتصبرها..»<sup>(١)</sup>.

ماذا يقول الكثيرون عندما يسمعون هذا الحديث؟: هذا منافٍ للعقل.. منافٍ للمنطق السليم.

إذا كان الرفض ينطلق من دراسة السند فهو مجال للبحث، أما أن ينطلق من ادعاءات عريضة في الحادثة والتجديد فإن حادثة دين الله تعالى أولى بالاتباع من كل حادثة مدعاة أو حقيقية.

إن تكليفنا أن نطرح الإسلام كما هو بالدليل والبرهان والأسلوب الأمثل ويكون الهدف أن ينسجم العصر وتنسجم الحادثة مع الإسلام.

وبالعودة إلى النص: «.. تحدثها من بطنها وتصبرها، وكانت تكتم ذلك من رسول الله ﷺ».

«فدخل رسول الله ﷺ يوماً فسمع خديجة تحدث فاطمة عليها السلام، فقال لها: يا خديجة من تحدثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني. قال: يا خديجة.. هذا جبرئيل يخبرني أنها أنثى، وأنها النسمة الطاهرة الميمونة، وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة، ويجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقضاء وحيه. فلم تزل خديجة عليها السلام على ذلك (أي تحدث فاطمة وفاطمة تحدثها) إلى أن حضرت ولادتها».

(١) دلائل الإمامة للطبري، ص ٧٧؛ وبحار الأنوار ١٦/٨٠، ٤٣/٢ - ٤.

ثم يتحدث النص عن نزول النساء الأربع: سارة وآسية، ومريم، وكلثم أخت موسى عليه السلام، إلى أن يقول:

«فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة . . . ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور. ودخل عشر من الحور العين كل واحدة منهن معها طست من الجنة وإبريق من الجنة وفي الإبريق ماء من الكوثر . . . (إلى أن يقول):

«فنطقت فاطمة عليها السلام بالشهادتين . . . وبشر أهل السماء بعضهم بعضاً بولادة فاطمة عليها السلام، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك. وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهرة، زكية ميمونة، بورك فيها وفي نسلها. فتناولتها فرحة مستبشرة<sup>(١)</sup>.

تعالوا لنحاكم هذا النص بهدوء وفق المنهج القرآني. لماذا حدثنا الله عز وجل عن خصوصيات في النبي عيسى عليه السلام؟ ثمة قرائن كثيرة توحى بأن الهدف الأساسي من حديث القرآن الكريم عن بعض الخصوصيات العقائدية حول الأنبياء السابقين وغيرهم أن نعرف أن هذا الأمر بالنسبة إلى المصطفى الحبيب وأهل البيت أمر طبيعي جداً.

ألم يتكلم النبي عيسى عليه السلام بمجرد ولادته؟ كم هو الفرق بين أن يتكلم الجنين في بطن أمه أو أن يتكلم الجنين بمجرد أن يولد؟ أنا أعرف بعض الحالات التي تأكدت منها . . . أن الأم تسمع بكاء الطفل في بطنها، الأم العادية والطفل العادي. حسناً، دعونا نجر مقارنة: أم مريم مؤمنة أخلصت لله عز وجل، نذرت له سبحانه وتعالى ما في بطنها محرراً، كان ما في بطنها أنثى، ووضعت مريم. وفي ما بعد جاء جبرئيل يخبر مريم بأنها ستلد. جبرئيل نزل على مريم . . . عندما نقول: نزل جبرئيل على السيدة الزهراء ينبغي أن يدخل الإنسان في جدل لا يكاد ينتهي . . . جبرئيل ينزل على السيدة الزهراء؟! ﴿حول نزول جبرئيل على مريم قال تعالى: أرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً﴾. وبالرجوع إلى تفسير

(١) ما بين المعقوفتين كلام المؤلف.

الميزان والتفاسير الأخرى نجد الجزم بذلك، يصرح السيد الطباطبائي بأنه لا مجال للشك في أن المقصود أن جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي نزل على مريم، إذاً . . أن ينزل جبرئيل على السيدة مريم . . أمر مقبول، لكن أن ينزل على السيدة الزهراء فهذه إسرائيليّات! أن يتكلم النبي عيسى بمجرد أن يولد، لا مشكلة في ذلك . . لكن أن تتكلم السيدة الزهراء . . تحدث أمها وهي في بطنها . . فذلك رجعية وتخلف! ثم إذا ولدت الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ تقول: أشهد أن لا إله إلا الله فهذه أحاديث خرافية، ينبغي أن لا نعرضها لأنها لا تنسجم مع روح العصر!!

ألا يكشف ذلك بوضوح أن اعتراض هؤلاء على الغيبيات، أبعد من الأسلوب بكثير، يصل إلى ملامسة الأصل، وإن كان يحاذر الجهر به .

على أي حال . . ما أنا بصدده بالإضافة إلى هذه الخصوصيات: ما هي محصلة هذا النص؟ محصلته أن السيدة الزهراء تحدث أمها . . أن السيدة الزهراء بمجرد أن ولدت تحدثت . . نطقت بالشهادتين، وذكرت أسماء: المصطفى الحبيب، رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكرت أمير المؤمنين والأئمة، وذلك طبعي في نظر المؤمن بقدره الله تعالى . لكن لشدة ما حاول المحاولون خلخلة هذا الأساس في أذهان الناس انطلقت الشبهات بحجة العقل المدعى . . وما تزال . .

الأمر الآخر الذي أريد أن أفق عنده هو هذه المقارنة، أم مريم عبدة صالحة - كما ذكرت - وصلت إلى ذروة إخلاص، فمنّ الله عز وجل عليها بمریم، وليس بالنبي عيسى مباشرة، حتى تكون مرحلة تمهيدية . . نقلة لاستحقاق عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. أتلاحظون: مريم هي ثمرة وصول أمها إلى قمة من قمم القرب من الله تعالى . النبي عيسى هو ثمرة وصول مريم وأمها إلى القمة المتاحة لهما في الإخلاص، حسناً . . امرأة أخلصت (أم مريم) أو امرأتان (مريم وأمها) فكان لهما من الله تعالى هبة خاصة . . فما هي الذرى المحمدية التي كان فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . .؟ تلك الذرى لم يصل إليها بشر، ولا يصل إليها بشر على الإطلاق .

لقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دائماً في الذرى التي لا يبلغها أحد غيره، لكن لا شيء يمنع من أن من كان في الذرى الأعلى يرفع الله درجته: «وتقبّل شفاعته في أمته وارفع

درجته». والأدعية كثيرة حول رفع الدرجة. في حديث الإسراء والمعراج معروف أن جبرئيل عليه السلام يقول: «إذا تقدمت قيد أنملة احترقت» أليس كذلك؟ رسول الله ﷺ في الذروة التي لا يصل إليها أحد. لكن الإسراء هو عبارة عن درجة ومرتبة مميزة لرسول الله ﷺ بنزول القرآن الكريم كان المصطفى الحبيب - كما يعبر الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه - في مرحلة: «استنزلت أنفاسه الطاهرة القرآن الكريم بإذن الله تعالى». بالإسراء والمعراج كانت المرتبة مرتبة أن الله عز وجل رفعه إليه ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾.

في هذه الذروة المحمدية كانت هناك هدية من الله عز وجل للمصطفى الحبيب. . في بعض الروايات: رطب، في بعض الروايات: تفاح، ولا مانع من الجمع. كانت الزهراء تلك الهدية التي تتناسب مع درجة المصطفى الحبيب، ومع مرتبة المصطفى الحبيب ﷺ. فإذا كانت مريم عطية لأُمها نتيجة درجة إخلاص معينة. وكان ابن مريم فيما بعد عيسى عليه السلام، فإن الزهراء عطية لرسول الله. . هبة لرسول الله، ثم كان بعد الزهراء الأئمة الأحد عشر الذين يأتون في الدرجة الثانية من مرتبة رسول الله ﷺ، ويصلي النبي الله عيسى خلف آخرهم. رحم الله الشيخ الفطوسي عندما يقارن. . بين الإمام الحسين والنبي عيسى، فيقول:

بمهدك آيات ظهرن لفطرس<sup>(١)</sup> وآية عيسى أن تكلم في المهد  
فإن ساد في أم<sup>(٢)</sup> فأنت ابن فاطم وإن ساد في مهد<sup>(٣)</sup> فأنت أبو المهدي<sup>(٤)</sup>

أيها الحبيب. . هذه الخصوصيات أحببت الوقوف عندها، علماً بأن النقطة المركزية التي ينبغي أن يطول وقوف القلب عليها وعكوفه بابها: كيف ترضى عنا الزهراء.

سيدتنا. . يا من يرضى الله لرضاها. . هل أنت راضية عنا؟ ما أشد مأساة

(١) قصة «فطرس» الملك الذي كان مهيض الجناح معروفة.

(٢) لو أراد النبي عيسى أن يفتخر بأمه مريم فأنت ابن فاطمة الزهراء عليها السلام.

(٣) النبي عيسى تكلم في المهد.

(٤) المهدي الذي يصلي خلفه عيسى.

الشخص عندما يكتشف لا سمح الله . . يوم القيامة أنه لا يستحق رضا الصديقة الكبرى عليها صلوات الرحمن .

أيها الحبيب . . من السهل أن نلعن الشمر، من السهل أن نلعن شبت بن ربي، لكن من الصعوبة بمكان أن يكتشف الإنسان مواطن التشابه بينه وبين الشمر وبين شبت بن ربي لا سمح الله .

حب الدنيا هو القاسم المشترك . ما دام هذا القلب يخفق بحب الدنيا فلا يمكنه أن يصبح فاطمياً .

فلنتوسل بالصديقة الكبرى . .

سيدي . . أخرج حب الدنيا من قلبي . . إلهي . . أعلم أنني لا أستحق، ولكنك أرحم الراحمين، وهم مظهر رحمتك . عادتك الإحسان إلى المسيئين .

اللهم لا تردنا عن بابك خائبين، بالزهراء وأبيها، وبعلمها وبنيتها، والسر المستودع فيها، برحمتك يا أرحم الراحمين .



(٢)

## أجواء الشهادة

وملامح من عظمتها ﷺ

\* تمهيد .

\* سر العظمة . . القرب من الله تعالى .

\* لنبحث عن عظمة الصديقة في عظمة المصطفى الحبيب ﷺ .

\* نور الصديقة الكبرى ﷺ .

\* مصحفها ﷺ .

\* في غير مراتبهم التي رتبهم الله فيها!!



## (٢)

هذه الأيام، أيام ذكرى شهادة مولاتنا الزهراء عليها صلوات الرحمن، وبناء على المنهج الذي ذكرته واعتمده لهذه الأحاديث في هذا الملتقى فإن العلاقة بالمعصومين من أهم الأسس التي لا بد من الوقوف عندها. نعم.. شهادة الزهراء، وإذا سمعت مني لفظ «وفاتها» فذلك من سبق اللسان.

في الرواية عن علي بن جعفر عن أخيه الإمام الكاظم عليه صلوات الرحمن: «إن فاطمة عليها السلام صديقة شهيدة»<sup>(١)</sup>. وما أدراك ما ذكرى شهادة الزهراء!

كيف كانت المدينة المنورة عشية انتقالها عليها صلوات الرحمن إلى جوار الله عز وجل..

بجوار مولاتنا زينب يسبق القلب إلى تلك الصورة داخل بيت أمير المؤمنين وقد أصبح أولاد المرتضى والزهراء أيتاماً.. كيف كان حال أبي محمد الإمام الحسن المجتبي عليه صلوات الرحمن، وحال أبي عبد الله الحسين، وحال مولاتنا زينب؟ وهل تقوى يا قلب علي أن تتذكر شيئاً.. رشحةً من حال أمير المؤمنين عليه صلوات الرحمن؟

ينقل بعض العارفين أن سلمان الفارسي رضوان الله تعالى عليه فوجئ - قبل شهادة الزهراء - بالمرتضى والزهراء يطرقان باب بيته إبان تلك الجولة التاريخية على الأنصار.. طُرق الباب.. فتح سلمان الباب: سيدي ما الذي جاء بكما؟! سيدي يا فاطمة.. ما الذي جاء بك؟ قالت: يا سلمان رأيت علياً وحيداً..! غربة علي أقضت مضجع الزهراء، وها هو علي بعد شهادة الزهراء أشدّ

---

(١) برنامج مصادر بحار الأنوار، نقلاً عن مسائل علي بن جعفر، ص ٣٢٥، الإمامة وفضل الأئمة.

غربة . بربك أيها الموالي . . غربة علي أشدّ مضاضةً أم غربة الحسين في كربلاء؟! حتى الواحد والسبعون لم يكن لهم ذكر . . أصبح علي غريباً إلى درجة أنه رغم كلّ الجلد العلوي . . رغم كلّ التصبُّر فهو يقول: إنه قد قلَّ صبره بعد فجيئته بالزهراء!! قبل شهادة الزهراء كانت الفجيعة بالمصطفى ﷺ موزعة بين المرتضى والزهراء، وها هو ثقل الفجيعة بالمصطفى الحبيب الآن ينصبّ بكامله على المرتضى . . ويضاف إليه فجيئته بفقد الزهراء! غربة أبكت رسول الله ﷺ من قبل . . يحدث أمير المؤمنين أنه كان يسير مع المصطفى الحبيب في بعض شوارع المدينة، وعندما وصلا إلى مكان خال من الناس وضع رسول الله ﷺ رأسه على كتف أمير المؤمنين وأجهش بالبكاء . . ويسأله المرتضى عن السبب فيقول: «يا علي . . ضغائن في صدور قوم لا يريدونها لك إلا من بعدي»<sup>(١)</sup>.

واسمع ماذا ينقل ابن أبي الحديد في «شرح النهج» عن شيخه أبي جعفر الإسكافي . . يقول: إن النبي ﷺ دخل على فاطمة فوجد عليها نائماً، فذهبت تنبّه، فقال: «دعيه . . فرب سهر له بعدي طويل . . ورب جفوة لأهل بيتي من أجله شديدة». فبكت فاطمة عليها السلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تبكي . . فإنكما معي . . وفي موقف الكرامة عندي»<sup>(٢)</sup>.

نريد أن نتحدث عن شهادة الزهراء . . ولا يمكن أبداً إلا أن نقف في محراب غربة علي أمير المؤمنين . . يا شيعة علي . . أتباع المصطفى الحبيب . . لعل هذا الحب المبارك في قلوبنا لأبي الحسن الذي أمرنا به رسول الله يرتفع منسوبه فيغسل أدران ذنوبنا، لعلنا حينئذ نوفق لشيء من معرفته ومعرفة الزهراء عليهما صلوات الرحمن .

يقول عبد الرحمن بن أبي بكر: سمعت علياً يقول: «ما لقي أحد من الناس ما لقيت» ثم بكى عليه السلام. ها هو علي بعد شهادة الزهراء أشدّ غربة، لذلك نجده يقف على قبر الزهراء . . يسلم على رسول الله ﷺ بتلك المقطوعة العلوية، والرواية عن المولى أبي عبد الله الحسين، قال: لما قبضت فاطمة عليها السلام دفنها

(١) المجلسي، بحار الأنوار ٥٤/٢٨ و٧٨.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح النهج ٤/١٠٧.

أمير المؤمنين سرّاً، وعفى على موضع قبرها، ثم قام فحوّل وجهه إلى قبر رسول الله ﷺ فقال:

«السلام عليك يا رسول الله، عني، والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك، والبائنة في الثرى ببقعتك، والمختار لها سرعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، وعفا عن سيدة نساء العالمين تجلدي، إلا أن لي في التأسّي بسنتك في غربتك موضع تعزّ، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك، وفاضت نفسك بين نحري وصدري. . بلى، وفي كتاب الله لي أنعم القبول، إنا لله وإنا إليه راجعون. قد استرجعت الوديعة. . وأخذت الرهينة. . واختلست الزهراء. . فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله، أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد، وهم لا يبرح من قلبي أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم»<sup>(١)</sup>!!

هل هذا هو الحزن الذي تحدّث عنه المصطفى الحبيب. . هل هذا هو السهر الطويل لعلي أمير المؤمنين الذي تحدث عنه رسول الله ﷺ؟ بلى. . دخلت رحلة السهر الطويل للمرتضى في منعطف من نوع آخر.

أيها الحبيب. . في ذكرى شهادة الزهراء كيف ينبغي أن نتعاطى مع الزهراء عليها السلام؟ ماذا نعرف من عظمتها عليها صلوات الرحمن، عند أي خصائص نقف؟ ينقل آية الله المقدس السيد المرعشي رضوان الله تعالى عليه عن المولى الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في قصة ضمن قصص كتبها المرحوم المرعشي بخط يده، ولم يصرح فيها بأنه هو الذي تشرف برؤية الإمام المنتظر أرواحنا فداء. . إلا أن أحد العلماء، نقل لي عنه أن المقصود في هذه القصص. . بالشخص الذي تشرف بلقاء الإمام هو نفسه، أي السيد المرعشي رضوان الله تعالى عليه. ينقل تعليمات كثيرة عن الإمام المنتظر. . من جملتها أنه أمر بهذا القنوت أن يقنت به في الصلاة باستمرار: (وإنما أستشهد به لأن الروايات تعضده)

«اللهم صلّ على محمد وآله، اللهم إني أسألك بحق فاطمة وأبيها، وبعلمها

(١) المجلسي، بحار الأنوار ٤٣/١٩٣.

وبنيها، والسرّ المستودع فيها أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تفعل بي ما أنت أهله، ولا تفعل بي ما أنا أهله».

عظمة الزهراء كما يظهرها هذا النص هي عظمة محورية: «بحق فاطمة وأبيها، وبعلمها وبنيها، والسرّ المستودع فيها». معرفة الزهراء عليها السلام الطريق إلى معرفة الله عز وجل، والخلل في معرفتها لا بد وأن ينعكس خلافاً في المعتقد، بمعنى أن الإنسان لا يستطيع أن يقول إنه على سلامة من معتقده إذا لم يعرف الزهراء عليها السلام. عندما نريد أن نتحدث من بعيد عن مكان العظمة في هذه الشخصية المحمدية العظيمة . . كيف نتعامل معها . . بم نصفها؟

أحياناً يشعر المستمع أن من يتحدثون عن المعصوم يتحدثون عن عالم من كبار العلماء مع فارق وامتياز قليلين. وهو ما يجعل الحديث عن الزهراء عليها صلوات الرحمن لا يصل إلى أدنى سفح عظمتها . . فضلاً عن الخلل الكبير الذي يقع فيه الكثيرون، الذي يجعل الحديث أحياناً منافي الأدب .

نحن مدعوون من منطلق التكليف الشرعي . . وبعيداً عن أي شيء آخر أن نتعرف على المصطفى الحبيب، وعلى الزهراء، وعلى أمير المؤمنين، وعلى سائر الأئمة باعتبار أن معرفة الله عز وجل تتوقف على ذلك، وهذا أوضح معاني: «من أراد الله بدأبكم»<sup>(١)</sup>.

كيف ينبغي أن نتحدث عن الزهراء . . بأية لغة؟ عندما نقارن بين لغة الكثيرين من الكتاب وبين لغة بعض العلماء . . - والمقياس الذي ينبغي اعتماده في هذا العصر للغة علمائنا الأعلام كلام الإمام الخميني القائد رضوان الله تعالى عليه - عندما نقارن نجد الفارق الكبير . . تارة نجد الحديث من النمط الذي ذكرت، وتارة نجد الحديث عن أن المرتضى والزهراء يأتیان في درجة تلي مباشرة درجة رسول الله ﷺ خير خلق الله . . أمير المؤمنين نفس رسول الله، الزهراء بضعة من رسول الله . . شحنة من رسول الله . . روحه التي بين جنبيه . . ما معنى هذا؟ كم سمعنا حديث: «فاطمة بضعة مني»؟ هل حاولنا الوصول إلى عمق دلالة هذا

(١) الزيارة الجامعة، عن الإمام الهادي عليه السلام.

الحديث فقط؟ معنى هذا أنك عندما تقول: «فاطمة» فقد قلت: «رسول الله». معنى هذا أن فاطمة هي رسول الله. . نفس رسول الله ﷺ، عندما نريد أن نستوضح الصورة بعض الشيء دعونا نتفق على سرّ العظمة في الشخص. . ما هو سرّ العظمة. . بِمَ يصبح الشخص عظيماً؟ كلنا نعرف أن المقاييس والمعايير التي نصنعها نحن باطلة. . ومن النداءات في يوم القيامة:

«أيها الناس أنصتوا. . فقد أنصت لكم زمناً طويلاً، وضعت نسباً وهو التقوى. . ووضعتم أنساباً!»

نحن نصنع معايير لسرّ العظمة وما هو (المعيار) في الحقيقة إلا القرب من الله عز وجل. . طاعة الله سبحانه وتعالى، بعبارة ثانية: عندما يطيع الإنسان الله، فهو عاقل، وعندما يعصي فقد خرج عن دائرة العقل بهذا المقدار. ومن لا تعرف سيرته إلا الطاعة الأتمّ لله عز وجل فهو العاقل الأتمّ، أقرب الناس إلى الله والتمحّض في طاعته سبحانه، عندما يقترب الإنسان قليلاً من الله عز وجل لا بد وأن تظهر نتائج هذا القرب، كلنا نسمع أو نقرأ الحديث القدسي: «عبدني أطعني تكن مثلي. تقول للشيء كن فيكون»<sup>(١)</sup>. كلنا نقرأ في كتاب الله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ ونقرأ: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾. رسول الله ﷺ لشدة قربه من الله عز وجل وصل إلى مقام لا يمكننا أن نتصور كنهه، الإنسان العادي إذا أطاع الله عز وجل فبمقدار طاعته يقترب، فإذا وصل إلى مرحلة مميزة من الطاعة تصدر عنه أمور من الغرائب. ما أكثر العلماء الأجلاء من أصحاب الكرامات الذين كانوا لقربهم من الله عز وجل يقومون بمثل هذه

(١) هذه هي الصيغة المشهورة لهذا الحديث القدسي. انظر: الإمام علي، للرحماني الهمداني، ص ٣٦٢، وهناك عدة صيغ أخرى: «عبدني أطعني تكن مثلي (أو مثلي) أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون». أبو طالب حامي الرسول، نجم الدين العسكري، ص ١٨٥. «عبدني أطعني حتى أجعلك مثلي أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون». الحائري، شجرة طوبى ١/٣٣. وبنفس الصيغة المتقدمة: بحار الأنوار ١٠٢/١٦٥؛ وفي الجواهر السنية، للحر العاملي، ص ٣٦١ ورد حديث يقرب منه: «عبدني أطعني أجعلك مثلي، أنا حي لا أموت أجعلك حياً لا تموت، أنا غني لا أفقر أجعلك غنياً لا تفتقر، أنا مهما أشاء يكون أجعلك مهما تشاء يكون».

الأمر، ما أكثر ما سمعتم . . ما أكثر ما قرأتم من هذه الكرامات . . وما هو المحور . .؟ إنه القرب من الله عز وجل .

إذا أردنا أن نتعرف إلى بعض جوانب قرب رسول الله ﷺ . . وأهل البيت من الله عز وجل فينبغي أن نقف أولاً عند مثال يوضح الصورة، (المثال يذكره بعض العلماء): لو فرضنا أننا وضعنا حديدة في النار . . وطال بقاء هذه الحديدة في النار، ماذا نرى بعدئذ . . ما هي النتيجة؟ نرى أن الحديدة اكتسبت جميع خصائص النار . . من يضع يده عليها يتألم . . من ينظر إليها يظن أنه ينظر إلى النار، لقد اكتسبت من شدة القرب وطول مدة القرب جميع خصائص النار، لكن . . هل أصبحت هذه الحديدة ناراً . . هل تغير جوهرها؟ أو تغيرت حقيقتها؟ . . أم أنها ما تزال حديدة؟ والنار . . هل أصبحت حديداً أم أنها ما تزال ناراً؟ شدة قرب المؤمن من الله عز وجل تجعل هذا المؤمن مظهراً لبعض الخصائص الإلهية . هذا بالنسبة للمؤمن العادي، فكيف بالنسبة إلى رسول الله ﷺ؟ هل هناك بين الخلق جميعاً أقرب إلى الله عز وجل من المصطفى الحبيب؟ إذا . . ما هي نتائج هذا القرب؟ نتائجه: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ يد رسول الله يعبر عنها بيد الله تعالى، نطق رسول الله ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى﴾ . ماذا تريد أن تقول لنا هذه الحقائق: المصطفى الحبيب ﷺ هو مظهر قدرة الله تعالى، مظهر علم الله تعالى، مظهر حلم الله تعالى، مظهر كرم الله تعالى، والزهراء روح المصطفى التي بين جنبيه . . بضعة منه . . شجنة منه<sup>(١)</sup> . ينبغي أن نبحت عن عظمة فاطمة عليها صلوات الرحمن في عظمة رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى لرضى فاطمة . .»، ألم نسمع جميعاً بهذا الحديث؟ يقف عنده أحد كبار العلماء<sup>(٢)</sup> فيقول ما خلاصته: لو كان الحديث هكذا: إن فاطمة لترضى لرضى الله وتغضب لغضبه . . لكان هذا الحديث يدل على درجة عظيمة للزهراء، ولكنه بصيغته الحالية يدل على درجة أعظم بكثير، لا يقول الحديث: إن فاطمة ترضى لرضى الله وتغضب لغضبه، بل يقول:

(١) البضعة: تلفظ بفتح الباء وبكسرهما ومعناها قطعة اللحم، والشجنة (بالتحريك): مشتبك العروق واللحم. (المعجم الوجيز).

(٢) هو آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني في «مقتطفات ولائية».

«إن الله ليرضى لرضى فاطمة ويغضب لغضبها». هذه مرتبة أعلى . متى يصبح الإنسان مطيعاً تمام الطاعة لله عز وجل؟ عندما يصبح عاقلاً، وكلما كانت الطاعة أتمّ كان العقل أكمل كما مر . . يقول هذا العالم الجليل: هذه الرواية تدل على عظمة مميزة للزهراء عليها صلوات الرحمن .

أقف هنا عند نص للإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه لنكتشف أن كثيراً مما نعرفه ونتداوله لا علاقة له بشخصية الزهراء صلوات الله وسلامه عليها . يتحدث الإمام في «صحيفة نور» باللغة الفارسية ما ترجمته:

«إنها - أي الزهراء - موجود ملكوتي ظهر في العالم في صورة إنسان، بل هي موجود إلهي جبروتي ظهر في صورة امرأة . جميع الهويات الكمالية المتصورة في إنسان موجودة فيها، وفيها عليها السلام جميع خصائص الأنبياء» .

يضيف الإمام: «لو كانت رجلاً لكانت نبياً . . لو كانت رجلاً لكانت مكان رسول الله صلى الله عليه وآله . التجليات الملكوتية . . التجليات الإلهية . . التجليات الجبروتية . . التجليات المُلْكِيَّة والناسوتية كلها مجتمعة في هذا الوجود .

حتى إذا لم أفهم كل دلالات كلمات الإمام رضوان الله تعالى عليه . . فهو يكشف عن أن اللغة التي ينبغي أن نتحدث بها عن الزهراء عليها السلام ينبغي أن تكون لغة مميزة .

إذاً، في باب الإشارة إلى عظمتها عليها صلوات الرحمن ينبغي أن نضبط حركتنا على هذا الأساس .

وعندما نريد أن نتعرف إلى بعض خصائصها، مثل (نور الزهراء) وحاول أن نكون فكرة عما في الروايات عن نور الزهراء، بعد الحديث عن العظمة ماذا نجد؟ أولاً: حيثما وجدت الحديث عن النور في القرآن الكريم أو في الروايات . . تجد حديثاً عن الزهراء . ما هو سرّ هذه العلاقة بين الزهراء والنور الإلهي؟ نجد في الروايات ما ينبغي أن يكون هو المصّب لاستلهاام هذه الحقيقة، ولا يمكن الوصول إلى كنه الحقيقة مباشرة على الأقل، إلا أن هناك أموراً واضحة . . مثلاً: هل كانت الزهراء نوراً قبل أن يخلق الله الخلق؟ ومن يشك في ذلك من بين كلّ

علمائنا الأعلام!؟ لتأمل مجاميعهم في الحديث، لتأمل كتبهم. سنجد أن هذا الأمر من المسلمات لا مجال للنقاش فيه أبداً. أذكر هنا كمثال: في «روضة المتقين».. يصرح المجلسي الأول كما يصرح كذلك الشيخ الصدوق بصحة أحاديث تضمنت أن نور الزهراء عليها السلام كان قبل أن يخلق الله عز وجل الخلق بآلاف الأعوام. والروايات في هذا الباب كثيرة جداً، بعضها يتحدث عن نور فاطمة فقط، وبعضها يتحدث عن أنوار المصطفى وعترته. والنور واحد.. يكفي أن نجد في الزيارة الجامعة: «خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرضه محققين».

يكفي أن نقف عند الروايات التي وردت عن المصطفى الحبيب ﷺ في حديثه حول نور الزهراء: «نور فاطمة من نورنا»، «نورنا ونور فاطمة واحد»<sup>(١)</sup>.

أذكر هنا حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام وقد سئل: لم سُميت فاطمة الزهراء زهراء؟ فقال: «لأن الله عز وجل خلقها من نور عظمته، فلما أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها، وغشيت أبصار الملائكة، وخرّ الملائكة لله ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيدنا.. ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم: هذا نور من نوري، وأسكنته في سمائي، خلقتة من عظمتي، أخرجته من صلب نبي من أنبيائي أفضله على جميع الأنبياء، وأخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري.. يهدون إلى حقي، وأجعلهم خلفاء في أرضي بعد انقضاء وحيي»<sup>(٢)</sup>.

فالزهراء عليها السلام إذاً مصدر نور الأئمة الأحد عشر على الأقل.. إن شئت.. كما يفهم من ظاهر هذه الرواية.

عندما نريد أن نقف عند بعض الخصوصيات التي تكشف عن أبعادٍ تفتح لنا آفاقاً في محاولة رفع مستوى معرفتنا بالزهراء لنرفع بذلك مستوى تدبُّرنا.. لا يمكن أبداً إلا أن نقف عند الحديث عن «مصحف فاطمة». طال الكلام وكثر حول مصحف الزهراء.. البعض يتهموننا بأننا نعتبره مصحفاً بديلاً عن القرآن الكريم

---

(١) يأتي ذكر مصادر هذه الروايات في حديث خاص حول روايات النور.  
(٢) الطبري، نوادر المعجزات، ص ٨٢؛ ودلائل الإمامة، ص ١٤٩ مختصراً؛ والبحر العملي في الجواهر السننية، ص ٢٤٠؛ والمجلسي، بحار الأنوار ١٢/٤٣.

والعياذ بالله! ورواياتنا صريحة في أن مصحف الزهراء ليس فيه حرف من القرآن الكريم . . هو شيء آخر . . لربما نجد تشكيكاً من بعض أوساطنا في مصحف فاطمة، أو في أهميته، أو في بعض خصوصياته. التكليف الشرعي أيها الأحبة - بعيداً عن أية مزايده - يقتضينا أن نقف عند هذه الأمور . . يصاب الإنسان بالفجيعة عندما يقابل بين حديث علمائنا الأعلام عن مصحف فاطمة وبين ما نسمعه . . ولا نحب . . كما لا نحب الإصرار عليه على الإطلاق. نجد أن الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه يفتخر في وصيته بأمور من جملتها مصحف فاطمة، فما معنى ذلك؟ إن هذا يكشف عن مكانة عظيمة للصحيفة الفاطمية كما يسميها الإمام، يقول رضوان الله عليه:

«نحن نفخر أن لنا مناجاة الأئمة الشعبانية، ودعاء عرفات للحسين بن علي عليه السلام، والصحيفة السجادية زبور آل محمد هذا والصحيفة الفاطمية، ذلك الكتاب الملهم من قبل الله تعالى للزهراء المرضية» (كتاب ملهم من الله عز وجل للزهراء).

في مكان آخر يتحدث الإمام عن مصحف فاطمة عليها السلام حديث الأمر المفروغ منه، يقول ما خلاصته:

«عندما كان جبرئيل عليه السلام ينزل على الزهراء عليها السلام ويحدثها بما يجري على ذريتها من بعدها»<sup>(١)</sup> . . أليس من المحتمل أنه حدثها عن الجمهورية الإسلامية في إيران؟ .

وحول بعض تفاصيل نزول جبرئيل عليه السلام على مولاتنا الزهراء عليهن السلام؟ أترك الحديث هنا أيضاً للإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه حيث بين في كتاب «صحيفة نور» جزء ١٩ صفحة ٢٧٨ - ٢٧٩ هذه الخصوصيات بما لا مزيد عليه، يقول عليه الرحمة والرضوان:

«أنا بالنسبة إلى حضرة الصديقة سلام الله عليها أرى نفسي قاصراً حتى عن ذكرها إلا أنني أكتفى برواية فقط وردت في الكافي الشريف، ونقلت بسند معتبر»

---

(١) سمعت ذلك منه في إحدى خطبه عبر التلفزيون ولم أعر على النص في (صحيفة نور).

(لاحظ . . في كتاب الكافي والسند معتبر) وهي : سئل الإمام الصادق عليه السلام عن مصحف فاطمة فقال :

«إن فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله ﷺ خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة» .

يضيف الإمام الخميني رضوان الله عليه :

«وظاهر الرواية أن تردد جبرئيل طيلة هذه الخمسة والسبعين يوماً كان كثيراً» (يعني جبرئيل عليه السلام لم يأت مرة أو مرتين أو ثلاث مرات . . فظاهر الرواية أنه كان كثير التردد إلى الزهراء عليها السلام :

يضيف الإمام : «ولا أظن أن مثل هذا قد ورد حول غير الطبقة الأولى من الأنبياء العظام، طيلة خمسة وسبعين يوماً، كان جبرئيل يتردد إليها، ويذكر المسائل التي ستقع في المستقبل لذريتها، وكان الأمير عليه السلام أيضاً يكتب ذلك . . كان الأمير كاتب الوحي كما كان كاتب الوحي لرسول الله ﷺ» (ثم يضيف الإمام) : «طبعاً ذلك الوحي بمعنى التشريع كان قد تم . .» .

الوحي المقصود هنا ليس بمعنى الوحي القرآني أو تشريع الأحكام . . إنما هو وحي من نوع آخر . وأول سؤال يرد هنا : وهل هناك وحي من نوع آخر؟ هل يوحى إلى غير رسول الله؟

والجواب : أولسنا مسلمين . . ألم نقرأ القرآن الكريم . . ألا نجد في القرآن : ﴿وأوحينا إلى أم موسى . .﴾ ، ﴿إذ يوحى ربك إلى الملائكة﴾؟! حديث الوحي في القرآن يشمل حتى النحل . إذاً، يمكن أن يكون وحي من غير نوع الوحي القرآني . يضيف الإمام :

«ذلك الوحي بمعنى التشريع كان قد تمّ بذهاب رسول الله ﷺ ، كان علي عليه السلام كاتب وحي الصديقة في هذه الخمسة والسبعين يوماً» .

ثم يصل الإمام إلى مجيء جبرئيل إلى الزهراء عليها السلام . هل يمكن أن يجيء

جبرئيل إلى أي شخص كان؟ مجرد أن جبرئيل جاء إلى شخص . . فإن هذا يدل على سمو مرتبته مجرد مجيء جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الدليل! يضيف:

«مسألة مجيء جبرئيل إلى شخص ليست مسألة عادية . . لا تتصور أن جبرئيل يأتي إلى أي شخص، أو أن من الممكن أن يأتي، إن هذا بحاجة إلى تناسب بين روح ذلك الشخص الذي يأتي جبرئيل إليه وبين مقام جبرئيل الذي هو الروح الأعظم».

ثم يدخل الإمام في تفاصيل لا ضرورة لها هنا . . إلى أن يقول:

«هذا التناسب كان قائماً بين جبرئيل الروح الأعظم والدرجة الأولى من الأنبياء كرسول الله وموسى وعيسى وإبراهيم وأمثالهم». إلى أن يقول الخميني رضوان الله عليه: «إنني أعتبر هذه الفضيلة للزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ . . على الرغم من عظمة كل فضائلها الأخرى . . - أعتبرها - أعلى فضائلها، حيث لم يتحقق مثلها لغير الأنبياء . . بل لم يتحقق مثلها لجميع الأنبياء وإنما للطبقة العليا منهم . . ولأعظم الأولياء الذين هم في رتبتهم، ولم يتحقق لشخص آخر. وهذه من الفضائل المختصة بالصديقة سلام الله عليها».

إيانا أن نظلم أنفسنا بإنزال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في غير مرتبتهم التي رتبهم الله فيها . . فإننا آنذاك لا يمكن أن نصل إلى التدين الحقيقي .

أساساً لا بد من الوقوف عنده في طريق التدئين هو معرفة الزهراء والعلاقة بالزهراء . حب الزهراء هو الذي ينبغي أن يكون محور حركة القلب، ولا يمكن أن يحب الإنسان الزهراء حباً حقيقياً إذا كانت الحجب تحول بينه وبينها . من هذه الحجب التصورات الخاطئة . ولا يمكن أيضاً أن يحب الإنسان الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ إلا إذا خفق قلبه بحب العبادة، . . يقول الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ :

« . . رأيتها تصلي طيلة الليل وتدعو حتى انفجر عمود الصبح، وما سمعتها تدعو لنفسها . . سألتها في ذلك فقالت: يا بني . . الجار ثم الدار»<sup>(١)</sup> .

(١) الطبري، دلائل الإمامة، ص ١٥٣؛ والمجلسي، البحار ٤٣/٨٢.

ومن أنا حتى أتحدث عن عبادة الزهراء عليها السلام؟ ولا يمكن أن يتعرف  
الإنسان على الزهراء إذا لم يخفق قلبه بحب الجهاد، فالزهراء أم المجاهدين . . أم  
الشهداء . . أم الأسرى . .

يا زينب . . سيدتنا . . في جوارك . . على عتبتك نمرغ جبهة القلب، نريد  
دعوة منك إلى الله تعالى، بحق الزهراء أن يجعلنا من شيعتكم الحقيقيين . . من  
أهل المودة في القربى، ويوفقنا للجهاد في سبيله، إنه سميع مجيب .  
والحمد لله رب العالمين .

(٣)

## الزهراء عليها السلام هي المقياس

\* تمهيد .

\* الحديث عن ظلامه الصديقه الكبرى لا ينافي الحرص على الوحدة الإسلامية .

\* الزهراء هي المقياس . . . وبها يعرف الإسلام .

\* من ملامح أجواء السقيفة .

\* الخطوط العامة للخطبة التاريخية .

\* روح المصطفى تخاطب الأجيال .

\* ظلامه الصديقه وجزئياتها . . في صميم المعتقد .

\* ختام .



### (٣)

في أجواء الأيام الفاطمية حيث ذكرى شهادة مولانا الزهراء عليها السلام بناءً على رأي في هذا المجال حيث أنّ تاريخ الشهادة ليس محددًا كما أنّ قبر الزهراء عليها السلام ليس محددًا ولا معروفًا.

في أجواء هذه الذكرى أيها الحبيب من واجبنا أن ننير عقولنا والقلوب بأنوار الزهراء عليها السلام هذه الذكرى ليست فقط مناسبة للحديث عن معصوم ندين الله تعالى بحبه وليست فقط مناسبة عن معصوم معرفته مفتاح معرفة الله تعالى وإنما هي مناسبة للحديث عن استمرار الإسلام المحمدي الأصيل حيث أنّ هذا الاستمرار فاطمي كما هو علويّ وكما هو حسنيّ وحسيني . لكل معصوم في منظومة المعصومين الأربعة عشر هذا الموقع في استمرار الإسلام، كما أنّ الاعتقاد بالمعصومين الأربعة عشر لا ينفك بعضه عن بعض، فمن لم يعتقد بمعصوم منهم فإنه لا يدين بدين الله عزّ وجل الذي ارتضاه لعباده، والزهراء عليها السلام وأسطة العقد في هذه المنظومة .

في البداية أ طرح هذا السؤال الذي قد يتبادر إلى الأذهان: كيف توفقون بين الحديث عن الزهراء عليها السلام وبين الحديث عن الوحدة الإسلامية، فنحن نعيش في مرحلة حساسة من عمر الإسلام «برز الإيمان كله إلى الكفر كله» ودماء الشهداء تغلي وهذه أصداؤها تتردد في أرجاء العالم الإسلامي، ونحن مدعوون إلى توحيد الكلمة في مواجهة الغارة الأمريكية والصهيونية على أمتنا فكيف توفقون بين الحديث عن ظلامه الزهراء عليها السلام وبين الحديث عن وحدة الأمة ووحدة الكلمة، ألا ينافي الوحدة إدانة خصوم الزهراء؟

والجواب على هذا السؤال: نحن نقف أمام أمرين كل منهما دين لا يمكننا ألا أن نتعامل معه ونحرص عليه .

الأمر الأول: إظهار الإسلام المحمدي والحفاظ على هوية الإسلام الأصيل .

**الأمر الثاني:** وحدة الصف وحفظ قوّة الإسلام والمسلمين في مواجهة الأعداء وكلا الأصليين دين لا نتعاطى معه على أساس أنه شعار للاستهلاك . . . كلا . . . عندما ندعو إلى وحدة الكلمة نعني ما نقول وعندما نتحدث عن ظلامة الزهراء عليها السلام لا نرى في ذلك تنافياً مع الدعوة الصادقة إلى توحيد كلمة المسلمين في معترك الصراع ضد العدو الأمريكي والصهيوني . . . كيف ذلك؟

سيتضح من مطاوي الحديث أنّ معرفة الزهراء هي معرفة الإسلام المحمدي الأصيل، بل لا أبالغ أبداً إذا قلت إنّ الزهراء عليها السلام هي الإسلام، وسيأتي مزيد توضيح بعد قليل إن شاء الله تعالى .

ومسألة الوحدة لا نفهمها مجاملة وتظاهراً وتصنعاً، أو نفاقاً، أي أن يقول الشيعي للسني - أو العكس - أنا مثلك تقريباً. هذا ليس توحيداً لكلمة المسلمين . . . مسألة التوحيد لا تتنافى مع الإثنية هناك نمطان، وفهمان، وتغاير في كثير من الأمور ومع وعينا لهذا التغاير نُصِرُ على الوحدة لأننا نريد الوحدة بين أهل فهمين تجمععهما قواسم مشتركة في مواجهة الأعداء . . . تجمععهما وحدة الاعتقاد بالله تعالى ونبوة المصطفى الحبيب ﷺ وقدسوية القرآن الكريم وعظمة أهل البيت عليهم السلام وغير ذلك كثير . . .

الأمر الذي لا بُدَّ من إيضاحه أنّ لكل من الفريقين الشيعي والسني أن يتحدث في دائرته الخاصة بما يعتقدُه حقاً بينه وبين الله تعالى يعزز كل فريق قناعته، يربي جمهوره على ما يعتقد أنه الدين إلا أن خصوصيات الوحدة الإسلامية، يجب أن تلاحظ لا سيما في الدائرة العامة .

ولا ننسى أننا رواد الحوار مع الغير، فلماذا لا نعتبر الحوار بيننا دليل قوة فيرى الجميع أننا نتحاور في أمور حساسة ولا يؤثر ذلك على وحدة صفنا . . . لا تعني الوحدة إلغاء الفوارق الموجودة أصلاً، وإنما تعني أن لا نسمح لهذه الفوارق أن تمزقنا فننشغل بالصراع فيما بيننا ونغفل عن الصراع مع الأعداء، يمكن أن نجمد الصراع ولكن الحوار والبحث والتحقيق ومحاولة التعرف على الإسلام المحمدي الأصيل كلٌّ من وجهة نظره أمر آخر .

وينبغي التنبه جيداً إلى أن تثبيت معادلة أن الوحدة تساوي المداراة - التي هي

بالنفاق أشبه - والامتناع عن البحث في ما نشعر بضرورة البحث فيه يشكل خطراً كبيراً على المعتقد وعلى الوحدة معاً.

إذاً لا يصح أن تطرح الأحاديث عن ظلامه الزهراء عليها السلام في إطار إثارة النزعات بين المسلمين. يجب الحرص جداً على أن لا يعلو صوت فوق صوت المعركة مع أمريكا والعدو الصهيوني وأن تطرح حقائق الإسلام ويجري البحث عنها في الإطار الذي ينبغي لأنَّ التعريف بالإسلام المحمدي الأصيل واجبٌ لا مجال لأن نحيد عنه.

أما مسألة أن الزهراء عليها السلام هي الإسلام.. فعندما نجد شخصاً ورعاً متقياً قمة في الإيمان كما يقال، لا يخالف أحكام الشرع أو أنه حريصٌ جداً على عدم المخالفة، دقيق في التزامه بالحكم الشرعي.. ماذا نقول عنه؟.. نقول: إنه تجسيدٌ للإسلام، إنه إسلامٌ يمشي على الأرض، فإذا كان يصح هذا الوصف بالنسبة لشخص غير معصوم فكيف بالنسبة للمعصوم الذي لا ينفك عن الإسلام ولا ينفك الإسلام عنه، الزهراء عليها السلام هي الإسلام لأنها القمة المحمدية التي لا تُبارى، ربما أتناول إذا قدر الله تعالى في الأسابيع المقبلة الحديث عن عظمة الزهراء عليها السلام، وأفرد حديثاً لهذا الموضوع لأورد كلمات بعض العلماء السنة الكبار حول أن الزهراء عليها السلام أعظم من جميع الأنبياء باستثناء أبيها رسول الله ﷺ.

الزهراء عليها السلام عظيمة، وقد أكد رسول الله ﷺ أن عظمتها فوق ما نتصور بكثير.. «فاطمة بضعة مني» «إن الله ليرضى لرضى فاطمة» وغير ذلك من الأحاديث التي تناولتها في حديث سابق، ليس كل عظيم يرقى إلى مرتبة أنه بضعة من رسول الله ﷺ أو يرضى الله تعالى لرضاه.. ولأنها عظيمة فقد أكد عليها المصطفى هذا التأكيد لأسباب منها: أن الفترة التي ستلي شهادة المصطفى ستكون فترة فاطمية بامتياز شديد وإلا فإن كل القرون فاطمية..

لا يمكن أن يُعرف خط استمرار الإسلام المحمدي الأصيل في تلك الفترة وبعدها إلا من خلال رصد مواقف الزهراء عليها السلام كما سنرى، هذا الأمر ينبغي أن يضعنا أمام حقيقة أن الزهراء عليها السلام في تلك المرحلة في أجواء السقيفة

خاطبت الأجيال وسنجد في خطبتها المباركة المؤشر على ذلك «أنها كانت تخاطب الأجيال». . كانت تعلم أن القوم الذين يسمعونها لن ينصروها، لذلك أشارت إلى أنها تخاطب الأجيال والمصطفى الحبيب ﷺ أكد عليها لأنها تستحق هذا التأكيد ولأن هذا التأكيد يجعل إصغاء الأجيال عبر القرون إلى صوت الزهراء عليها السلام الذي دوى في أجواء السقيفة إصغاءً مميزاً، وهذا يعني أن الزهراء عليها السلام هي المقياس في معرفة الإسلام.

إذا أردنا أن نوضح ذلك بعض الشيء فلا بد من الوقوف عند بعض خصوصيات أجواء السقيفة.

أولاً: كانت الردة مستبطنة، موجودة في زمن المصطفى الحبيب ﷺ ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ فالقرآن الكريم يتحدث عبر هذا الانقلاب على الأعقاب عن ردة مستبطنة، ونجد أن القرآن الكريم يصف أركانها بأنهم مردوا على النفاق.

هذا هو المَعْلَمُ الأول من معالم أجواء السقيفة.

المَعْلَمُ الثاني: أن وفاة المصطفى الحبيب ﷺ أتاحت الفرصة، رأى أولئك أن الفرصة مؤاتية للانقضاض على الإسلام بالطريقة المناسبة.

المَعْلَمُ الثالث: أن علياً عليه السلام كان مأموراً بالصبر. .

إذا أردنا أن نستوضح هذه الخصوصيات بعض الشيء أفق عند روايتين قلما يتمّ التعرض لهما أو لمضامينهما:

**الرواية الأولى:** عن شخص اسمه أحمد بن همام، يقول: جئت إلى عبادة بن الصامت من أصحاب رسول الله ﷺ في ولاية أبي بكر (يريد أن يسأل عبادة باعتبار أن عبادة عاصر المصطفى الحبيب وكان هذا في ما يبدو صغيراً لم يُتَح له ذلك) قال له: يا أبا عمارة أكان الناس على تفضيل أبي بكر قبل أن يُستخلف؟ (هل كان الناس يرون تفضيل أبي بكر قبل الخلافة!؟).

فانفجر عبادة بن الصامت في وجهه قائلاً: يا أبا ثعلبة إذا سكتنا عنكم فاسكتوا (أمورٌ لا تعرفون كيف تخوضون فيها أتركونا وشأننا وهناك أمورٌ لا

نستطيع أن نقولها) فاسكتوا ولا تبحثوا فوالله لعلي بن أبي طالب كان أحق بالخلافة كما كان رسول الله ﷺ أحق بالنبوة من أبي جهل، وقال أزيدك؟ (عبادة بن الصامت يقول لأحمد بن همام: أزيدك؟ ماذا يزيدك يقول له: ذات يوم كنت مع رسول الله ﷺ وإذا بثلاثة أشخاص يدخلون.. دخل فلان ثم دخل فلان، ثم دخل علي وإذا بوجه رسول الله ﷺ قد تغير..). يقول عبادة: فكأنما سُفِّي علي وجه رسول الله ﷺ الرماد قال: يا علي أيتقدمانك؟!... ارتبك الرجلان فقال أحدهما: سهوت، وقال الآخر: نسيت، قال رسول الله ﷺ: ما نسيتما ولا سهوتما وكأني (...). ولكأني بأهل بيتي وهم المقهورون المشتتون في أقطارها وذلك الأمر قد قضي... ثم بكى رسول الله ﷺ... حتى سالت دموعه... ثم قال: يا علي الصبر الصبر حتى ينزل الأمر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإن لك من الأجر في كل يوم ما لا يحصيه كتابك فإذا أمكنك الأمر فالسيف السيف، فالقتل القتل حتى يفيؤوا إلى أمر الله وأمر رسوله فإنك على الحق ومن ناوأك على الباطل وكذلك ذريتك إلى يوم القيامة.

وربما تسأل إذا كان هذا الأمر سيقع فلماذا يتحدث عنه المصطفى الحبيب ﷺ بوضوح؟ ألم يكن كتمان أفضل حتى لا يشجع القوم على ما فعلوه؟.. والجواب: بالعكس تماماً إذا كان هذا الأمر واقعاً فلا بد من التحذير لكي يكون واضحاً للمسلمين أين هو المسار الصحيح، أين هو الإسلام المحمدي الأصيل، ثم لنتنبه أن المصطفى الحبيب ترك الأمر مبهماً فإذا أمكنت أمير المؤمنين الفرصة فالسيف السيف، والقتل القتل<sup>(١)</sup>.

**الرواية الثانية:** أوردها ابن أبي الحديد في «شرح النهج» وخلصتها: أن سائلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام: يا أمير المؤمنين لو كان لرسول الله ﷺ ولد يستحق أن يكون خليفة هل كان القوم يسلمون الخلافة إليه؟ فيقول أمير المؤمنين: كلاً.. كانوا يقتلونهم إلا أن يفعل كما فعلت.. لنستمع إلى النص:

قيل لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين أرأيت لو كان رسول الله ﷺ قد ترك ولداً ذكراً قد بلغ الحلم وأنس منه القوم الرشد أكانت العرب تسلم إليه أمرها؟

(١) وتجدها في الاحتجاج للطبرسي ١/٢٩١؛ وفي بحار الأنوار للمجلسي ٢٩/٤٢٥.

قال: لا، بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلت، ولولا أن قريشاً جعلت اسمه (أي اسم رسول الله ﷺ) ذريعة إلى الرئاسة وسلاماً إلى العز والإمرة لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً<sup>(١)</sup>.

أي لولا أن قريش رأت أن اسم رسول الله ﷺ وسيلة للوصول إلى الحكم لما تظاهرت بالإسلام بعد المصطفى الحبيب يوماً واحداً. هذه هي الأجواء التي نقرأ فيها عن مواقف الزهراء عليها السلام والتي أطلقت فيها للأجيال خطبتها الفصل.

عندما تلقي نظرة سريعة على أهم عناوين هذه الخطبة المباركة نجد أنها عليها صلوات الرحمن كانت تريد أن تثبت حقائق الإسلام ومفاهيمه في خطبة تاريخية خالدة، بل هي السند الأقوى على الخط الإسلامي المحمدي الأصيل تبدأ الخطبة بالحديث عن توحيد الله تعالى ثم الحديث عن اختيار المصطفى الحبيب قبل أن يخلق الله تعالى الخلق «إذ الخلائق بالغييب مكنونة»، ثم تتحدث باختصار عن البعثة وعن الشهادة، ثم تتحدث عن جملة من العناوين الإسلامية الأبرز، الصوم تثبيتاً للإخلاص وما بعده. ثم ترجع إلى الحديث بالتفصيل عن أجواء البعثة والحروب التي خاض غمراتها المصطفى الحبيب عليه السلام إلى أن تصل إلى الظرف الذي كانت فيه: فلما اختار الله عز وجل لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفياؤه ظهرت فيكم حسيكة النفاق، - الحسيكة: الضغينة والحقد، وسمل جلباب الدين أصبح ثوب الدين بالياً ونطق كاظم الغاوين - المراد هم الضالون الذين كانوا ساكتين فنطقوا، ونبغ حامل الأقلين الذي كان يأتي في آخر قافلة المسلمين، أصبح يأتي في الطليعة. وهدر فنيق المبطلين الفنيق: «الفحل» وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم - الخطاب هنا موجه إلى المهاجرين والأنصار وثمة خطاب خاص بالأنصار - فألفاكم لدعوته مستجيبين وللغرة فيه ملاحظين ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً هذا والعهد برسول الله عليه السلام قريب والكلم رحيب؟ الكلم: هو الجرح أي الجرح لفقد المصطفى كبير، هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل تُسرون حسواً في ارتغاء، الذي يشرب الحليب وعلى وجهه رغبة يتظاهر بأنه يشرب الرغوة ولكنه في الأثناء يسرق من الحليب أي يتظاهر بشيء ويسر شيئاً لذا

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج ٢٠/٢٩٨، وتأتي تنمة النص في الحديث رقم ٤ فلاحظ.

يقال له: تسرُّ حسواً في ارتغاء، تسرُّون حسواً في ارتغاء وتمشون لأهله وولده (أو وولده) في الخمر والضراء، المراد هنا: كنتم كالصياد يكمن في مكان خلف الشجر تارة لا يكاد يخفيه. . وتارة يخفيه جيداً ليستطيع أن ينال من فريسته ونصبر منكم على مثل حز المدى ووخز السنان في الحشا وأنتم تزعمون أن لا إرث لنا ﴿أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ .

بعدئذ تدخل في محاجة أبي بكر، بعد ذلك تتحدث مع الأنصار ثم تؤكد أنها تعرف أن الأنصار لن ينصروها، لن ينصروا علياً عليه السلام.

تقول عليها صلوات الرحمن: ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم والغدرة التي استشعرتها قلوبكم ولكنها فيضة النفس. . . إلى قولها عليها السلام وتقدمة الحجة حجة عليهم وحجة للأجيال عندما تريد تحديد الموقف الذي لا يمكن أن يكون سليماً إلا في ضوء هذا الموقف الفاطمي الإلهي الفريد . كانت عليها السلام تخاطب الأجيال. . القادمة. . ألا تذكر أن مصحف فاطمة يتضمن ما يجري على ذريتها. . نعم كانت عليها السلام تتطلع إلى الأجيال إلى كل فردٍ يمكنه أن يلبي دعوة رسول الله ﷺ. . فدعوة الزهراء عليها السلام ودعوة أمير المؤمنين وأهل البيت ليست شيء آخر غير دعوة المصطفى الحبيب هذه الدعوة التي أصبحت تتجسد الآن في دعوة مولانا صاحب العصر والزمان «أرواحنا فداء» وتتجسد حركتها السياسية في ثمرة الإسلام في هذا العصر الجمهورية الإسلامية بقيادة ولي أمر المسلمين دام ظله، والتي يشكل التزامها لقضية المسلمين الأولى (فلسطين) الدليل الأوضح على سلامتها في البعد السياسي من الزيغ والتحريف .

أيها الحبيب: ما هو واجب الأجيال تجاه هذا الخطاب الفاطمي؟ لنستحضر أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام لم يتصد في تلك المرحلة، كان مأموراً بالصبر، الزهراء عليها السلام هي التي تصدت، ما معنى ذلك؟ معناه أن تراقب الأجيال مواقف الزهراء في تلك الفترة الحرجة وتحاول معرفة الإسلام المحمدي الأصيل من خلال مواقف الزهراء عليها السلام.

إذا أردت أن أقف عند بعض الدلالات لتصدي مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام فينبغي أن أؤكد في البداية على أن من الدلالات أن استمرار

الإسلام رهن مواقف الزهراء عليها السلام. ولكي نستوعب أهمية هذه النقطة يجب أن ننتبه إلى مايلي:

هناك نمطان في الحديث عن ظلامه الزهراء عليها السلام في الدائرة الشيعية. نمط يريد أن يوحى لنا أن ظلامه الزهراء على الهامش، فالصراع كان موجوداً بين علي عليه السلام وبين المناوئين له و على هامش هذا الخلاف وقعت ظلامه الزهراء عليها السلام هذا الفهم خاطئ.

النمط الآخر أن الحجة التي يعرف بها الإسلام المحمدي الأصيل ينبغي أن يبحث عنها في تلك الفترة النوعية في ظلامه الزهراء عليها السلام ينبغي أن لا توضع ظلامه الزهراء على الهامش على الإطلاق وإنما هي المدخل، فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام مأموراً بالصبر ولذلك نجد الموقف البارز هو موقف الزهراء عليها السلام ولم تأت الخطبة الشقشقية التي هي السند الثاني الأكبر بعد وفاة المصطفى الحبيب إلا بعد خمسة وعشرين عاماً ولم يتصد في أجواء السقيفة أحد غير الزهراء عليها السلام وعندما نريد أن نبحث عن الحجة الأبرز . . . لا أقول أنه لا توجد روايات وأحاديث، وحجج تامة جداً وشديدة القوة والوضوح بلى إنها فوق الإحصاء ولكن عندما نريد أن نبحث عن الحجة الأقوى والأبرز والأشد وضوحاً التي يمكن أن يقف عندها العدو والصديق البعيد والقريب نجد أن مواقف الزهراء عليها السلام هي الحجة الأقوى، هذا الأمر يجعلنا ننتبه إلى خطورة أدنى تقليل من شأن ماجرى على الصديقة الكبرى .

والدلالة الثانية: أن التأكيد على كل مفردة من مفردات ظلامه الزهراء تأكيد على الإسلام المحمدي الأصيل حيث أنه تأكيد على أقوى حجة يمتلكها الإسلام لإثبات المسار الصحيح وتمييزه من مسار مسجد الضرار. إن التأكيد على كل مفردة من المفردات أمر ضروري.

والدلالة الثالثة: أن إضعاف أية مفردة من مفردات ظلامه الصديقة الكبرى عليها السلام هو إضعاف للإسلام المحمدي الأصيل كيف؟

عندما نتحدث عن فدك أو نتحدث عن إحراق الباب، أو نتحدث عن سقط الجنين أو عن ضرب مولاتنا الزهراء عليها السلام فإننا لا نتحدث عن ذلك لمجرد

استثارة العواطف وإنما لأن في هذه المفردات السند القوي على الإسلام المحمدي الأصيل الذي ينبغي أن ندين الله عزَّ وجل به ونتبعه ونلتزمه، عندما نجد أن علماء سنّة يؤكّدون على هذه المفردات ومنهم من كبار القوم فلماذا التشكيك في هذه المفردات يا ترى؟ في معرض حديثه عن إسقاط جنين زينب (بنت رسول الله ﷺ) عند محاولة خروجها من مكة إلى المدينة قال ابن أبي الحديد في «شرح النهج»:

«فَرَوَّعَهَا هُبَارٌ بِالرَّمْحِ وَهِيَ فِي الْهُودِجِ، وَكَانَتْ حَامِلًا (. . .) فَلذَلِكَ أَبَاحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ دَمَ هُبَارِ بْنِ الْأَسْوَدِ.

أضاف: وهذا الخبر قرأته على النقيب أبي جعفر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: إذا كان رسول الله ﷺ أباح دم هبار بن الأسود لأنه رَوَّعَ زينب فألقت ذا بطنها، فظهر الحال أنه لو كان حياً لأباح دم من رَوَّعَ فاطمة حتى ألقت ذا بطنها.

فقلت: أروي عنك ما يقوله قوم إن فاطمة رُوِّعَتْ فألقت المحسن فقال: لا تروه عني ولا تروعني بطلانه فإني متوقف في هذا الموضوع لتعارض الأخباري عندي فيه».

قال العلامة المجلسي بعد نقله ما تقدم:

«ظاهراً أن النقيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عمل التقية في إظهار الشك في ذلك، من ابن أبي الحديد أو غيره، وإلا فالأمر أوضح من ذلك كما سيأتي في كتاب الفتن».

أؤكد: إنما نطرح هذه الأمور من باب الموازنة بين أمرين حفظ الإسلام المحمدي الأصيل من جهة وحفظ وحدة المسلمين وقوتهم، نوازن فنرى أنّ حفظ الإسلام ينبغي أن يكون في الأولوية وفي الطليعة لذلك نحصر على الحديث عن ظلامه الزهراء ونحصر على التأكيد أن مولاتنا الزهراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ هي المقياس . . . دون أن يفت ذلك من عضدنا في التزام مبدأ الوحدة قيد أنملة.

في الختام أيها الحبيب درسٌ عملي بالإضافة إلى الدروس الكثيرة في العبادة والورع وغير ذلك هو درس الجهاد في سيرة مولاتنا الزهراء عليها صلوات الرحمن، هي أم المجاهدين وأم الأسرى وأم الجرحى وأم الشهداء، إذا أردنا أن

نكون فاطميين، مع الزهراء، لترضى عنا ﷺ فينبغي أن نكون في خط الجهاد ونحن في عصر لا يصح أن يحرم الإنسان نفسه من التطلع إلى الشهادة. ما أسوأها من عاقبة أن يحرم الإنسان الشهادة وقد فتحت أبوابها في عصر نرى فيه كيف يقتحم فيه المجاهدون في فلسطين وفي المقاومة الإسلامية في لبنان سوح الجهاد، علينا أن نكون معهم ونبحث عن رضا الزهراء ﷺ في خدمتهم بل في الحرص على أن نكون منهم وما ذلك على الله تعالى بعزيز.

والحمد لله رب العالمين.

## (٤)

### هل نعرف الزهراء عليها السلام

- \* تمهيد .
- \* حذار من المعرفة الباهتة . . والسطحية والارتجال .
- \* الرواية الأولى : على معرفتها دارت القرون الأولى .
- \* رأي المحقق النجفي .
- \* الرواية الثانية : سميت الزهراء لأن الله تعالى خلقها من عظمته .
- \* الرواية الثالثة : أن الله تعالى خلقهم من نوره وعرض ولايتهم على أهل السموات والأرض وأنها شرط قبول الأعمال .
- \* أشد الناس حسرة يوم القيامة . . من عرفهم ولم يستقم . .
- \* ولايتهم الغنى والسعادة . . لأنها ولاية الله تعالى . .
- \* الرواية الرابعة : بضعة مني . . يؤذيني ما آذاها .
- \* رأي علماء سنة القسطلاني ، النووي ، المناوي . . وآخرين . .
- \* تذييل حول أنواع الأذى واللعن .
- \* الرواية الخامسة : أشهدهم الله تعالى خلق الأنبياء وقرن طاعته بطاعتهم . .
- \* الرواية السادسة : لولا علي لم يكن لها كفو . .
- \* عدة روايات . . بهذا المضمون والاستدلال بها على أفضليتها على النبيين ما عدا المصطفى ﷺ .
- \* الرواية السادسة : مصحف فاطمة . . ونزول جبرئيل وميكائيل وإسرافيل . . ووقوفهم تأدباً . .
- \* قصة مؤمن عادي حفظ القرآن في لحظة . . وشهد بحفظه المراجع الكبار . .
- \* ختام : على أبواب الشهادة ، حزن أبي الحسن . . وحزنها لغربته ﷺ . .



## (٤)

كل الأيام فاطمية . . إلا أن لهذه الأيام خصوصيتها من هنا كان الوقوف على عتبة قُرة عين الرسول ﷺ أكثر إلحاحاً .

مصعب الحديث إذا قَدَّرَ اللهُ تعالى معرفة الزهراء عليهنَّ السلام .

هل نعرف الزهراء عليها صلوات الرحمن؟

المراد بالمعرفة المسؤول عنها هو بالتأكيد غير تلك المعرفة الباهة التي تجتمع مع إنكار الكثير من مقامات الزهراء عليهنَّ السلام بل تجتمع مع الكثير مما يتنافى مع عظمتها عليها صلوات الرحمن .

المقصود هو المعرفة المحرّكة، المعرفة الحقيقية التي تجعلنا نطل ولو من بعيد على مكامن العظمة في شخصية مولاتنا الزهراء عليهنَّ السلام وندرك كذلك ولو من بعيد منزلتها بالنسبة إلى الأنبياء والأولياء جميعاً عليهم صلوات الرحمن .

إذا ينبغي أن نحاول التعرف بشكل أفضل وأدق على المعصومين جميعاً ومنهم الصديقة الكبرى صلوات الله وسلامه عليها .

أيها الحبيب . . حذار من ادعاء المعرفة، حذار من وهم المعرفة، من زيف المعرفة . . لتذكر أن الروايات كثيرة في الحث على معرفة المصطفى الحبيب وآله الأطهار «صلى الله عليه وعليهم» حتى أننا عندما نقرأ عن زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام نجد شرط «عارفاً بحقه» «من زاره عارفاً بحقه» كذلك حول غيره من الأئمة عليهم السلام ، فقد ورد في الروايات مصطلح «عارفاً بحقهم»<sup>(١)</sup> .

المعرفة التي هي شرط يتم الحديث عنها مع الشيعة الذين يفترض بأدناهم مرتبة أنه يمتلك تلك المعرفة الباهة الإجمالية .

---

(١) انظر: الصراط المستقيم، للبياضى العاملي ٢/١٤٥؛ والجواهر السننية للحر العاملي، ص ٢٦٩؛ والبحار ٢٦/٢٨٦ .

إن التأكيد على المعرفة بحقهم ﷺ يشير لنا إلى ضرورة التعمق ومغادرة الارتجال والسطحية وعدم الوقوف عند السقوف التي قد يضعها جهلنا .

لننتبه إذاً إلى أن المعرفة المطلوبة تختلف كثيراً عما هو السائد والمتداول .

سأذكر رواياتٍ مختارة في حدود ما يسمح به الوقت من شأنها أن تقربنا بعض الشيء في طريق معرفة مولاتنا عليها صلوات الرحمن .

**الرواية الأولى :** عن الإمام الصادق ﷺ يتحدث عن زواج المولى أمير المؤمنين ومولاتنا الزهراء إلى أن يقول في آخر الحديث وهي «الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى»<sup>(١)</sup> .

أترك الحديث هنا لأحد علمائنا الأجلاء وهو المحقق أبو الحسن النجفي في كتاب ملتقى البحرين يتحدث حول هذه الرواية على ما نُقل عنه فيقول :

إنَّ المراد من القرون ( . . ) قرون جميع الأنبياء والأوصياء وأممهم من آدم فمن دونه ، حتى نفس خاتم الأنبياء «صلى الله عليه وآله أجمعين» .

يضيف : يعني ما بعث الله عزَّ وجل أحداً من الأنبياء والأوصياء حتى أقروا بفضل الصديقة الكبرى ومحبتها ، ثم يقول : ويؤكد ذلك ما ذكره السيد هاشم البحراني «رضوان الله تعالى عليه» في كتاب مدينة المعاجز نقلاً عن الإمام الصادق ﷺ وهو قوله : «ما تكاملت النبوة لنبي حتى أقرَّ بفضلها ومحبتها»<sup>(٢)</sup> .

إذاً كل نبي كان لا بدَّ له من الإقرار بفضل مولاتنا الزهراء ومحبتها ، وفي جميع أدوار الأنبياء كانت معرفتها ﷺ محوراً . . من أراد الله تعالى لا بد وأن يبدأ بها ليتمكن الوصول . . إن علينا في ضوء ذلك أن نبحث عن مكان العظمة في

---

(١) رواه الشيخ الطوسي مسنداً في الأمالي في مجلس يوم الجمعة سلخ رجب ، ص ٦٦٨ ، ط . مؤسسة البعثة ، المعجم الفقهي ، الإصدار الثالث ؛ وأورده عنه في البحار ١٠٥ / ٤٣ ؛ وأورده في مستدرک سفينة البحار ٢٤٨ / ٨ عن مجمع النورين للمرندي . انظر ص ٣٤٠ نقلاً عن «المناقب» المرتضوي وص ٥٠٢ عن أمالي الشيخ ، وأشار إلى هذا المضمون آية الله الكمباني في ديوانه الأنوار القدسية ، ص ٣٧ فقال : وحبها من الصفات العالية عليه دارت القرون الخلاية .

(٢) الرحماني الهمداني ، فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ، ص ٨٦ .

شخصيتها على هذا الصعيد . ما هو موقعها عند الأنبياء جميعاً، وكيف كانوا يتوسلون إلى الله عزَّ وجل بها .

**الرواية الثانية:** عن الإمام الصادق عليه السلام : «إنما سميت الزهراء لأن الله عزَّ وجل خلقها من نور عظمته فلما أشرقت أضاءت السموات والأرض بضوء نورها وغشيت أبصار الملائكة وخرت الملائكة لله ساجدين وقالوا: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله تعالى إليهم: هذا نورٌ من نوري أسكنته في سمائي وخلقته من عظمتي أخرج من صلب نبيٍّ من أنبيائي أفضله على جميع الأنبياء وأخرج من ذلك النور أئمةً يقومون بأمرى ويهدون إليّ خلقي وأجعلهم خلفائي في أرضي»<sup>(١)</sup> .

إذاً نور مولاتنا الزهراء من نور الله عزَّ وجل خلقه الله سبحانه وتعالى من عظمته .

ما العلاقة بين هذا وبين تعبير الإمام الخميني عن مولاتنا الزهراء عليهن السلام بأنها موجودٌ جبروتي<sup>(٢)</sup> . . ما العلاقة بين هذا والاقتران الدائم بين الحديث عن النور والحديث عن مولاتنا الزهراء . . هذا ما يجب الوقوف على سفحه . . يمكننا أن نفهم منه بمقدار تزكية نفوسنا . . التي تقربنا من الحقائق بقدرها . . واتقوا الله ويعلمكم الله .

**الرواية الثالثة:** عن رسول الله ﷺ في حديث الإسراء . . أن الله عز وجل قال له: « . . . يا محمد إني خلقتك وخلقته علياً وفاطمة والحسن والحسين من شبح (سنخ) نور من نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السموات والأرض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدتها كان عندي من الكافرين، يا محمد لو

---

(١) الطبري، الشيعي، نوادر المعجزات، ص ٨٢؛ وأورده ابن سليمان الحلبي، القرن التاسع في كتابه المحتضر باختلاف يسير، ص ١٣٢، ١٣٣ مرويّاً عن رسول الله ﷺ، كما أورده الحر العاملي في الجواهر السننية، ص ٢٤٠ عن الإمام الصادق عليه السلام، والمجلسي في البحار ٤٣/١٢٠؛ والإربلي في كشف الغمة ٢/٩٢؛ والحلي في العدد القوية، ص ٢٢٧.

(٢) يأتي ذكر النص والمصدر «صحيفه نور».

أن عبداً من عبادي عبدني حتى ينقطع ويصير مثل الشن البالي ثم أتاني جاحداً بولايتكم ما غفرت له حتى يقرّ بولايتكم...»<sup>(١)</sup>.

أيها الحبيب.. لنقف بعض الشيء عند نعمة الولاية التي من الله عزّ وجل بها علينا بمجرد أننا وصلنا إلى حب أهل البيت عليهم السلام.

هل نعرف العقبات التي وفقنا الله تعالى لاجتيازها والحجب التي أزيلت فوصلنا إلى أعتابهم وأصبحنا نلهج باسمهم إن هذا التوفيق عظيم ونعمة كبرى **﴿وأتممت عليكم نعمتي﴾** ومن واجبنا شكر هذه النعمة مجرد أننا وصلنا إلى هنا فهذا أمر عظيم.. ولا يمكن شكر النعمة إلا إذا حافظنا على ما وصلنا إليه وبذلنا الجهد لكي نحصل من الله تعالى على المزيد في مجال معرفتهم أولاً.. والافتداء بهم ثانياً.. فليس كل من عرفهم سيواصل السير في خطهم وهداهم.. ومن انقلب على عقبيه بعد معرفتهم.. ولوتلك المعرفة الإجمالية فهو بالتأكيد أشدّ الناس حسرةً وندامةً في الآخرة لأنّ الأمور تنكشف آنذاك فيصبح يرى بكل وضوح أن أقرب الخلق إلى الله عزّ وجل هم المصطفى الحبيب وآله الأطهار وهو في الدنيا وصل إلى مرحلة كان قريباً منهم نسبياً.. ولو أنه أكمل وسار في الطريق إلى آخره فأية مرتبة كانت له في الآخرة ولكن بما أنه قصّر وسمح للشيطان أن يوسوس له فيرتكب المعاصي، تراكت المعاصي حتى تسببت في سلبه حبّ أهل البيت عليهم السلام فمات على غير الأيمان فلذلك يكون أشدّ الناس حسرةً في يوم القيامة «اللهم أعنا على أنفسنا».

أشير بالمناسبة إلى أمر تمس حاجتنا إليه وهو على علاقة بالولاية.. هذا الأمر يمكننا من مواجهة التحديات التي نعيشها، يمكننا من التغلب على الهموم.. ما من إنسان منا إلا وهو يواجه مشاكل مختلفة.. كثيراً ما يصل الإنسان إلى الاحباط ينظر في نفسه فيرى أنه فقير، مريض، يرى أنّ السبل قد سدّت في وجهه

---

(١) الشيخ الطوسي، العيّبة، ص ١٤٨. وانظر: الطرائف للسيد ابن طاووس، ص ١٧٢ نقلاً عن الخطيب الخوارزمي، وكتاب الأربعين للقمي الشيرازي، ص ٣٥٤؛ والبحار المجلسي ٢٧/٢٠٠؛ وفيه «سنخ» بدلاً من شخ و٢٦/٢٦٢؛ وكشف الغمة للإربلي ٢/٩١.

فيعيش الإحباط لنتبه هنا أيها الحبيب إلى أننا أغنياء جداً حتى إذا كنا في منتهى الفقر المادي . . لنتبه إلى أن لدينا حتى عندما نكون في غاية المرض . . والضيق أهم أسباب السعادة، لنتبه إلى أننا نمتلك من خلال ولاية المصطفى الحبيب وأهل البيت «صلى الله عليه وعليهم» التي هي الوجه الآخر لولاية الله عز وجل، ما يجعلنا إذا فكرنا في هذه الخصوصيات أن نشعر بمكان القوة فينا فنقوى على مواجهة التحديات، فلا نحيد عن خط رضا الله تعالى . . والاستعداد للآخرة . . مع الأخذ بنصيب من الدنيا وهذه هي خلاصة فائدة التوسل ولا يتسع المقام للمزيد .

**الرواية الرابعة:** عن رسول الله ﷺ: «إنما فاطمة بضعة<sup>(١)</sup> مني من أذاها فقد أذاني، ومن أحبها فقد أحبني، ومن سرّها فقد سرني»<sup>(٢)</sup>.

هذه الرواية وما يتحد معها مضموناً ويشبهها لفظاً من المضامين المستفيضة بل المتواترة في مصادر الشيعة والسنة . . وقد آثرت الوقفة معها لأنني وجدت بعض التعليقات لعلماء سنة كبار حولها.

---

(١) بضعة - بفتح الباء وقد تكسر - بمعنى القطعة من اللحم . وفي شرح صحيح مسلم للنووي ٢/١٦ البضعة - بالفتح - لا يجوز غيره .

(٢) القاضي النعمان، شرح الأخبار ٣/٣٠ والمؤلف «النعمان المغربي» من علماء القرن الرابع . وانظر: الاعتقادات للشيخ المفيد، ص ١٠٥. فقد أورد روايتين بهذا المضمون؛ والأماي له، ص ٢٦٠؛ والتعجب للكرجكي، ص ٥٥، وفيه: «من أذى فاطمة فقد أذاني ومن أذاني فقد أذى الله»؛ وأماي الشيخ الطوسي، ص ٢٤؛ وعيون المعجزات لابن عبد الوهاب، ص ٥٠؛ ومناقب ابن شهر آشوب ٣/١١٢؛ والإقبال للسيد ابن طاووس ٣/١٦٤؛ والطرائف لابن طاووس نقلاً عن صحيح مسلم؛ والجمع بين الصحيحين، والجمع بين الصحاح عدة روايات بهذا المضمون؛ والصراط المستقيم للبيضاوي ١/١٧٠، أورد حديثاً من صحيح مسلم وقال في آخره: «وبعض المعصوم معصوم». وانظر ٢/٢٨٢. قال الشيخ الأحمد رحمة الله تعالى في مكاتيب الرسول ١/٥٦٠، هذا الحديث متواتر بين الفريقين وقد تعرض لنقله على اختلاف ألفاظه وتحقيقه العلامة الأميني رحمة الله تعالى في الغدير ٧/٢٣١ - ٢٣٦، ثم أورد ثبوتاً بالمصادر. وانظر: فضائل الصحابة لابن حنبل، ص ٧٨؛ وشرح مسلم للنووي ٢/١٦؛ والمعجم الكبير للطبراني ٢٢/٤٠٤ بعدة صيغ.

مثلاً: الحافظ القسطلاني وهو أحد شراح صحيح البخاري، عندما يتحدث عن هذه الرواية يذكر حولها ما هذا نصه:

قال العلماء: في هذا الحديث تحريم إيذائه ﷺ بكل حال وعلى كل وجه وإن تولد الإيذاء مما أصله مباح «يعني إذا قام الإنسان بعمل مباح ولكن هذا العمل المباح الحلال يؤدي إلى أمر فيه أذى لرسول الله ﷺ فإن هذا العمل يصبح حراماً، الإيذاء حرام وإن كان متولداً من مباح» ثم يقول وهذا من خصائصه ﷺ<sup>(١)</sup>.

ويذكر «النووي» في شرح صحيح مسلم نفس النص تقريباً، وكذلك «المناوي» في «فيض القدير» ولأهمية ما تضمنه هذا المصدر أورد كلامه بالتفصيل، ليكون نموذجاً لمرتكزات الوحدة الإسلامية كاشفاً عن أن الخلاف بين المسلمين يرجع إلى مفتريات وعاظ السلاطين بتحريض وإغواء من البلاط.. وإلا

---

(١) أوردت كلام القسطلاني نقلاً عن كتاب فاطمة بهجة قلب المصطفى للرحماني، ص ٤٩، وعندما رجعت إلى المصادر وجدت أن ممن ذكر دلالة حديث: «بضعة مني.. من آذاها فقد آذاني» على حرمة إيذاء النبي بكل حال وعلى كل وجه، بالإضافة إلى القسطلاني الذي ذكر الرحماني عبارته ولم أتمكن من تحصيل نسخة إرشاد الساري، وبالإضافة إلى النووي الذي أورد الرحماني أيضاً عبارته من هامش إرشاد الساري، وتجدها في شرح صحيح مسلم ٢/١٦؛ المباركفوري في تحفة الآخوذى؛ والمؤلفون لشرح سنن ابن ماجه ١٤٤/١؛ والعسقلاني في فتح الباري ٣٢٩/٩.

والعبائر التي تكاد تكون متحدة في جميع المصادر المتقدمة وغيرها هي كما يلي:  
«في هذا الحديث تحريم إيذائه ﷺ بكل حال وعلى كل وجه وإن تولد الإيذاء مما أصله مباح». إلا أن الملاحظ أن النووي في شرحه لصحيح مسلم أقحم عبارة بينها أو نقلها عن أقحمها أو أقحمت في كتابه، قال: قال العلماء في هذا الحديث تحريم إيذاء النبي ﷺ بكل حال وعلى كل وجه وإن تولد ذلك الإيذاء مما كان أصله مباحاً وهو حي وهذا بخلاف غيره.

فإن قيد وهو حي.. إلخ. لا وجود له في أكثر المصادر المتقدمة.. وهو بعد مناف لما تقدم منه من شمول الإطلاق لكل حال وعلى كل وجه.. كما أنه مشعر بمحاولة تبرئة من آذاها بعد وفاته ﷺ.. والحق أن الحديث الشريف مطلق يشمل الحاليتين.. خصوصاً وأن هناك تصريحاً منه ﷺ: «من آذاها بعد موتي كمن آذاها في حياتي». القمي، بيت الأحران، ص ١٧٢ نقلاً عن البحار ٢٠٣/٤٣ - ٢٠٤.

فإن المنهل الذي يستقي منه الفريقان في الأصل واحد . . وكاشفاً كذلك عن عظيم منزلة الصديقة الكبرى عند المسلمين جميعاً، الذي يبلغ حد تكفير من يتجرأ على قدسيته وإن كان في مقام المدح إلا أنه يورد ما يدل على القدح والعياذ بالله تعالى .

جاء في كتاب «فيض القدير»: «فاطمة ابنته(كذا) بضعة - بفتح أوله - وحكي - ضمه وكسره وسكون المعجمة - والأشهر الفتح أي جزء مني كقطعة لحم مني، فمن أغضبها بفعل ما لا يرضيها فقد أغضبني». استدلل به السهيلي على أن من سبها كفر لأنه يغضبه وأنها أفضل من الشيخين .

قال ابن حجر: وفيه نظر .

قال الشريف السمهودي: ومعلوم أن أولادها بضعة منها فيكونون بواسطتها بضعة منه، ومن ثم لما رأت أم الفضل في النوم أن بضعة منه وضعت في حجرها أولها رسول الله ﷺ بأن تلد فاطمة غلاماً فيوضع في حجرها فولدت الحسن فوضع في حجرها، فكل من يشاهد الآن من ذريتها بضعة من تلك البضعة وإن تعددت الوسائط، ومن تأمل ذلك انبعث من قلبه داعي الإجلال لهم وتجنب بغضهم، على أي حال كانوا عليه. اهـ.

قال ابن حجر: وفيه تحريم أذى من يتأذى المصطفى ﷺ بتأذيه، فكل من وقع منه في حق فاطمة شيء فتأذت به، فالنبي ﷺ يتأذى به بشهادة هذا الخبر ولا شيء أعظم من إدخال الأذى عليها من قتل ولدها، ولهذا عرف بالاستقراء معالجة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد .

ثم قال في «المناقب» عن المسور بن مخرمة: فاطمة بضعة - بفتح الباء على المشهور - وفي رواية: مضغة - بميم مضمومة وبغين معجمة - ذكره ابن حجر: مني يقبضني ما يقبضها أي أكره ما تكرهه وانجمع مما تنجم منه، ويبسطني ما يبسطها - أي يسرني ما يسرها - .

وساق الكلام إلى حيث يقول: قال السبكي «الذي نختاره وندين الله به: أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة ولم يخف عنا الخلاف في ذلك، ولكن إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل» . . إلى هنا كلامه .

قال الشيخ شهاب الدين بن حجر: ولوضوح ما قاله السبكي تبعه عليه المحققون قال: فأفضلهن فاطمة فخديجة فعائشة.

قال في المطامح: «...». وقد زل قدم البعض فقال: إن فاطمة إنما شرفت بالمهدي الذي يخرج منها. وهذا كفر لا غبار عليه، وسمعت بعض شيوخنا يحكيه عن السهيلي عفا الله عنه وقد كفر وامتحن من أجلها، فإنما قال ذلك من قلة الدين والاجترأ على الهوى والباطل. اهـ.

وقد اجترأ عفا الله عنه على السهيلي ونسب إليه ما لم يقله فإنه لم يقل: إنها شرفت بالمهدي كما زعمه، بل قال: إن ذلك من جملة سوّدها، وشتان ما بين التعبيرين، وعبارة السهيلي في روضه عند كلامه على خبر إنها سيدة نساء أهل الجنة ما نصّه قد دخل في هذا الحديث أمها وأخواتها وقد تكلم الناس في المعنى الذي سادت به غيرها دون أخواتها وأمها لأنهن متن في حياة رسول الله ﷺ فكان في صحيفته ومات سيد العالمين في حياتها، فكان رزؤه في صحيفتها ومميزاتها. وقد روى البزار عن عائشة أنه عليه الصلاة والسلام قال لها: هي خير بناتي لأنها أصيبت بي. ومن سوّدها أيضاً: أن المهدي المبشر به في آخر الزمان من ذريتها مخصوصة بذلك كله.

هذه عبارته بحروفها وليس فيها أنها إنما شرفت بالمهدي كما عزي إليه والتعصب يصنع العجائب.

إلى أن يقول: وفي مسند أحمد وغيره أنها لما احتضرت غسلت نفسها وأوصت أن لا يكشفها أحد فدفنها علي بغسلها ذلك. وذكر العلم العراقي أن فاطمة وأخاها إبراهيم أفضل من الخلفاء الأربعة. وساق الكلام فذكر قوله ﷺ لعلي عليه السلام: «فاطمة أحب إلي منك يا علي بن أبي طالب وأنت أعز علي منها». ثم أورد حديثاً عن أبي هريرة قال: قال علي: يا رسول الله أيما أحب إليك أنا أم فاطمة؟ فذكره. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح<sup>(١)</sup>.

وأنت ترى في هذه النصوص بوضوح أن قدسية الصديقة الكبرى من قدسية المصطفى الحبيب ﷺ، وأن إيذاء الصديقة الكبرى - بالسب مثلاً - إيذاء له ﷺ.

(١) فيض القدير ٤/ ٤٢١ - ٤٢٢، المكتبة الألفية للسنة النبوية، الإصدار الأول.

ومن آذاه فهو يستحق اللعن بنص القرآن الكريم . . قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب : ٥٧].

وبديهي أن هؤلاء العلماء الأجلاء لا يقصدون أن الإيذاء لا يتحقق إلا بالسب ، أو بالجرأة على قدسيتها عليها صلوات الرحمن باللفظ ، فلو أن شخصاً لم يسب ولم يتجرأ باللفظ ولكنه أقدم على ما هو أشنع منهما وأشد فظاظة فإن الحكم يشمله بطريق أولى . . ولعلمهم لم يكونوا يستطيعون التصريح بأكثر مما ذكروه . . أو أنهم كانوا في مقام بيان حكم «السب» أو حكم الجرأة على قدسية الصديقة الكبرى . . ولو كان من قبيل قول من زلت به قدمه ، كما تقدم في كلام صاحب المطامح .

على أي حال فإن من الضروري جداً التنبُّه إلى أهمية الجمع بين الآية المباركة التي تقدم ذكرها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إلخ . وبين هذه الرواية «يؤذيني ما آذاها» لنستنتج منهما بكل جلاء أصلاً شديد الأهمية في معرفة قدسية الصديقة الكبرى . . لتحديد موقفنا من كثير من الأمور الأساسية التي تثار بين الحين والآخر على أساس هذا الأصل الذي يمكن أن يصاغ بالطريقة التالية :

كل من آذى الله تعالى ورسوله ﷺ استحق اللعن من الله تعالى ووجب أن يلعنه اللاعنون وفلان سب الصديقة الكبرى . . أو آذاها بطريقة أخرى غير السب - والعياذ بالله - فهو ملعون ويلعنه الله تعالى ويجب أن يلعنه اللاعنون . .

وفي السياق يتضح أن اللعن مبدأ قرآني . . على العكس تماماً من السائد حول استنكاره واستهجانته .

ولا غرو . . فالقرآن الكريم حافل باللعن . . لليهود . . وللذين كفروا ولغيرهم ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ . . وأشباههم إلا أن تقول إن عنوان الذين كفروا يشمل هذه المصدايق جميعاً .

وبديهي أن للعن قيوده الشديدة . . فلا يجوز لعن إلا من ثبت جواز لعنه . . بخروجه من الدين واتباع غير سبيل المؤمنين . . ولا يصح أن تخضع عملية الإخراج من الدين للأمزجة . . بل يجب أن تبقى في دائرة اختصاص المعصوم ، فمن أخبر بخروجه من الدين أمكن لعنه أو وجب . . ومن انطبقت عليه المقاييس

التي حددها المعصوم فكذلك أيضاً، إلا أن تحديد انطباقها يجب أن يكون المرجع فيه هو المختص .

ولا مقياس أوضح مما يحدده المصطفى الحبيب ﷺ كما في هذه الرواية حول الصديقة الكبرى عليها السلام «يؤذني ما يؤذيها» لدى الجمع بين الرواية والآية الكريمة المتقدمة، ولذلك نجد أن العلماء وقفوا عند هذه الرواية وقفة المدرك لعظيم أبعادها، كما تجد ذلك بوضوح في جميع الشروح التي تناولت الرواية ودلالاتها بالتفصيل<sup>(١)</sup> .

والسبب في هذا الموقع المميز للعن في المسار العملي أن التولي لا يتم بدون التبري . . «فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله» فاللعن نفسٌ لكل الجسور التي يمكن أن تمتد بين نفس اللاعن . . وبين مستحق اللعن وبترٌ لكل الخطوط والخيوط . . مهما كان حجمها ضئيلاً حتى إذا كانت مما لا يرى إلا بالمجهر . . كل ذلك حرصاً على إيمان المؤمن وتحصيناً له لا من «حصان طروادة» وحسب . . بل من كل ما يمكن أن ينقل إليه العدوى ولو كان بحجم «ميكروب» أو جرثومة . .

وينبغي التنبه أخيراً إلى أن اللعن . . غير السب الذي نهينا عنه فنحن نجد في القرآن الكريم ﴿يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ [البقرة: ١٥٩] وهو كاشف عن مشروعية عمل اللاعنين بل مطلوبيته . ونجد كذلك ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وهو نهى عن السب والجمع بينها واضح لا يسمح المجال بتفصيله . . والله تعالى العالم .

**الرواية الخامسة:** عن الإمام الجواد عليه السلام يقول الراوي واسمه محمد: كنت عنده فأجريت الخلاف بين الشيعة (كانت هناك آراء بين الشيعة حول الأئمة عليهم السلام وذكر الراوي هذه الآراء بين يدي الإمام الجواد عليه السلام) فقال له الإمام: يا محمد إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته ثم خلق محمداً

---

(١) راجع هامش ما تقدم عن القسطلاني تجد ثبناً بقسم من هذه الشروح وهي لعلماء كبار من السنة .

وعلياً وفاطمة «سلام الله عليهم أجمعين» فمكتوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأنبياء فأشهد رسول الله وأمير المؤمنين والزهراء خلقها (أشهدهم خلق الأنبياء) وأجرى طاعتهم عليهم (يعني ألزم الأنبياء بطاعة رسول الله وأمير المؤمنين والزهراء عليهم صلوات الرحمن إلى أن قال الإمام الجواد عليه السلام : يا محمد هذه الديانة التي من تقدمها مرق ومن تخلف عنها مُحِق ومن لزمها لحق خذها إليك يا محمد<sup>(١)</sup> . .

والأحاديث بهذا المعنى كثيرة جداً . . وهي في الواقع تدور في فلك قوله تعالى: ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض﴾ . . وتجد بعض كبار العلماء السنة يصرحون بهذا المعنى أو ما يلتقي معه . أكتفي هنا بالإشارة إلى ما ذكره الشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية<sup>(٢)</sup> .

**الرواية السادسة:** وفي المصادر التي رجعت إليها لم أجد تصريحاً بالمتحدث في هذه الرواية إلا أن فيها إشعاراً بأن المتحدث هو رسول الله ﷺ . . والنص هو خطاب لأمير المؤمنين عليه السلام : «لولاك لما كان لها كفؤ على وجه الأرض» . وهناك بهذا المضمون أربعة أحاديث أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام وهي كما يلي :

**أولاً:** لولا أن الله تعالى خلق أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن لفاطمة عليها السلام كفؤ على وجه الأرض آدم فمن دونه .

**ثانياً:** لو لم يخلق الله علي بن أبي طالب لم يكن لفاطمة كفؤ .

---

(١) الحلي، المحتضر، ص ١٦٥؛ والبحراني في حلية الأبرار ١٨/١، تحقيق الشيخ غلام رضا البحراني وقد أورد الحديث مسنداً ووثق رواه وهم: محمد بن يعقوب (الكليني) عن الحسين بن محمد الأشعري عن معلى بن محمد عن أبي الفضل عبد الله بن إدريس عن محمد بن سنان. والمجلسي في بحار الأنوار ١٩/١٥ نقلاً عن الكافي ٢٤٠/٢٥ و١٩٦/٥٤.

(٢) ابن عربي، الفتوحات المكية ١١٩/١؛ وخلاصة ما ذكره أن الله تعالى عندما أراد بدء الخلق «كان يعلم» أن أقرب الناس إليه محمد ﷺ وبعده علي بن أبي طالب عليه السلام، وأسرار النبيين، وتجد في أحاديث النور من هذه الدروس ما يؤكد حقيقة وحدة نور المعصومين الأربعة عشر «عليهم صلوات الرحمن» .

ثالثاً: لولا أن أمير المؤمنين عليه السلام تزوجها لما كان لها كفؤ إلى يوم  
القيامة على وجه الأرض آدم فمن دونه .  
رابعاً: لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ<sup>(١)</sup> .

ويتحدث العلامة المجلسي حول الحديث الثالث فيقول: يمكن أن يستدل به  
على كون علي وفاطمة عليه السلام أشرف من سائر أولي العزم سوى نبينا «صلى الله  
عليهم أجمعين» . .

لا يقال: لا يدل على فضلها على نوح وإبراهيم عليه السلام لاحتمال كون  
عدم كونهما كفؤين لكونهما من أجدادها عليه السلام .

لأننا نقول: ذكر آدم عليه السلام يدل على أن المراد عدم كونهم أكفاءها مع  
قطع النظر عن الموانع الأخر، على أنه يمكن أن يتشبهت بعدم القول بالفضل .

نعم . . يمكن أن يناقش في دلالته على فضل فاطمة عليهم بأنه يمكن أن  
يشترط في الكفاءة كون الزوج أفضل . . ولا يبعد ذلك من متفاهم العرف . . والله  
يعلم<sup>(٢)</sup> ما يريده «رضوان الله تعالى عليه» هو كما يلي:

يقول: يمكننا الاستدلال بهذا الحديث على أن الزهراء عليها السلام أفضل من  
سائر الأنبياء أي باستثناء المصطفى الحبيب صلى الله عليه وسلم . . ثم يجيب من يسأله: وكيف  
ذلك؟ فيقول: إنهم جميعاً - أي من عدا سيدهم - ليسوا أكفاءها بحسب هذا  
الحديث وعلي كفؤ لها . . فنستدل بأن علياً والزهراء عليهما السلام أفضل منهم، ثم  
يطرح سؤالاً حول احتمال أن تنحصر دلالة الحديث على الأفضلية في من عدا  
إبراهيم ونوح عليهما السلام . . لماذا؟ لأنهما من أجدادها عليهما السلام ولا يمكن أن يتزوج  
الجد حفيدته .

ثم يحاول الإجابة على ذلك فيبين أن الحديث يدل على أن الزهراء عليها السلام

(١) تجد هذه الروايات في دلائل الإمامة للطبري، ص ٧٩، ٨٩٠؛ وأما الشيخ الطوسي،  
ص ٤٣؛ وكشف الغمة للإربلي ٢/ ١٠٠؛ وينايع المودة، ص ٢٤٤؛ وهامش الأنوار  
القدسية للأصفهاني الغروي، ص ٣٦ نقلاً عن المحجة البيضاء ٤/ ٢١٠، ويأتي ذكر  
مصدرها في بحار الأنوار.

(٢) البحار ٤٣/ ١٠ - ١١ .

أفضل من جميع الأنبياء باستثناء المصطفى الحبيب حتى نبي الله إبراهيم ونوح .  
والدليل على ذلك ذكر آدم ﷺ فهو أبوها . . مما يدل على أن معنى الرواية  
هكذا: لولا علي لم يكن لها كفؤ آدم فما دونه . . إذا لم يكن هناك مانع من  
الزواج . . إلا أنه لا يرى هذا الجواب شافياً ولذلك يقول: «على أنه يمكن أن  
يتشبه بعدم القول بالفضل» وربما كان السبب في ذلك أن أجدادها ﷺ  
خارجون تخصصاً عن موضوع الحديث .

ثم يتراجع ﷺ بعض الشيء فيقول ما حاصله: يمكن النقاش بأن هذه  
الرواية تدلنا على أن الزهراء ﷺ وأمير المؤمنين «سلام الله عليه» في نفس  
مستوى الأنبياء الآخرين باستثناء رسول الله ﷺ فهما ليسا أفضل منهم إلا أنهما  
في نفس مستوى الأنبياء . . لماذا؟ لأن الزوج عادةً في العرف يكون أفضل من  
الزوجة . . فالحديث هنا يريد أن يقول لنا إنهم ليسوا أفضل منها يعني أنهم من  
مرتبها . . بماذا يستدل على ذلك؟ يستدل عليه بالفهم العرفي الذي يشترط كون  
الزوج أفضل كما لم يستبعد ﷺ وإن لم يجزم . .

وأعيد ذكر عبارته في هذا الصدد: «نعم يمكن أن يناقش في دلالة على  
فضل فاطمة ﷺ عليهم (على الأنبياء) بأنه يمكن أن يشترط في الكفاءة كون  
الزوج أفضل ولا يبعد ذلك من متفاهم العرف» يعني أن الفهم العرفي يقول لنا: أن  
الزوج ينبغي أن يكون أفضل لكن كلامه «عليه الرحمة» يمكن أن يناقش بأن  
محور الكفاءة في الحديث الشريف هو الإيمان واليقين وسمو مرتبة القرب من الله  
تعالى . . فمعنى الكفؤ في الزواج متمحض في ذلك . . لقول رسول الله ﷺ:  
«المؤمن كفؤ المؤمنة» .

وبناءً على ذلك . . فما هو المقصود من طرح الفهم العرفي . . أو متفاهم  
العرف؟

إذا كان المراد أن العرف يشترط في الزوج أن يكون أفضل في الإيمان فهو  
ممنوع وإذا كان المراد أن العرف يشترط في الزوج أن يكون أفضل في غير الإيمان  
فهو أجنبي عما نحن فيه ولا علاقة له به . . ويمكن تأييد ذلك بما ذكره علم الهدى  
في أماليه حول قوله تعالى ﴿والله سريع الحساب﴾ حيث قال: وإنما جاز أن يعبر  
عن المجازاة أو الجزاء بالحساب لأن ما يجزى به العبد هو كفؤ لقوله وبمقداره

فهو حساب له إذا كان مماثلاً متكافئاً<sup>(١)</sup> . . . فالكفو هو المساوي والنظير كما تصرح به كتب اللغة<sup>(٢)</sup> .

وتجدر الإشارة إلى أن العلامة المجلسي رحمه الله تعالى يصرح بأفضلية جميع المعصومين الثلاثة عشر على جميع الأنبياء باستثناء رسول الله ﷺ ، كما يأتي تحت عنوان «منهج البحث عن عظمتها ﷺ» إلا أن نقاشه هنا كان في دلالة هذه الرواية على ذلك . . وإلا فإن الأدلة على أفضليتها عليها صلوات الرحمان كثيرة جداً أيسرها ما تواتر لدى المسلمين جميعاً حول الصديقة الكبرى : «بضعة مني» . قال البياضى في الصراط المستقيم «وبعض المعصوم معصوم» فالبحث عن عظمتها ﷺ يجب أن يكون في قلب البحث عن عظمته ﷺ . ويأتي مزيد إيضاح إن شاء الله تعالى .

**الرواية السادسة :** وهي حول مصحف فاطمة ﷺ ومعها نجد أننا أمام رواية شاملة في هذا المجال قلما يتم تدوالها على شديد أهميتها مصدراً ودلالة . . . حيث أنها تسلط الضوء على بعض مكامن العظمة في شخصية مولاتنا عليها صلوات الرحمن وقد وردت الرواية عن الإمام الباقر ﷺ أوردتها المؤرخ والعالم الثبت ابن جرير الطبري صاحب كتاب «دلائل الإمامة» وهو من علمائنا المتقدمين وليس هو الطبري المؤرخ المعروف وقد أورد الرواية بسنده إلى أبي بصير الذي يقول : سألت أبا جعفر محمد بن علي عن مصحف فاطمة فقال : انزل عليها بعد موت أبيها قلت : ففيه شيء من القرآن ، فقال : كلا (لا يوجد فيه شيء من القرآن) فقلت : صفه لي ، يصفه الإمام الباقر ﷺ وصفين : أولاً : من حيث الشكل ثم من حيث المضمون وكلا الوصفين مهمان . .

الوصف الأول للشكل : قلت : فصفه لي . قال : دفتان من زبرجدتين<sup>(٣)</sup> (الدفتان غلاف الكتاب من الجهتين) وعلى طول الورق وعرضه حمراوين

(١) السيد المرتضى علم الهدى، الأمالي ٥٤/٢ .

(٢) صحاح الجوهري «كفو» وفيه : والكف : النظير وكذلك الكفو والكفو . . . ( . . . ) والتكافؤ : الاستواء يقال : المسلمون تتكافأ دماؤهم .

(٣) في بعض نسخ الدلائل «من زبرجد» وما أثبتته هنا موافق لنسخة المعجم الفقهي، الإصدار الثالث وهي ط . مؤسسة البعثة، الأولى، ص ١٠٥ .

(الزبرجد في دفتي الكتاب أحمر، فلون الدفتين أحمر) قلت: جعلت فداك فصف لي ورقه! قال: ورقه من دُرٍ أبيض قيل له: كن فكان.

الوصف الثاني للمضمون: يقول أبو بصير: قلت: جعلت فداك.. فما فيه؟ (وأبو بصير موضع) أسرار أهل البيت عليهم السلام فمن الطبيعي أن يتميز مضمون رواياته عن غيره.. خاصة في شؤون الولاية.

قال عليه السلام: فيه خبر ما كان وخبر ما يكون إلى يوم القيامة وفيه خبر سماء سماء كل سماء بما فيها، وعدد ما في السموات من الملائكة وغير ذلك، وعدد كل من خلق الله مرسلاً وغير مرسل وأسمائهم (أي الأنبياء المرسلين وغيرهم بأسمائهم) وأسماء من أرسل إليهم، وأسماء من كذب ومن أجاب، وأسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين، من الأولين والآخرين، وأسماء البلدان وصفة كل بلد في شرق الأرض وغربها، وعدد ما فيها من المؤمنين، وعدد ما فيها من الكافرين، وصفة كل من كذب، وصفة القرون الأولى، ومن ولي من الطواغيت، ومدة ملكهم وعددهم، وأسماء الأئمة وصفتهم، وما يملك كل واحد واحد.. إلى أن يقول الإمام الباقر عليه السلام وصفة أهل الجنة، وعدد من يدخلها، وعدد من يدخل النار، وأسماء هؤلاء الذين يدخلون الجنة، وهؤلاء الذين يدخلون النار، وفيه علم القرآن كما أنزل وعلم التوراة كما أنزلت، وعلم الإنجيل كما أنزل، وعلم الزبور إلى أن يصل الحديث إلى كيفية نزول هذا المصحف، الذي ليس قرآناً ولا تشريعاً.

وقبل ذكر هذا المقطع أشير إلى أن ما تسمعه لا ينافي الرواية المعتبرة التي وردت في الكافي الشريف على حد تعبير الإمام الخميني «رضوان الله عليه» والمتضمنة أن جبرئيل عليه السلام كان ينزل ويحدثها وكان أمير المؤمنين عليه السلام يكتب ذلك.. فهذا مصحف فاطمة.. وعدم المنافاة ترتفع بمجرد التنبيه إلى احتمال أن الإمام الباقر يحدثنا هنا عن نزول دفعي، دفعة واحدة لمصحف فاطمة عليها السلام وأن تلك الرواية في الكافي تتحدث عن نزولٍ ترديجي.. أو ما شابه من وجوه الجمع الذي هو «أولى من الطرح» كما هو معروف.

يقول الإمام عليه السلام: لما أراد الله تعالى أن ينزله عليها أمر جبرئيل وميكائيل وإسرافيل أن يحملوه فنزلوا به عليها وذلك في ليلة الجمعة من (كذا) الثلث الثاني

من الليل فهبطوا به وهي قائمةٌ تصلي فما زالوا (جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ينتظرون أن تفرع المولاة من صلاتها وقفوا تأدباً مع الزهراء عليها السلام) فما زالوا حتى قعدت فلما فرغت من صلاتها سلموا عليها وقالوا: السلام يقرئك السلام ودفعوا المصحف إليها فقالت: لله السلام ومنه السلام وإليه السلام وعليكم يا رسل الله السلام، ثم عرجوا إلى السماء فما زالت من بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرأه حتى أتت على آخره..

وتسأل: مصحف لا بد وأن حجمه كبير جداً لأن فيه هذه العلوم الكثيرة، تقرأه الزهراء عليها السلام في هذا الوقت القصير كيف ذلك.

أيها الحبيب.. ما دمنا نعتقد أن الله عز وجل على كل شيء قدير فنحن هنا لا نتكلم عن قارئة عادية وعن كتاب عادي.. لتتذكر بعض الكرامات التي حصلت منها كرامة الكربلائي محمد كاظم ساروقي وهو مدفون في قم هذا الرجل كان لا يمكنه أن يحفظ شيئاً.. أحد الأشخاص الذين عرفوه وعاشوه.. وأنا أعرفه شخصياً وقد بقي معه سبعة عشر يوماً يقول: طيلة سبعة عشر يوماً أردته أن يحفظ اسمي المكون من كلمتين فلم يستطع إلا أنه بكرامة حفظ القرآن الكريم كله في لحظة وقد عرض هو شخصياً تفاصيل حفظه للقرآن الكريم لدى زيارته.. مراجع عصره أي المراجع المقدسين السيد الميلاني والسيد البروجوردي والسيد الحكيم وشهدوا بأن حفظه للقرآن الكريم كرامة وكان من عجائب حفظه أنه يقرأ كل سورة تطلب منه قراءتها من آخرها إلى أولها آية آية - أي بالمقلوب - كما يقرأها من أولها إلى آخرها أو تسأله عن كلمة مثلاً: أريد الكلمة التي رقمها (٢٠٠) في سورة البقرة ما هي فيجيبك مباشرة إلى غير ذلك من الخصوصيات الغريبة.. ولم العجب.. فنحن الآن في عصر التقدم الهائل في مجال الحاسوب «الكومبيوتر» إذا أردنا أن ننقل موسوعة البحار التي هي (١١٠ أجزاء) إلى مكان ما في الصين مثلاً.. أمكننا ذلك بكبسة زر.. وبلحظة من خلال اتصال جهازي حاسوب في المكانين بواسطة التلفون.. ويمكنك أنت أن تفعل ذلك.. فيحفظ الجهاز الآخر مائة مجلد أو آلاف المجلدات في لحظة ومع ذلك تستغرب أن تنتقل المعلومات بتقدرة الله تعالى إلى الصديقة الكبرى ما بين صلاة الفجر وزوال الشمس!!..

ينبغي أن لا نفسح مجالاً للشيطان لكي يتلاعب بعقولنا..

أرجع إلى نص الرواية:

فما زالت من بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرأه حتى أتت على آخره . . يقول أبو بصير: قلت: جعلت فداك فلمن صار مصحف فاطمة؟

قال: دفعته إلى أمير المؤمنين فلما مضى صار إلى الحسن ثم إلى الحسين ثم عند أهله حتى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر.

أيها الحبيب . . في أجواء ذكرى مولانا عليها صلوات الرحمن أختم بنصين قصيرين من أجواء شهادتها عليها السلام.

وبين يدي النص الأول:

لنتصور حال أمير المؤمنين على أبواب شهادة الزهراء عليها السلام وهو القائل بعد شهادتها: أما ليلي فمسهد . . وأما حزني فسرمد . .

كيف كان حاله عليه السلام قبيل الشهادة . . وهو الذي ينسب إليه قوله:

وإن افتقادي فاطماً بعد أحمدٍ دليلٌ على أن لا يدوم خليل  
وقوله:

نفسي على زفرتها محبوسةً يا ليتها خرجت مع الزفرات  
فكيف إذا أضفنا إلى ما يدل عليه ما تقدم . . وما يمكنك أن تستنتجه من  
موقع الصديقة الكبرى في منظومة المعصومين وأن فقدانها يحدد المصاب بفقد  
المصطفى الحبيب عليه السلام وفي أية أجواء . . في أجواء غربة المرتضى وتنكب الأمة  
عنه وهو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم . .

كيف إذا أضفنا إلى كل ذلك أن الصديقة الكبرى عليها صلوات الرحمن  
كانت في تلك الفترة على أبواب شهادتها . . تحمل في قلبها الإلهي المحمدي  
غصة الرسالة المضیعة من خلال غربة أبي الحسن عليه السلام . .

وإليك النص الأول . . يحدثنا الإمام الصادق عليه السلام.

لما حضرت فاطمة الوفاة بكت . .

فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام يا سيدتي ما يبكيك؟ . .

قالت: أبكي لما تلقي من بعدي . . .

فقال لها: لا تبكي فوالله إن ذلك لصغيرٌ عندي في ذات الله<sup>(١)</sup>.

لقد تجرع أبو الحسن الغصص وتحمل المصائب التي تنهدلأيسرها الجبال  
قربةً إلى الله تعالى . . فداك نفوس المؤمنين . . يا أميرهم . . رضاك سيدي . .  
ورضا مولاتنا فهو رضا المصطفى ورضا الله تعالى . . لنكون من المؤمنين .

لا يمكن للموالي عندما يتذكر هذه الخصوصيات إلا أن يكون قلبه مظهر  
الحزن والفجيرة . . «ولمثلهم فليبك الباكون» لا على حطام الدنيا الزائلة . .  
وجاهها الهباء . . وسرورها الذي يكمن النكد في خاصرته . .

النص الآخر على أبواب شهادتها عليها صلوات الرحمن:

تحدثنا أسماء تقول: رأيتها رافعة يديها إلى السماء وهي تقول . . .

«اللهم إني أسألك بمحمد المصطفى وشوقه إليّ وبعلي علي المرتضى  
وحزنه عليّ وبالحسن المجتبي وبكائه علي . . وبالحسين الشهيد وكآبته علي . . ثم  
يأتي دور مولاتنا زينب عليها السلام!! (آه . . الشام . . الشام . . الشام . .).

وببناتي الفاطميات وتحسرن علي . . (أن) ترحم وتغفر للعصاة من أمة  
محمد وتدخلهم الجنة إنك أكرم المسؤولين وأرحم الراحمين»<sup>(٢)</sup>.

إلهي . . إلهي . . أنا عبدك العاصي . . مملوكك الأبق . . إلهنا . . وسيدنا  
مولانا اغفر لنا وارحمنا منّ علينا بما أنت أهله . . بالزهراء وأبيها وبعلمها وبنيتها  
والسر المستودع فيها أصلح قلوبنا، منّ علينا بمكارم الأخلاق المحمدية، انصرنا  
على الشيطان الرجيم والأنفس الأمارة بالسوء .

والحمد لله رب العالمين .

(١) المجلسي، بحار الأنوار ٢١٨/٤٣، ٣٩١/٧٨؛ واللمعة البيضاء للتبريزي، ص ٨٩٠ نقلاً  
عن مصباح الأنوار، ص ٢٦٢.

(٢) الرحمانى، فاطمة بهجة قلب المصطفى، ص ٣٠١ نقلاً عن وفاة فاطمة الزهراء للبلادي  
البحراني، ص ٧٨.

(٥)

## الخطبة الفاطمية

### الوثيقة الكبرى المضيئة<sup>(١)</sup>

\* تمهيد .

\* أهمية الخطبة .

\* لا تنافي بين الوحدة الإسلامية والبحث العلمي .

\* علي عليه السلام يتحدث عن الانقلاب على الأعقاب .

\* وجهان لحقيقة واحدة: سكوت علي وموقف فاطمة عليها السلام .

\* على عتبة الموقف الفاطمي .

\* ليس الخلاف «عقارياً»!!

\* الخطبة . . فقرات . . ودلالات . .

\* وختامها . . إعلان الحرب على الانقلابيين .

---

(١) لم يتسع الوقت حينها لاستعراض جميع فقرات الخطبة . . وقد تمّ هنا استعراضها جميعاً، مع إعادة كتابة الموضوع .



## (٥)

ما زلنا في الأيام الشديدة الاختصاص بمولاتنا الصديقة الكبرى عليها صلوات الرحمن .

من هنا سيكون حديث هذه الليلة إذا قدر الله تعالى حول خطبتها عليها السلام ، في المسجد النبوي المبارك . .

هذه الخطبة الوثيقة . . بل الوثيقة الكبرى . . المضیعة بيننا . . رغم أن أهل البيت عليهم السلام يأمرّون بحفظها . . وفي ما نقل عن المولى صاحب العصر والزمان كفاية . . حيث أمر بحفظ الخطبة الشقشقية . . وخطبة مولاتنا الصديقة الكبرى ، وخطبة مولاتنا زينب عليها السلام هنا في الشام في مجلس يزيد لعنه الله تعالى .

سيتضح من خلال العرض إن شاء الله تعالى أن الخطبة الفاطمية . . ينبغي الوقوف عندها طويلاً للمؤرخ الذي يريد أن يدون بصدق الوقائع التي جرت بعد المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله .

وينبغي الوقوف عندها طويلاً للباحث في المجال العقائدي . . الذي يريد أن يهتدي إلى الإسلام المحمدي الأصيل .

وينبغي كذلك الوقوف عندها طويلاً لمن اختار طريقه . . الموالي . . الذي يريد أن يرفد مخزونه الشعوري والوجداني بالدقائق الولاية التي تزخر بها هذه الخطبة المباركة . .

أما الزمان الذي أوردت فيه هذه الخطبة فهو بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بعشرة أيام<sup>(١)</sup> . .

وأما المكان . . فهو كما تعرف . . مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله . . المركز الوحيد

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج ٢٦٣/١٦.

لإدارة الدولة الإسلامية آنذاك . والحضور . . جمع حاشد من المهاجرين والأنصار . . بينهم أركان الانقلاب على الأعقاب الذي حذر منه الله تعالى . . . وأمر المصطفى الحبيب . . أن يأمر علياً بالصبر . . وفاطمة الزهراء بالتصدي . . وأما الجو السياسي العام في المدينة المنورة آنذاك . . فهو جو الانقلاب على الأعقاب . . وهل تجد تعبيراً أدق في وصف الردة المتربصة . . التي رأت الفرصة سانحة . . والظروف مواتية . . فاستبدل القوادم بالذنابى . . والآخرة بالدنيا . . والإسلام بالجاهلية والقرآن بالهوى . . .

قال تعالى : ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم وينقلب على عقبه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين﴾ .

في جو الانقلاب على الأعقاب هذا . . انشغل أكثر المسلمين عن تجهيز رسول الله ﷺ، والصلاة عليه، ودفنه وهو أعظم خلق الله تعالى على الإطلاق . . ولا يوازي فقدته والفجيرة به . . فقد ولا فجيرة . .

وبماذا انشغلوا؟ اشربأت الأعناق للزعامة . . والرئاسة . . انشغلوا بالدنيا التي طالما حذرهم منها المصطفى الحبيب ﷺ .

ولم يبق في الصراط المستقيم إلا ثلة وقفت مع علي عليه السلام . .

وأقف هنا لتوكيد أن الحديث عن هذه الخصوصيات لا يصدر من منطلق إثارة الفتنة بين المسلمين والعياذ بالله تعالى . . كما أنه لا يقدر على الإطلاق بمفهوم الوحدة الإسلامية . . هذا المفهوم المقدس الذي يجب أن نصر عليه لأننا جميعاً كأمة إسلامية محمدية واحدة نواجه هذه الغارة الصليبية الجديدة علينا المتمثلة بمحاولة الشيطان الأكبر أمريكا ومن يدور في فلكها إحكام قبضتهم على العالم . . وخصوصاً العالم الإسلامي . .

إلا أن هذا لا يمنع من البحث العلمي وذكر الحقائق في أطرنا الخاصة . . لتحديد خصائص المعتقد . . إن إخواننا المسلمين الستة أحرار في مجالسهم وأطرهم بطرح ما يريدون . . وهم يفعلون . . فحرية التعبير عن الرأي حق محفوظ مصان . . وفي المقابل . . لنا في مجالسنا وأطرنا الحق بطرح ما نعتقد .

كل ما في الأمر أن يبقى البحث ويفهم في نطاقه العلمي . . بحثاً عن الحقيقة . . دون تحميل أخطاء الماضين لغيرهم<sup>(١)</sup> . .

إن العلاقة برسول الله ﷺ هي الهدف . . باعتباره الطريق الوحيد إلى طاعة الله تعالى . . وطبيعي أن البحث عن الطريق الموصل إلى رسول الله ﷺ ومنه . . بل وبه إلى الله تعالى أمر لا مجال للمداهنة فيه ولا للمساومة لدى أي مسلم . .

وبناءً عليه فإن فهم الوحدة الإسلامية بما يتناقض مع اعتقاد المسلم بضرورة البحث عما يرى ذمته أمام الله تعالى يكشف أن هذا الفهم يعاني من ضبابية قد تشتد وتقوى فتهدد سلامة رؤيته . .

الوحدة الإسلامية من صميم الدين . . والبحث عن الحقيقة كذلك . . وعلينا أن نوفق بينهما .

وقد نخطئ في التطبيق . . إلا أن الأصلين يجب أن لا يمسا بسوء . . فضلاً عن رفع اليد عن أحدهما . . وأعود إلى أصل الموضوع . . وسياق الكلام . . في جو الانقلاب على الأعقاب هذا . . كانت الوثيقة الكبرى . . الخطبة الفاطمية<sup>(٢)</sup> . .

ولكي ندخل إلى بعض تفاصيل هذا الجو . . وترتسم أمامنا بعض ملامحه . . أنقل نصاً عن أمير المؤمنين علي عليه السلام . . يحدثنا عن أسباب الانقلاب على الأعقاب . . وبعض أخطر نتائجه . . تقدم ذكره مختصراً - وعندما يكون المتحدث علي بن أبي طالب عليه السلام . . فعلى الخبير سقطت . . وعند جبهة الخبر اليقين . . ينقل ابن أبي الحديد في «شرح النهج» ما يلي :

قال له (لعلي) قائل : يا أمير المؤمنين أرأيت لو كان رسول الله ﷺ ترك ولداً ذكراً قد بلغ الحلم وأنس القوم منه الرشد، أكانت العرب تسلم إليه أمرها؟ قال : لا، بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلت. إن العرب كرهت أمر محمد ﷺ

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٤/١٩٢ - ١٩٣.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار ١٩/٣٥١.

وحسدته على ما آتاه الله من فضله واستطالت أيامه حتى قَدَفَتْ زوجته ونفرت به ناقتة مع عظيم إحسانه إليها (العرب) وجسيم مننه عندها وأجمعت مذ كان حياً على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته، ولولا أن قريشاً جعلت اسمه ذريعة إلى الرئاسة وسلما إلى العز والإمرة لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً ولا رتدت في حافرتها<sup>(١)</sup>، وعاد قارحها<sup>(٢)</sup> جذعاً<sup>(٣)</sup> وبازلها<sup>(٤)</sup> بكرأ<sup>(٥)</sup>، ثم فتح الله عليها الفتوح فأثرت بعد الفاقة وتمولت بعد الجهد والمخمصمة، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً وقالت: لولا أنه حق لما كان كذا. ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين، فكنا نحن ممن خمل ذكره وخبث ناره وانقطع صوته وصيته حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها ومات كثير ممن يعرف ونشأ كثير ممن لا يعرف، وما عسى أن يكون الولد لو كان إنَّ رسول الله ﷺ لم يُقَرَّبني بما تعلمونه من القُرب للنسب واللَّحمة بل للجهاد والنصيحة. أفتراه لو كان له ولد هل كان يفعل ما فعلت؟ وكذلك لم يكن يُقَرَّب ما قُرِّبت ثم لم يكن (أي القرب للولد أو قربي) عند قريش والعرب سبباً للحظوة والمنزلة، بل للحرمان والجفوة. اللهم إنك تعلم أنني لم أرد الإمرة ولا علو الملك والرئاسة، وإنما أردت القيام بحدودك والأداء لشرعك

- 
- (١) الحافرة: قال تعالى: ﴿إنا لمردودون في الحافرة﴾ أي في أول أمرنا... ويقال: رجع على حافرتة أي في الطريق الذي جاء منه.
- (٢) القارح: من الخيل ما بلغ السنة الخامسة.
- (٣) الجذع: من الضأن ما بلغ الستة أشهر إلى سنة. وفي صحاح الجوهري: ما بلغ السنة الثانية.
- (٤) البازل: من الضأن ما بلغ التاسعة، وفطر نابه، ومن الإبل ما نبت نابه، والرجل كامل التجربة.
- (٥) البكر: البكر من الإبل بمنزلة الفتى من الناس. انظر: صحاح الجوهري.
- والمعنى أن العرب لولا أنها جعلت اسم رسول الله سلماً للرئاسة لارتدت في الحافرة ورجعت إلى جاهليتها ولانقلبت الموازين (أكثر مما انقلبت) ولما ظل للسابقة في الجهاد... وتقوى الله تعالى وقدم الصحبة عين ولا أثر، وإنما بقي ما بقي من القيم مع الإصرار على تطبيق بشكل مغلوط لأنهم رأوا في الإسلام طعنة وباباً للدنيا... ثم جاءتهم الفتوح إلخ..

ووضع الأمور في مواضعها وتوفير الحقوق على أهلها والمضي على منهاج نبيك وإرشاد الضال إلى أنوار هدايتك<sup>(١)</sup>.

ويدلنا هذا النص بوضوح على بعيد غور الانقلاب على الأعقاب . . فهو من جهة قد عبر عن نفسه في زمن رسول الله ﷺ من خلال حديث الإفك بل تعدى الأمر كل مظاهر الحسد للمصطفى الحبيب ووصل إلى التآمر لقتله ﷺ «ونفرت به ناقته» وهذا يعني أن الانقلاب على الأعقاب قد استبطأ كثيراً موت رسول الله! الأمر الذي يفسر بوضوح هذه الלהفة على الرئاسة التي جعلت أكثر المسلمين لا يشاركون في دفن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وهو ما يكشف أن جميع التناقضات القبلية والعشائرية في بيئة ممعنة في الروح القبلية . . قد تفجر خزينها فجأة . . فالتهمت نيرانها الإيمان المدعى ولم يسلم من ذلك غير «الشاكرين» الذين وعد الله تعالى في آية الانقلاب على الأعقاب بجزائهم ما يستحقون . . لشكرهم نعمة الإسلام والإيمان والثبات في خط القرآن الكريم . .

منطق السقيفة منطق قبلي . . وأجواؤها قبل وبعد . . أجواء قبلية . . وأبو سفيان يحاول النفع في نار العصبية القبلية . . وعلي ﷺ ينحدر عنه السيل . . ولا يرقى إليه الطير . . منصرف إلى الفجيرة بالمصطفى الحبيب ﷺ ومقتضياتها . . وهو في انصرافه هذا في قلب الحدث . . وصميم المستجدات . . فلقد بدأت مرحلة «الصبر الصبر» إنها الفتنة الفتنة . . والإسلام على مفترق طريقين: الزوال . . أو هذا البقاء . . ولا خيار لعلي ﷺ إلا أن يكون صبره جسر الإسلام للعبور من بحر هذه الفتنة المصطلمة إلى هذا البقاء لتبدأ بعد ذلك رحلة الأمة مع الأئمة . . رحلة نقب الباطل ليستخرج الحق من خاصرته . . والدنيا دار بلاء واختبار ﴿ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾ .

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج ٢٠/٢٩٨ - ٢٩٩.

(٢) نص على ذلك المؤرخون . . وتبناه بقوة الشيخ المفيد، الإرشاد ١/١٨٩؛ والبحار ٢٢/٥١٩؛ والأنوار البهية، للقمي، ص ٥٠؛ ومواقف الشيعة، للأحمدي ٢/٢٥٠؛ وبيت الأحزان، للقمي، ص ٦١، نقلاً عن الإرشاد.

أمر واحد كان بالإمكان اعتماده . . والقيام به . . لمحاصرة هذه النار المضطربة فلا يكون بوسعها التهام إلا من يصر على إلقاء نفسه في أتونها . .  
هذا الأمر هو أن تتصدى شخصية مميزة . . تحظى باحترام الجميع . . ليست طرفاً متهماً . . أو يسهل توجيه التهمة إليه - ولو دون مبرر - في مجال الطمع بالرئاسة . . فتفصح عن مكنون سريرة من لا ينطق عن الهوى . . وتسجل رأيه الصريح الواضح . . وتطلق صرخته المدوية الهادرة في وجه الانقلاب على الأعقاب . . .

وهكذا ندرك أنه لو لم تكن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ موجودة . . لاقتضى الأمر أن توجد . . وبنفس الخصائص . . وندرك أيضاً . . مدى أهمية كل كلمة قالها المصطفى الحبيب - وكلامه وحي - عن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ .

وليتنا ندرك . . أن رسول الله ﷺ . . كان يرى بنور الله تعالى . . تفاصيل ما سيجري من بعده . . يكشف هذه الحقيقة بوضوح ما روي عنه حول الأحداث التي وقعت من بعده ويكفي أن نتذكر الحديث عن تسلط بني أمية والحديث عن كلاب الحوآب .

كان صلى الله عليه وآله يرى موقع كل كلمة يقولها عن الصديقة الكبرى في منظومة استمرار الإسلام . . وحفظ الذكر بأمر الله تعالى . . وليتنا ندرك أن معنى «ولولا فاطمة ما خلقتكما» لا تعني تفضيلاً . . وإنما تعني فريدة «دور» . . وعليه فإن هذه العبارة في الحديث القدسي وقوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ بمعنى واحد . . بلحاظ فريدة الدور . . وحفظ الذكر وبقاء الإسلام . . ولكل منهما خصوصياته . . وللتفصيل مجال آخر . .

لم يكن لهذا الموقف الإلهي إلا فاطمة عليها صلوات الرحمن . .  
إنها بالإضافة إلى كل مقومات عظمتها . . ومكانتها لدى الأمة رغم هذا الانقلاب على الأعقاب . . ابنة المصطفى الحبيب الوحيدة . .

«فإن تعزوه - تنسبوه - تجدوه أبي دون نساءكم» .

هي المعزاة به . . وهي الذكرى . . والأمانة، والوديعة . .

وما دام الأمر كذلك فإن باستطاعتها تسجيل الموقف الإلهي . . التاريخي . .  
حيث ترى ذلك مناسباً .

وعلى الآخرين أن يحذروا . . ويتخذوا ما بوسعهم من احتياطات . . خاصة  
وأن الوضع لم يكن قد استقر بعد . .

ف عشرة أيام لا تكفي لإخراج الانقلابيين من ذعرهم . . مهما بدت عناصر  
السيطرة على الوضع متوفرة . . ومهما كان ميزان القوى لصالحهم . .

ولا وجود التاريخ علينا . . كعاداته في كثير من المفاصل الحرجة . . بتفاصيل  
عن فكرة توجه روح المصطفى الحبيب إلى المسجد . . وإن كنا نستطيع أن نقراً  
في النص وبين كلماته أن الحشد في ذلك المجلس كان قد أحيط علماً بذلك . أما  
كيف تم اطلاع القوم . . وماذا سبق ذلك من مداولة . . أو مداولات . . فلم أعثر  
حتى الآن على ما يسלט الضوء عليه . .

ومن الجدير بالذكر هنا أن لا نسمح للنصوص التي روجتها الأنظمة المتعاقبة  
حول هذا الموقف الإلهي الفاطمي الخالد . . أن ترسم لنا الصورة التي تتكون  
ملامحها في عقولنا والقلوب . . ونحن نتابع الموقف الفاطمي بدءاً من فكرة التوجه  
إلى المسجد النبوي . . مروراً بتنفيذها . . وصولاً إلى المواقف المتعددة التي تلت  
ذلك . .

إن اعتماد هذه النصوص يعني محاولة فهم حقيقة موقف المعارضة وخطتها  
من خلال وسائل إعلام الانقلابيين أو النظام ! .

وطبيعي أن يضعنا التنبيه لهذه الحقيقة أمام مهمة البحث الجاد والاستقصاء  
الدقيق المكثف . . للوصول إلى النصوص التي ينبغي اعتمادها . . خصوصاً وأن  
خط الممانعة والاعتراض الذي أرست قواعده روح المصطفى الحبيب في المسجد  
النبوي كان هاجس الأنظمة الجائرة التي أصبحت ملكاً عضواً . . يقوم على  
مصادرة كرامة الإنسان التي هي روح الإسلام . . وبهذا تماهت تلك الأنظمة  
(الإسلامية) مع الكسروية والقيصرية . . وحرمت البشرية من عميم فوائد التجربة  
النبوية الفريدة في نظام الحكم والإدارة، التي ما تزال «أرقى» التجارب رغم القرون  
تقصر عن محاكاة سفحها . . ولقد كان في صميم هدف الموقف الفاطمي، تسليط  
الضوء على هذا الاستبدال الجذري . . والتحول الخطير الذي يحاوله المتسللون

تحت جنح ظلام الانقلاب على الأعقاب . . وبالتالي نزع الشرعية، ورفع غطاء التستر بالإسلام عنهم . . .

وقد تحقق ذلك بأجلى صورته . . فلا يُقاس الربح والخسارة في مجال الحقيقة إلا ببقائها في مرمى البصيرة . . تعجز ظلمات الباطل عن حجبها . . ليستولي الشيطان على أوليائه . . وما عدا ذلك من المقاييس الآنية زائف . . لا يفقه طبيعة النفس التي يحملها من هو قبضة من تراب، وروح من أمر الله تعالى، ولا يفقه طبيعة الرسالة الإلهية التي تبحث عن القلب الذي يبحث عنها . . ولا تقيم وزناً للسلطة الظاهرية المتنكبة صراط القلب . . وهذا ما يجب أن نفهمه بوضوح منطلقاً للموقف الفاطمي . . وقد عبرت عنه صلوات الله عليها باستشهادها بهذه الفقرة القرآنية: ﴿أفئذ لمكموها وأنتم لها كارهون﴾!!

لم يكن الهدف على الإطلاق تسجيل نصر سلطوي على حساب الرسالة . . ولم يكن بالإمكان تسجيل نصر رسالي دنيوي . . أو فقل إن شئت: سلطوي لحساب الرسالة . . فاللقاء وأبناؤهم مع أزلهم وأنصابتهم في عالم آخر . . والأنصار منقسمون، كل هم الخزرج أن لا يسود الأوس . . وكل هم الأوس أن لا يتقدمهم الخزرج . . وكلاهما طامح إلى الرئاسة يحاول اغتنام الفرصة لمعرفة طبيعة الخارطة السياسية بين المهاجرين، ومثل هذا الجو لا يشكل مناخاً يمكن استثماره لصالح الرسالة<sup>(١)</sup> . .

(١) وفي مجال الحديث عن النصوص التي ينبغي اعتمادها في دراسة هذه الفترة، ينبغي التنبيه - بالإضافة إلى المصادر المعروفة - إلى الروايات المعتبرة عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام . . كما ينبغي الاهتمام الجاد بكتاب سليم بن قيس المشهور، وقد توسع في البحث حوله الإمام الخوئي في معجم رجاله ويظهر منه الميل الشديد إلى اعتباره . . حيث فُئد كل التهم الملتصقة بهذا الكتاب دون مبرر . . إلا أنه إلى جانب ميله العلمي الشديد هذا يرى أنه لا طريق لنا إلى الكتاب بسندي الشيخ . . للقدح ببعض رجاله، ولا تنحصر الطرق إليه بطريقي الشيخ كما يأتي، وهذا يعني بلغة منهجية عدم استبعاد نصوص سليم من دائرة البحث والمقارنة حتى عند من لا يجدون إليه طريقاً . . علماً بأن فريقاً من كبار العلماء يؤكدون وثاقة الكتاب وكونه النص الأكمل الذي وصلنا من قلب دائرة المعارضة. قال المحدث النوري: « . . من الأصول المعروفة . . وللأصحاب إليه طرق كثيرة، ونقل عن النعماني في الغيبة: نفي الخلاف في أن كتاب سليم أصل من الأصول التي رواها أهل العلم . . ». المحدث النوري، خاتمة المستدرک ١٥٨/٦.

أما لماذا استقر الأمر على هذا الحال فهو بحث آخر، يخرجنا تناوله مما نحن بصدده . .

ولو أن علياً عليه السلام جرد سيفه ذا الفقار في مثل هذا الجو لأمكنه بكل تأكيد أن يحرز نصراً دنيوياً أيسره تسجيل موقف معارض بلون الدم . . إلا أنه خارج سياق كل مواقفه الجهادية الحمراء . . التي كانت لصالح الرسالة . . أما هذا فعلى حسابها لأن الردة المستبطنة ستخرج فتخرج . . والقوى العظمى آنذاك تتلطف لمثل هذه الفرصة . . كان على ذي الفقار أن يبقى في الغمد . . وعلى صاحبه أن يصبر على الاستضعاف ليبقى نور الرسالة في مرمى البصيرة . . وماذا غير هذا يمكنك استنتاجه من النص التالي :

قال الشيخ المفيد: وقد جاءت الرواية أنه لما تم لأبي بكر ما تم وبإيعه من بايع جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يسوي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسحاة في يده فقال له: إن القوم قد بايعوا أبا بكر، ووقعت الخذلة في الأنصار لاختلافهم، وبدر الطلقاء بالعقد للرجل خوفاً من إدراككم الأمر . .

فوضع طرف المسحاة في الأرض ويده عليها ثم قال:

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا سوء ما يحكمون﴾ [العنكبوت: ١ - ٤].  
ثم ذكر مجيء أبي سفيان محرصاً بني هاشم بشعره ونثره . . وقول أمير المؤمنين في جوابه:

«يا أبا سفيان . . والله ما تريد الله بما تقول . . وما زلت تكيد الإسلام وأهله، ونحن مشاغيل برسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى كل امرئ ما اكتسب وهو ولي ما احتقب . .»<sup>(١)</sup>.

إذا كانت السياسة فن المكمين . . فالسياسة الحكيمة فن المكمين في خط الحكمة وخط الثواب والأصول لا على حسابها . . وقد يكون الممكن في سياسة

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ١/١٩٠.

الحمأ المسنون . . محالاً في سياسة أولياء الله تعالى . . فقد «يرى الحوَل القُلْبُ وجه الحيلة ودونها حاجز من أمر الله ونهيه . .» .

وحيث أن بقاء الإسلام . . وحفظ الذكر بأمر الله تعالى هو الهدف . . فلم يكن ثمة من مناص إلا الصبر على هذه «الطخية العمياء» ولا يعني هذا الصبر اعتزلاً . . بل هو الصبر المرابط الذي يرصد بكامل الجهوزية للتدخل حيث ينبغي . .

وما استدعى صبر علي . . استدعى تصدي الزهراء عليها السلام . . فالقاسم المشترك بقاء نور الإسلام بحيث يمكن الاهتداء به إليه . . فالموقفان وجهان لحقيقة إلهية محمدية واحدة . . بل هما موقف واحد كما لا يخفى . .

في ضوء ما تقدم أصبح باستطاعتنا استنتاج بعض دلالات توجه الصديقة الكبرى إلى المسجد النبوي . . لنراها بكل وضوح كما يلي :

- ١ - أركان الانقلاب على الأعقاب محرجون . . فلا هم يستطيعون منع ذلك . . ولا هم مطمئنون إلى الإمساك بالوضع وبالتالي إلى ما تؤول إليه الأمور .
- ٢ - الناس عموماً مشدودون إلى هذا التطور النوعي . . الذي خمدت له الأنفاس . . وسكنت الأجراس يتابعونه بمنتهى الاهتمام واللهفة . .
- ٣ - أعلن الانقلابيون حالة التأهب القصوى . . واتخذوا كل الإجراءات الممكنة . . وجميع الاحتياطات المتصورة تحسباً لكل طارئ . . ولم يغب عن البال للحظة أن هذا الموقف قد يكون جزءاً من خطة متكاملة تبدأ بتهيئة المناخ عبر تأليب الجمهور . . ولا يعرف أين تنتهي . .
- ٤ - المحور في ذلك كله . . والذي يشكل الهاجس الأكبر لأركان الانقلاب بشكل خاص . . ماذا يمكن أن تقول فاطمة عن علي عليه السلام وهو قطب الرحى . . وما أدراك ما علي . . وما أدراك ما فاطمة . .

وسيان . . أقصرت مدة هذه الدلالات أم طالت . . سيان . . أكان انتشر خبر توجه الصديقة الكبرى إلى المسجد وخطبتها فيه قبل يوم مثلاً أو أكثر أو أقل . . فإن الفرق على فرض طول المدة أن فتك هذه العوامل في النفوس كان أشد

ضراوة.. وأما على فرض قصر المدة.. فإن الصاعقة لا يحول دون تأثيرها الصاعق أن زمنها لحظة..

في هذا الجو.. كان الموقف الإلهي..

لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم كله في ليلة القدر، قبل أن ينزل نجومًا.. وقد حفظ الله تعالى الذكر كله في ليلة القدر الفاطمية من خلال الخطبة الفاطمية.. الوثيقة الكبرى المجهولة..

ومن الغباء السياسي بمكان، ومن التيه العقائدي والضلال المبين في الصميم أن نسهم في طمس معالم كل هذه الدلالات ونشترك في إنزال أهل بيت العصمة في غير مراتبهم التي رتبهم الله فيها.. فنعبث بكل هذه العظمة ونحشرها تحت عنوان «عقاري» هو «فدك» في حين أن الخطبة لا تتضمن ولو مرة واحدة كلمة فدك..

تبدأ بقولها **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : أفي دين الله يا ابن أبي قحافة . وهو استهلال يكشف أنها تحدّثت عن ذلك باعتباره من أبرز ما يفقد الانقلاب على الأعداب مشروعيته.. فإن الجهل بدين الله تعالى أو الجرأة عليه لا يتركان عذراً لمعتذر.. ولدى التدقيق تجد أن كل حديثها **عَلَيْهِ السَّلَامُ** عن الإرث بهذه اللغة. إن علينا أن نفسر «فدكاً» حيث نجد التصريح بها.. ونفسر ما يرتبط بها حيث لا نجد المصطلح.. بالخلافة.. واستمرار الإسلام وخط النبوة.. لا العكس..

ولقد علمنا الإمام الكاظم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أن «فدك» عند أهل البيت لم تكن يوماً تحمل دلالة عقارية..

ولعل هذا هو السبب في أن الإمام علياً **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لم يستردها حين ولي الخلافة ظاهراً.. «وما أصنع بفدك وغير فدك» فقد روي أن «هارون المسمى بالرشيد» كان يقول للإمام الكاظم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : خذ فدكاً حتى أردّها إليك.. فيأبى حتى ألح عليه فقال له **عَلَيْهِ السَّلَامُ** : لا آخذها إلا بحدودها.. قال: وما حدودها؟ قال: إن حددتها لم تردّها! قال: بحق جدك إلا فعلت..

قال: أما الحد الأول فعدن.. فتغير وجه الرشيد وقال: إيهاً.. قال: والحد

الثاني: سمرقند.. فاربند وجهه.. والحد الثالث: أفريقية.. فاسود وجهه وقال:  
هيه.. قال: والرابع: سيف البحر مما يلي الجزر وأرمينية. قال الرشيد: فلم يبق  
لنا شيء.. فتحول إلى مجلسي!!

قال موسى (الكاظم عليه السلام): لقد أعلمتك أنني أن حددتها لم تردها..  
فعند ذلك عزم على قتله<sup>(١)</sup>.

فهل بوسعنا بعد هذا كله أن نبقي على إصرارنا في تسمية الخطبة بالخطبة  
الفدكية.. مهملين دلالاتها العظيمة.. مما يدل على أن فدك عندنا - عموماً - غير  
ما هي عليه عند أهل البيت عليهم السلام..

وهل يبقى أي مبرر لتحديد أي جانب من جوانب هذه المرحلة الشديدة  
الحساسية، من مراحل الإسلام.. ربما استدعت حراجة الظرف أن يبادر  
الانقلابيون على الأعقاب إلى جعل فدك عنواناً لكل ما يمكن أن يصدر عن  
الزهراء عليها السلام.. وربما استدعت هذه الحراجة نفسها أن تكون فدك أو الإرث  
عموماً بالنسبة للصديقة الكبرى المدخل والمنطلق.. إلا أن هذا لا يعني على  
الإطلاق.. أن يُدرج هذا الموقف الفاطمي العظيم في سياق الخلاف على قطعة  
من أرض خيبر أو الحجاز!

إن عرض الأمور كما هي.. ومواجهة الحقائق دون مسبقات وإسقاطات..  
سيقودنا حتماً إلى أن علينا أن نحدد: هل نحن مع الصديقة الكبرى عليها السلام؟  
نبحث عن رضاها الذي جعله المصطفى الحبيب مقياساً لرضا الله تعالى.. أم أننا -  
لا سمح الله تعالى - في الصف الآخر.. والجبهة الأخرى؟

بهذه الحقائق.. وهذه الأسئلة.. نتابع ما جرى في المسجد النبوي.. بعد  
عشرة أيام من رحيل أفضل الخلق وسيد الأنبياء عليه السلام.. في محاولة لتسليط الضوء  
على الفقرات السياسية من الخطبة المباركة.. مع بعض الفقرات التي تسهم في  
رسم صورة الموقف..

---

(١) ابن شهر آشوب، المناقب ٣/٤٣٥ نقلاً عن كتاب أخبار الخلفاء، والمجلسي في البحار  
٢٩/٢٠٠، ٤٨/١٤٤ نقلاً عن المناقب.

«لما أجمع أبو بكر<sup>(١)</sup> على منع فاطمة عليها السلام فذك، وبلغها ذلك لاثت خمارها<sup>(٢)</sup>، واشتملت بجلبابها<sup>(٣)</sup> وأقبلت في لمة من حفدتها<sup>(٤)</sup>، ونساء قومها تطأ ذبولها<sup>(٥)</sup> ما تخرم<sup>(٦)</sup> مشيتها مشية رسول الله ﷺ حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة<sup>(٧)</sup> فجلست ثم أنت أنتة أجهدش القوم لها بالبكاء<sup>(٨)</sup>، فارتج المجلس<sup>(٩)</sup> ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج<sup>(١٠)</sup> القوم، وهدأت فورتهم افتتحت الكلام بحمد الله (تعالى) والثناء عليه . . . والصلاة على رسول الله ﷺ فعاد القوم في بكائهم . . .

هذه الملاءة المناطة . . . والستارة المرفوعة . . . التي أشجت الكون أنتة من خلفها . . . هل تحمل رسالة ما، إلى الأجيال؟

هل تريدنا أن نفهم أن الحديث عن حقوق المرأة مهما شرّق وغرب . . . فيجب أن ينطلق على أساس هذا الأصل الفاطمي:

المرأة في قلب دائرة صنع الحدث . . . ويبقى الستر والعفاف في قلب الأصالة الحديثة المتجددة . . . تجدد الحقيقة الدائم . . . لا على هامش الحدائث المفتراة . . .

(١) اعتمدت في نقل فقرات الخطبة المباركة: الاحتجاج للطبرسي، وبلاغات النساء لابن طيفور، ودلائل الإمامة للطبري، والسقيفة وفدك للجوهري برواية ابن أبي الحديد، والإربلي في كشف الغمة . . . مع الإشارة غالباً إلى موارد الاختلاف الحادة.

(٢) لاثت خمارها: لاث العمامة لّفها، والخمار: الغطاء من التخميم بمعنى التغطية ومنه تخمير الشهادة أي كتمانها.

(٣) اشتملت بجلبابها: الجلباب الملحفة أو الثوب الواسع كالعباءة واشتماله لبسه أو تغطية الجسد به.

(٤) اللمة: قيل (بضم اللام وفتح الميم غير مشددة) وهي من الثلاثة إلى التسعة، أو بعنى مجموعة وعدد، والحفدة هنا بمعنى الأعوان.

(٥) تطأ ذبولها: وفي نسخة تطأ في ذبولها . . . تعبير بلاغي عندما تكون الثياب طويلة.

(٦) ما تخرم مشيتها إلخ: لا تختلف مشيتها عن مشيته صلى الله عليهما وآلهما أدنى اختلاف. (٧) فنيطت دونها ملاءة: علقت بينها وبين القوم ستارة، ويقال للملاءة: ربطة إذا كانت قطعة واحدة لا قطعتين.

(٨) أجهدش القوم لها بالبكاء: غمرتهم علامات التهيؤ للبكاء . . . ومنها الأنين . . . أو تعالي بعض الصرخات من هنا وهناك.

(٩) فارتج المجلس: الراجح أنه هنا بمعنى الرجة والارتجاج جراء الإجهاش بالبكاء.

(١٠) هنيئة: برهة، فترة قصيرة. والنشيج: امتلاء الجوف بكاءً من غير نحيب . . .

ربما . . . وعليه فتكون الرسالة - رغم عمومها - خاصة بالمرأة المسلمة . .  
و«الحركية» «المستنيرة» بشكل خاص جداً، فخير للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها  
فضلاً عن أن يحدق في الملامح والقسمات . . وليهزأ المتخلفون المنتفخون بوهم  
الحدائثة فإن الرشد في خلافهم

فذاك نفوس الأجيال المحمدية يا قرّة عين الرسول . . وهل تقوى قلوبهم  
جميعاً وقلوب جميع الملائكة المقربين وسائر الأنبياء والأولياء على احتمال وقع  
تلك الآتة . . الفاطمية؟!!

عندما تكون روح سر الوجود حزينة . . تنفجع . . فما أشجاها آتة في مسمع  
الدهر إلى يوم يبعثون . .

وافتتحت الكلام عليها صلوات الرحمن فقالت:

«ابتدئ بالحمد لمن هو أولى بالحمد والمجد والطول»<sup>(١)</sup> . .

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم والثناء على ما قدّم، من  
عموم نعم ابتدائها، وسبوغ آلاء أسداها وإحسان منن والاهها، جمّ عن الإحصاء  
عددها، ونأى عن المجازاة أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، استدعى الشكور  
بإفضالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وأمر بالتدب إلى أمثالها.

وأشهد ألا إله إلا الله كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمّن القلوب  
موصولها، وأبان في الفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن  
صفته، ومن الأوهام الإحاطة به . .

---

(١) أشير هنا إلى أن ثمة نسخاً متعددة للخطبة المباركة . . ومن أقدم ما وصلنا نص الطبري  
في دلائل الإمامة، ونص الجوهرى في السقيفة وفدك، ونسخة عنه للإربلي في كشف  
الغمة، ونص ابن طيفور في بلاغات النساء . . وقد اعتمدت المقارنة بين هذه النصوص  
في ما أورده من فقرات . . معتبراً أن الأصل الذي اعتمده منطلقاً للمقارنة والاقْتباس هو  
نص دلائل الإمامة، وتصحيح الإربلي لنسخة مغلوطة وصلته من كتاب الجوهرى، وذلك  
لخصوصيات علمية وفنية، وجميع هذه النسخ وغيرها موجود في برنامج المعجم  
الفقهى، الإصدار الثالث.

إلى أن تقول ﷺ :

وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله، اختاره قبل أن يجتبله<sup>(١)</sup>، واصطفاه قبل أن يبتعثه، وسماه قبل أن يستنجبه<sup>(٢)</sup>، إذ الخلاق في الغيب في مكنونة (وبستر الأهاويل)<sup>(٣)</sup> مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً منه بمايل<sup>(٤)</sup> الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة منه بمواقع المقدور، فرأى ﷺ الأمم فرقاً في أديانها، وعابدة لأوثانها، عكفاً على نيرانها، منكراً لله مع عرفانها . .

فأنار الله بأبي ﷺ ظلمها، وفرج عن القلوب بهمها، وجلا عن الأبصار عمها . .

ثم قبضه الله إليه قبض رافة واختيار ورغبة وإيثار، (فمحمداً ﷺ من تعب هذه الدار في راحة قد حُفَّ بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار . . صلى الله على أبي نبيه وأمينه على الوحي وصفيه، وخيرته من الخلق ورضيه<sup>(٥)</sup> . . . .).

ثم التفتت<sup>(٦)</sup> إلى أهل المجلس فقالت لجميع (لجمع ظ) المهاجرين والأنصار:

وأنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحمله دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم (حولكم الله فيكم عهد قدمه إليكم<sup>(٧)</sup> وبقية استخلفها عليكم<sup>(٨)</sup> . . كتاب الله بينة بصائرهم . . . .) متجلية فينا ظواهره . . . .

(١) قبل أن يخلقه .

(٢) قبل أن يجعله نجيبه وهو تعبير آخر عن الاصطفاء، وبمعناه .

(٣) عن كشف الغمة .

(٤) المصدر السابق .

(٥) الاحتجاج ١/ ١٣٤ .

(٦) يبدو أن المراد الالتفات بمعناه في «البيان والبديع» وهو الانتقال من الغائب إلى المخاطب .

(٧) كشف الغمة .

(٨) الاحتجاج .

هنا نجد أن الصديقة الكبرى عليها السلام قررت دخول الشأن السياسي من معنى حديث «الثقلين»: كتاب الله وعترتي . . فعهد الله تعالى هو القرآن الكريم وبقية الله المستخلفة هم العترة . .

وبعد الحديث عن كتاب الله تعالى . . بدأت بالحديث عن فلسفة التشريع ثم عادت إلى الحديث عن ولاية الأمر لحفظ حدود الله تعالى وتشريعه عز وجل .

«فرض الله عليكم الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزييداً في الرزق والصيام إثباتاً للإخلاص ( . . . ) وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا لماً للفرقة<sup>(١)</sup>، والصبر معونة على الاستيجاب<sup>(٢)</sup> والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، والنهي عن المنكر تنزيهاً للدين ( . . . ) فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون ولا تتولوا مدبرين، وأطيعوه في ما أمركم ونهاكم فإنما يخشى الله من عباده العلماء، فاحمدوا الله الذي بعظمته ونوره ابتغى من في السماوات والأرض إليه الوسيلة، فنحن وسيلته في خلقه، ونحن آل رسوله، ونحن حجة غيبه وورثة أنبيائه . . .»<sup>(٣)</sup>.

وهذه إحدى الفقرات التي لو لم يكن في الخطبة المباركة غيرها لكفى بها دليلاً على نزع أية شرعية عن الانقلاب على الأعتاب فهل ثمة معنى آخر لقولها: «وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا لماً (أو أماناً) من الفرقة ( . . . ) فنحن وسيلته في خلقه ( . . . ) ونحن حجة غيبه وورثة أنبيائه».

ثم قالت عليها السلام :

أيها الناس . . اعلموا أنني فاطمة وأبي محمد عليهما السلام أقول عوداً على بدء، وما

(١) في بلاغات النساء «وإمامتنا أماناً من الفرقة».

(٢) في نسخة: استيجاب الأجر، وفي أخرى: الاستجابة، وفي كشف الغمة مؤونة للاستيجاب .

(٣) دلائل الإمامة، وقد نص الجوهرى في كتابه «السقيفة وفدك» - الذي لم يصل إلينا - بناءً على ما نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢١١/١٦، على أن موضع هذه الفقرة هو بعد: ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . . ويبدو أن الطبري في دلائل الإمامة هو الوحيد الذي أوردتها كذلك . . وما أجمعا عليه فهو في ذروة الوثاقة .

أقول إذ أقول سرفاً، ولا شططاً لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، إن تَعَزُّوه تجدوه أبي دون نساءكم وأخا ابن عمي دون رجالكم، بلِّغ النذارة، صادعاً بالرسالة، ناكباً عن سنن المشركين، ضارباً لأثابجهم، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجدد الأصنام، وينكت الهام حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، وحتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وهدأت فورة الكفر، وخرست شقاشق الشيطان، وفهتتم بكلمة الإخلاص، وكنتم على شفا حفرة من النار، تعبدون الأصنام، تستقسمون بالأزلام، مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الأقدام (. . .) أذلة خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذكم به بعد اللتيا والتي، وبعد ما مُني بهم الرجال، وذؤبان العرب.

ونجد هنا أن الحديث دخل إلى قلب الشأن السياسي . . من خلال إجرائها ﷺ مقارنة بين ما كان عليه وضع العرب . . وبين ما هو الحال الآن . . دون أن تطيل الوقوف عند الثاني فهو آنذاك الحاضر . . مكتفية بما تقدم في صدر الخطبة وبالتفصيل في خصوصيات الماضي الذي يجعل إدراك الحاضر من خلاله أكثر وضوحاً . . وأشد تحميلاً للمسؤولية، خصوصاً لمن نكث العهد . . مركزة على عظيم الجهد النبوي الذي بدأ الحديث عنه بالأخذ بأكظام المشركين والضرب لأثابجهم، مروراً بمواجهة بهم الرجال وذؤبان العرب . . وصولاً إلى ما سيأتي . .

وتكشف هذه المقارنة بوضوح كما ترى انتقال العرب على يد المصطفى الحبيب ﷺ من «موطئ الأقدام» إلى «حملة دينه ووحيه» و«بلغاء الله تعالى إلى الأمم» . .

وإذا تذكرنا أن الجمهور الذي يصغي إلى هذه الخطبة . . هو حشد المهاجرين والأنصار، بما فيهم أركان الانقلاب على الأعقاب - كما عرفت - أدركنا أن كل ما تقدم، بلغ ذروة الاستفزاز لهم . . بمروره سريعاً على موقع أهل البيت ﷺ كبقية الله استخلفها عليهم . . وأنهم «ورثة أنبيائه» . .، وإشارتها الأسرع الشديدة الوطأة إلى حديث المؤاخاة . .

أما باقي الفقرات . . فإنها رغم قسوتها عليهم قد اتخذت طابعاً تأسيسياً . .  
مما يرفع من منسوب وجل القلوب المنقلبة على الأعقاب . . من الآتي . .  
خصوصاً حول الإمام علي عليه السلام . .

ولم يطل انتظارهم . .

أضافت عليها صلوات الرحمن :

«كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفالها الله، وكلما نجم قرن الضلالة، أو فغرت  
فاغرة للمشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفى حتى يبطأ صماخها<sup>(١)</sup>  
بأخمصه، ويخمد لهبها بحده، مكدوداً في ذات الله، قريباً من رسول الله سيداً في  
أولياء الله . . وأنتم في بلهنية<sup>(٢)</sup> آمنون، وادعون فرحون، تتوكفون الأخبار  
وتنكصون عند النزال على الأعقاب . . حتى أقام الله بمحمد عمود الدين . . .» .

فهل كانت الإشارة السريعة الشديدة الوطأة في هذا الجو الملتهب، مدخلاً  
إلى الحديث عن اللهوات التي خاضها أمير المؤمنين بين يدي المصطفى ﷺ  
«قذف أخاه في لهواتها»؟

أم أن كون علي عليه السلام أخا رسول الله ﷺ يحمل من الدلالات (في هذا  
الجو) ما لا يخفى . . وهي عليه السلام تريد توكيدها؟ .

مهما يكن . . فإنه ليس ثمة ما يثير حفيظة الانقلابي . . مثل مدح الحاكم  
الشرعي القانوني . . الذي تسلل الانقلابي تحت جنح الظلام لتنفيذ الانقلاب  
المؤامرة ضده . . فكيف إذا كان هذا المدح ممن تكفي كلمة منه لنزع الشرعية عن  
الدنيا بأكملها . .

وكيف إذا كان المدح بمستوى ما سمعت مكدوداً في ذات الله، قريباً من  
رسول الله، سيداً في أولياء الله . .

وكيف إذا اقترن هذا المدح بالتعريض الذي يبلغ حد التذكير ببعض الحروب

---

(١) الصماخ: ثقب الأذن، وقيل هو الأذن نفسها.

(٢) البلهنية: السعة، رغد العيش.

التي نكص فيها من نكص وبعضها الآخر التي هرب فيها من هرب يتوكف الأخبار بعد أن نكص عند النزال . .

كأني بالأكثر نباهة من الحضور، والأقل انقلاباً على الأعقاب . . يتفحصون بعض الوجوه مع الإصغاء لهذه الفقرات بالذات . . وكأني بنتائج قراءتهم للوجوه هذه . . فعلت فعلها في أندية المدينة . . ومجالس السر في الغزوات، وسائر الخلوات . . وقد بات واضحاً أن الصديقة الكبرى عليها السلام تؤكد الحقيقة القرآنية حول اشتداد عود حركة النفاق التي حذر منها الله تعالى في قرآنه الكريم . . والتي لا تشكل آية الانقلاب على الأعقاب إلا كشفاً عن مسارها التأمري . . وليست بلهنية العيش، والدعة والفرح، وتوكف الأخبار والنكوص عند النزال، إلا ظواهر مرضية للذين في قلوبهم مرض، لذلك سنجد أن الفقرات التالية لتوكيد أصل وجود حركة النفاق، منسوبة على انفجار الخزين الذي طالما اعتمل في القلوب المريضة . . وبذلك يتخذ الحديث منحى مختلفاً . . والجو توتراً من نوع آخر . . فهذا أول حديث مباشر عن الانقلاب على الأعقاب . .

قالت عليها السلام :

«ولما اختار الله عز وجل له دار أنبيائه، ومأوى أصفياه، ظهرت حسيكة<sup>(١)</sup> النفاق، وسمل<sup>(٢)</sup> جلباب الدين وأخلق ثوبه، ونحل عظمه، وأودت رتمته، وظهر نابغ، ونبغ خامل، ونطق كاظم<sup>(٣)</sup>، وهدر فنيق<sup>(٤)</sup> الباطل يخطر<sup>(٥)</sup> في عرصاتكم<sup>(٦)</sup> وأطلع الشيطان رأسه من معرسه<sup>(٧)</sup> صارخاً بكم، فألفاكم غضاباً، فخطمتم<sup>(٨)</sup> غير

(١) الحسيكة: الحقد والضغينة.

(٢) سمل: أصبح بالياً.

(٣) بمعنى تقدم المتأخر وتكلم من لم يعهد منه الكلام.

(٤) الفنيق: الفحل.

(٥) يخطر: يتبختر.

(٦) عرصاتكم: ساحاتكم.

(٧) المنزل الذي يبني فيه، بمعنى أطلع الشيطان رأسه من وكره.

(٨) خطم الإبل: كيها بالنار لتثب الأنف، والمراد به وبما بعده: أخطأتم الهدف الصائب.

إيلكم، وأوردتموها غير شربكم، بداراً<sup>(١)</sup> زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين.. هذا.. والعهد قريب، والكلم رحيب<sup>(٢)</sup> والجرح لما يندمل<sup>(٣)</sup> فهيها منكم وأين بكم، وأنى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم زواجه لائحة<sup>(٤)</sup> وأوامره لامحة، ودلائله واضحة، وأعلامه بينة، وقد خالفتموه رغبة عنه، فبئس للظالمين بدلاً...».

وأنت ترى.. أن هذه الفقرات فوق كل ما يمكن أن يقال حولها.. ستظل رغم الأحقاب والقرون «تقدمة الحجّة الفاطمية» التي تُلح على كل موحد أن يعيها ويفقهها دلالاتٍ هي أكبر من التاريخ، ومضموناً يصحح حركة القلب.. والمعتمد.. ولا تفوت محور العصمة الإجابة الفصل على شبهة قد تشكل مكمناً للشيطان تتلخص في أن ما حصل كان يهدف إلى درأ الفتنة وهو ما حدا إلى الانصراف عن التفجع لفقد المصطفى الحبيب ﷺ إسرأاً في وضع الأمور في نصابها.. جواباً على ذلك قالت عليها صلوات الرحمن: بداراً زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا..

وبنور الله تعالى ترى روح المصطفى الحبيب حركة التاريخ في خط بياني للنفاق متصاعداً.. فتقول: إن كان حجم الانحراف هو هذا.. والجرح لما يندمل.. فأين تذهبون.. وأنى تؤفكون.. لتصل بعد ذلك إلى تقرير الحقيقة الصراح أن مخالفة القرآن الكريم لا تستظل بفيء ولا تستتر بشبهة.. بل لمحض الإعراض عن القرآن الكريم رغبة بغيره.. فقد خالفتموه رغبة عنه.. فبئس للظالمين بدلاً..

وعوداً على بدء.. أمل أن يتفهم المنصف أن اعتبار معرفة ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى وما فيه رضاه، من خلال موقف روح رحمة الله تعالى للعالمين.. إنما هو فوق كل اعتبار.. ولا ينطلق بتاتاً من نزع إلى تعكير الصنف، فضلاً عن إيقاد نار

---

(١) بداراً: أي مبادرة وإسراعاً. وفي هذه الفقرة رد على من يدّعي أن السقيفة كانت لضرورات درء الفتنة.

(٢) الكلم: الجرح. ورحيب: واسع.

(٣) لما يندمل: لم يلتئم بعد.

(٤) زواجه: نواهيته.. ولامحة: بمعنى ظاهرة.

الفتنة لا سمح الله . . لنضرب صفحاً عن المصاديق . . ولنيمم وجه القلب شطر المفهوم . . والحقيقة . . ليكون البحث علمياً صرفاً . . ولنؤجل الاختلاف إلى أوان البحث عن المصاديق . . إذ بقي ذلك ضرورياً . .

بقيت ملاحظة أخيرة حول هذه الفقرات المقياس . . هل ترى أن مضمونها ينسجم من قريب أو بعيد مع شبهة الفدكية . . أو مع كون روح الخلاف عقارياً!!  
أقول ذلك تثبيتاً لما مر . . ولنلمح في الفقرات التالية . . كيف تتم مقارنة الشأن الفدكي كمؤشر على عمق الانحراف وظلم أهل البيت ليس إلا . .  
قالت عليها صلوات الرحمن :

«ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها<sup>(١)</sup>، ويسلس<sup>(٢)</sup> قيادها، ثم أخذتم تورون<sup>(٣)</sup> وقلتها، وتهيجون جمرتها وتستجيون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفار أنوار الدين الجلي، تسرون حسواً في ارتغاء<sup>(٤)</sup> وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء<sup>(٥)</sup> ونصبر منكم على مثل حز المدى<sup>(٦)</sup> ووخز السنان في الحشا . . وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا . . ﴿أفحكّم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ . . أفلا تعلمون - بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية - أني ابتته . . أيها المسلمون . . أغلب على إرثي؟!» . .

هل ندرك حقاً بعض ما جرى على أهل البيت بعد المصطفى الحبيب ﷺ . .  
ألا ترى أن الحديث هنا عن محاولات الاغتيال المعنوي(؟) المتكررة، والإصرار

(١) نفرت الدابة: تباعدت .

(٢) يسلس قيادها: يسهل تحريك زمامها، والمراد أنكم أسرعتم إلى ظلم أهل البيت ﷺ .

(٣) تورون وقلتها: تشعلون توقدها في موقدها . .

(٤) تسرون حسواً في ارتغاء: يقال ذلك لمن يتظاهر بشيء وهو يفعل غيره . . وأصله التظاهر بالارتغاء أي تناول الرغوة عن وجه الحليب . . في حين أن الواقع الحسو من الحليب نفسه، أي شرب ما تيسر خفية وبسرعة .

(٥) الخمرة أو الخمر: الستر والضراء الستر الشديد، فقد يكمن الصياد في مكان شبه مكشوف في أرض سهلة خلف صخرة هذا هو الخمر أو الخمرة أو الخمرء، وقد يكمن في ملتف الشجر من قلب الغابة . . هذا هو الضراء . .

(٦) المدية (بضم الميم): الشفرة والجمع مدى .

الدائم على نصب الكمائن لهم، وإلحاق الأذى بهم بما يصل إلى مثل حزّ الشفرات، ووخز الرمح في الأحشاء.. وهو بعدُ حديث عن لونين من التأمّر الخفي.. والأشدّ خفاءً.. وهما معنى الخمرة والضراء..

إن علينا في ضوء ذلك أن نعيد النظر في كل ما نتصوره عما جرى حتى في تلك الأيام العشرة التي تفصل بين فقد خير خلق الله تعالى وحديث الصديقة الكبرى في المسجد النبوي..

حقاً.. ماذا جرى في تلك الفترة المنعطف.. إذا أدركنا ما يصح السكوت عليه من ذلك أمكننا أن ندرك ما ترتب عليه من أحداث جسام.. وأمكنا أن ندرك السفح من الأسباب التي حملت المصطفى الحبيب ﷺ على الحديث الدائم والبكاء الملازم لما يجري على أهل البيت من بعده.. بكى لمصاب علي عليه السلام، وبكى الحسين عليه السلام.. وبكى لمصائب أهل البيت عموماً.. بل إنه أحياناً أجهش بالبكاء..

وهل نعي ما يعنيه بكاء من لا ينطق عن الهوى.. مصرحاً بالحديث عن استضعافهم من بعده.. هل نعي أن ذلك في صلب تبليغ الرسالة وأداء الأمانة.. وهل ندري أن معنى كون الأجر على الرسالة هو المودة في القربى.. حديث إلهي بصيغة خاصة عن مصائب أهل البيت عليه السلام.. التي هي في أيامها الأولى مثل حز المدى.. ووخز السنان في الحشا.. والتي هي في العمق والحقيقة مصائب الإسلام لا غير.

وهل نعي أن السبب كل السبب في الحديث الدائم عن مصائبهم هو أن استمرار الإسلام في خط نقائه الإلهي المحمدي رهن الوقوف معهم.. لأنهم يدورون مع الحق حيث دار.. فهم الأمان لأهل الأرض من الاختلال في منظومة القيم - والوجود - كما أن النجوم أمان لأهل السماء<sup>(١)</sup>.

---

(١) من الطريف الملفت أن ابن حجر في الصواعق المحرقة ٤٤٥/٢ يتحدث عن صحة سند هذا الحديث بإحدى صيغته وينقل كلاماً لبعضهم في جو يوحى بتبنيّه لمضمونه، وخلاصته أن دوام الدنيا رهن دوام أهل البيت عليه السلام، وأن ذلك يقتضي وجود شخص منهم في كل عصر يتحلى بهذه الأهلية. راجع: برنامج «مكتبة العقائد والملل»، الإصدار الأول، مركز التراث للحاسب الآلي، الأردن - عمان.

أما وقد تنكر لهم الانقلاب على الأعقاب . . فقد وقعت الواقعة . . التي لا يشكل الحديث عن فدك أزاءها أكثر من مؤشر على هول تنكب الصراط المستقيم . . وهذا ما نجده في الخطبة الفاطمية بكل وضوح . .  
«أيها المسلمون، أغلب على إرثي»<sup>(١)</sup> .

إيهاماً معاشر المسلمين، أبتز إرث أبي، أبي الله أن ترث يا ابن أبي قحافة أباك، ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فرياً . . دونكها مخطومة مرحولة<sup>(٢)</sup> تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعود القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم .

ثم التفتت إلى قبر أبيها فتمثلت بقول هند بنت أئانة:

قد كان بعدك أنباء وهيمنة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب  
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم لما قضيت وحالت دونك الكتب  
تجهمتنا رجال واستخف بنا إذ غبت عنا فنحن اليوم نغتصب  
ولم يُر الناس أكثر باك ولا باكية منهم يومئذ<sup>(٣)</sup> .

وقد اخترت من روايات هذه الفقرة ما رواه أبو بكر الجوهري الذي هو من أعلام العلماء المسلمين السنة حسب ما نص على ذلك ابن أبي الحديد في «شرح النهج» والهدف تأكيد حقيقة أن الموقف أكبر من فدك كعقار، إنه بحجم مساحة الدولة الإسلامية . . بل بحجم حدود الله تعالى التي هي أكبر من الدنيا . . كما سيتضح يوم الحشر . . والحكم الله والمستدعي، محمد ﷺ .

(١) الاجتجاج، ودلائل الإمامة .

(٢) مخطومة:

(٣) ابن أبي الحديد، شرح النهج ٢١١/١٦ نقلاً عن كتاب «السقيفة وفدك»، لأبي بكر الجوهري . . وقد التزم ابن أبي الحديد أن لا يحفل بالمصادر الشيعية . انظر: ٢١٠/١٦ .  
ويروي هذه الفقرة قريباً مما ورد أعلاه السيد ابن طاووس في «الطرائف» عن الحافظ «الثقة بينهم» أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه في كتابه «المناقب» . انظر: الطرائف، ص ٢٦٤ .

وهكذا يمكننا أن نفهم المراد بالأنبياء والهيمنة . . أو الهنبة . . والمراد بالخطب أو الثوب .

وهكذا يمكننا أن نفهم الاستخفاف بأهل البيت . . استخفافاً بالإسلام . . لا اغتصاباً لقطعة أرض كانت المؤشر على أصل الظلّامة ، والمنطلق المتاح للحريص على مسرب الاستمرار الوحيد الممكن للإسلام ، لمواجهة الانقلاب على الأعقاب . . الأمر الذي يحتم تسجيل الموقف بأعلى درجات الوضوح دون أن يؤدي ذلك إلى أي إخلال بالهدف : استمرار الإسلام . . وحفظ الذكر . . وهي مهمة بالغة الدقة والحرص ، لا ينهض بأعبائها - في تلك الظروف - إلا الصديقة الكبرى عليها صلوات الرحمن . . وقد أثبت الموقف الفاطمي ذلك بما تخشع في محرابه الأجيال . . لتستلهمه الدروس المحمدية التي تزداد ألقاً وشموخاً . . كلما تقادم العهد . . وأخلق الزمان . .

وفي الفقرة التالية . . سنجد ما لم يكن بحسبان القوم . . لنكتشف - في غمرات الموج المحمدي المتلاطم - كم نظلم أنفسنا والحقيقة . . ومنها موقع المعصوم . . عندما لا نحاول الغوص في مرامي هذه الملحمة الفاطمية التي حفظ الله تعالى بها أولاً وقبل كل شيء آخر . . جميع الجهود المضنية التي بذلها المصطفى الحبيب الذي لم يُؤذَ نبيُّ كما أُوذِيَ وجميع مفردات انقضااض ذي الفقار المتنمرة في ذات الله . . وجميع قطرات الدماء التي سالت من المصطفى الحبيب ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ ، وجميع الشهداء والمجاهدين ، في مسيرة الدفاع عن وحي الله تعالى ودينه . . بل حفظ الله تعالى بها جميع جهود الأنبياء . ليواصل الأئمة ﷺ هذه المهمة المقدسة التي ما تزال تتوالى فصولاً . .

قال الطبرسي في الاحتجاج :

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت<sup>(١)</sup> . .

---

(١) الطبرسي ، الاحتجاج . . ولم أجد حتى الآن أن غيره نص على تواصل هذا القسم من كلامها ﷺ مع ما تقدم . . فقد نص الجوهري كما في شرح النهج ، وكشف الغمة ، وكذلك الطبري في دلائل الإمامة ، وابن طيفور في بلاغات النساء على أنها ﷺ خرجت من المسجد النبوي وتوجهت إلى مسجد الأنصار وخاطبتهم بالنص المذكور هنا .

يا معشر النقيبة<sup>(١)</sup>، وأعضاء الملة، وحضنة الإسلام، ما هذه الغميمة في حقي، والسنة عن ظلامتي، أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول: المرء يحفظ في ولده؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة<sup>(٢)</sup>، ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول، أتقولون مات محمد ﷺ، فخطب جليل (. . .) أزيلت الحرمه عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى (. . .) أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه (. . .) ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل إفاًن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾.

إبهاً بني قيلة<sup>(٣)</sup> . . . أهضم تراث أبي، وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومنتدى ومجمع تلبسكم الدعوة وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتُخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتم العرب، وتحملتكم الكد والتعب، وناطحتكم الأمم، وكافحتهم البهم، لانبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحي الإسلام، ودرَّ حلب الأيام، وخضعت نعرة الشرك وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأني جرتم بعد البيان، وأسرتهم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان . . . بؤساً<sup>(٤)</sup> لقوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، وهموا بإخراج الرسول، وهم بدأوكم أول مرة، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين . . .

ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الأرض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط

(١) يبدو أنه بمعنى: يا معشر الفضائل، وقيل غير ذلك، ولعله إشارة إلى بيعة العقبة والنقباء من الأنصار.

(٢) بمعنى الفقرة المتقدمة «سرعان ما أحدثتم».

(٣) قيلة: اسم جده الحيين من الأنصار الأوس والخزرج. ولا يخفى لطف هذا الاختيار في ذلك الظرف.

(٤) قال تعالى: ﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم﴾ إلى آخر ما ورد أعلاه، التوبة: ١٣. وفي أكثر المصادر الأساسية. أنها ﷺ استشهدت بهذه الآية المباركة، وهو الأنسب.

والقبض، وخلوتم بالدعة ونجوتم بالضيق من السعة فميجتم ما وعيتم، ودسعثم الذي تسوعثم<sup>(١)</sup>، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد.

ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم.. ولكنها فيضة النفس ونفثة الغيظ (. . .)، وبثة الصدر، وتقدمة الحجة فدونكموها فاحتقبوها دبيرة الظهر نقبة الخف<sup>(٢)</sup> باقية العار موسومة بغضب الجبار وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون.

وسواءً أكانت هذه الفقرات قد صدرت منها عليها صلوات الرحمن في المسجد النبوي - كما يروي الطبرسي في الاحتجاج - أم أنها صدرت منها في مسجد الأنصار بعد خروجها من المسجد النبوي.. فإن دلالاتها تفوق كل ما تقدم - على عظمة دلالاته - إلا أن لصدورها في المسجد النبوي دويماً من نوع آخر..

وأغلب الظن هو ذلك.. وهو ما يقوى بالتأمل في مبادرة الأول إلى تهديد الأنصار كما تقدم.. ويأتي مزيد إيضاح.

تبدأ هذه الفقرات أولاً بالتذكير بسابقة الأنصار في احتضان الإسلام.. وتنتقل إلى بث الشكوى مستنفرة همهم لحفظ المصطفى فيها (صلى الله عليهما وآلهما) عاتبة بل مؤنبة لسرعة التنكر له ﷺ رغم القدرة على حسم الموقف لصالحها.. منتقلة من ذلك مباشرة إلى استنفار همهم بالمصطفى الحبيب.. عبر التفجع عليه.. من منطلق أن فقدته ينبغي أن يشكل حافزاً لحفظه.. لا التنكر له.. هذا التنكر الذي تضعه في موقعه القرآني.. فقد حذر منه كتاب الله تعالى.. أفلا تحذرون..

ثم ترفع وتيرة استنهاض همهم.. إليها.. معتمدة اسماً يجمعهم ولا

---

(١) الفقرتان بمعنى تقيؤ ما دخل الجوف، كناية عن التنكر لما عقدوا القلب على صحته.  
(٢) احتقبوها: أي تحملوها.. دبيرة الظهر مثقلة الظهر متعبته. ونقبة الخف: رقة خف الناقة الذي يعيق حركتها.. والمعنى هو ما يأتي في الفقرات التالية باقية العار إلخ.. أي تحملوا وزر فعلتكم القبيحة الشواء.

يفرقهم . . فهم جميعاً لأم واحدة هي «قَيْلَة» ما بالكم إذا تحول حزازاتكم . .  
ويمنع تنافسكم من الوفاء للمصطفى الحبيب ﷺ وتناون بجانبكم عن ظلامتي  
وأنتم بها عارفون . . رغم اقتداركم عدة وعدداً . .

ما بالكم تنادون فلا تجيبون . . ويستغاث بكم . . وتأتيكم الصرخة فلا  
تغيثون . . وأنتم أنتم بأساً وشدة . . وخيراً وصلاً . . حتى غدوتم خيرتنا أهل  
البيت . . اخترناكم دون غيركم . . قاتلتم العرب وتحملتكم الكد والتعب . . نامركم  
فتأتمرون!!

ما بالكم الآن ناكصون . . إنها المرة الأولى التي نامركم فلا تأتمرون . . فأنى  
تذهبون . .

﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وهموا بإخراج الرسول وهم  
بدأوكم أول مرة . . أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ . . أليس هذا  
إعلان حرب . . وعلى من يا ترى؟ . .

ويتضح لك بما لا مزيد عليه أن الموقف يزخر بكل العناصر التي تجعله  
موقفاً قيادياً فريداً يستحضر الإيجابيات بكل وفاء وجلاء، ويركز على السلبيات  
دون أدنى محاباة . . ويطرح البديل بلهجة (قيادية) نامركم فتأتمرون .

وبلغة: حتى دارت بنا رحى الإسلام . . ودَرَ حَلْب الأيام . . فأنى جرتم بعد  
البيان . . وأسررتم بعد الإعلان . .

وهما لهجة ولغة لا تملك أمام الاستغراق فيهما إلا أن تجد نفسك لأول  
وهلة متسائلاً هل رسول الله ﷺ هو المتحدث؟

ويستبد بك الدهول لشدة الإخلاق إلى الأرض . . وضاوة الانقلاب على  
الأعقاب . . فإن هذا الموقف الإلهي الفاطمي، من شأنه أن يقلب المعادلة . . رأساً  
على عقب . . لولا أن القوم كانوا قد ذهبوا في الردة عريضاً إلى حد «فمجتتم ما  
وعيتم، وسعتم الذي تسوغتم» وهو يعني الخروج من دين الله تعالى . .

ولذلك قالت عليها صلوات الرحمن: ﴿فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض  
جميعاً فإن الله لغني حميد﴾ .

لم تقف الصّديقة الكبرى في المسجد النبوي لأنها تحتمل للحظة استجابة القوم لها . . فهي مظهر علم الله تعالى الذي تحدث عن الانقلاب على الأعقاب وهو يعلم الشاكرين . . وقليل من عباده الشكور . .

كانت عليها صلوات الرحمن تعلم أنهم أخلدوا إلى الأرض . . وأبعدوا علياً عليه السلام وهو - لديهم أيضاً - أحق بالبسط والقبض في إدارة شؤون المسلمين . . وكانت تعلم أنهم في حضيض التخاذل . . وذروة الغدر الذي تحينوا فرصته<sup>(١)</sup> . . وبعين الله تعالى ما فعلوا . . وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . .

وفي الختام: هذه وقفات سريعة على أعتاب الخطبة الفاطمية تكشف عمق الحاجة إليها . . نحفيها السؤال ونستخبرها الحال: كم غليل معتلج بصدر الصّديقة الكبرى لم تجد إلى بثه سيلاً<sup>(٢)</sup> . .

إلى الله المشتكى . . وستقول ويحكم الله . . والله خير الحاكمين<sup>(٣)</sup> .

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) تبقى الإشارة إلى أن فقرة «إيهاب بني قيلة» نص في خطاب الأنصار . . أما الفقرة التي قبلها «يا معشر النقيية» إلخ . . فليست كذلك . . ثم إن في الفقرات الأخيرة عبارات تقوي العزم على تبني أنها خطاب لعموم المسلمين من قبيل «والغدر التي استشعرتها قلوبكم» «أبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض» «فدونكموها فاحتقبوها . . إلخ» . وهو مؤشر آخر على أن النص كان من ضمن الخطبة الفاطمية في المسجد النبوي المبارك . ولعل الاشتباه ناشئ من الحديث عن توجيهها إلى الأنصار . . ففسر ذلك بأنه عدول إلى مسجدهم إلا أن أكثر المصادر تتحدث عن ذلك . . ووقوع الأكثر في الخطأ مستبعد . . وإن كان ممكناً . . والله تعالى العالم .

(٢) و (٣) من وحي كلمات المولى أبي الحسن بعد دفن الصّديقة الكبرى عليهما صلوات الرحمن . انظر: شرح أصول الكافي، للمولى محمد صالح المازندراني ٢١٤ / ٧ .

## (٦) فاطمة أم أبيها

\* تمهيد .

\* أخطاء منهجية في التعرف على المعصوم . . .

\* بين الغلو . . . ووهمه . . .

\* عندما يفرغ النص من محتواه . . .

\* من معاني «أم أبيها» .

الأول، الثاني، الثالث، الرابع، الخامس .

\* مع اللغويين في معنى «الأم» . . .

\* المعنى السادس .

\* «أم المؤمنين» شعار لحرب علي عليه السلام . . . و«أم أبيها»

يفقد دلالاته!!

\* ختام . . . على أبواب الشهادة .



## (٦)

ما نزال في الأيام الفاطمية ولا شك أن من أسباب سعادة المسلم المؤمن في يوم القيامة أن يطول في الدنيا وقوفه على عتبة قرّة عين الرسول ﷺ خصوصاً وأنّ لمعرفتها ﷺ موقفاً محورياً في معرفة أهل البيت عليهم صلوات الرحمن .

سمعنا وقرأنا في الزيارة الجامعة «من أراد الله بدأ بكم» وينبغي أن يوقن القلب بأن من أراد معرفة رسول الله وأهل البيت جميعاً وأراد الله تعالى ينبغي أن يبدأ بالزهراء ﷺ .

التدين أيها الحبيب رهن معرفة الزهراء ﷺ ، دين كل شخص منا بمقدار معرفته للصدّيقة الكبرى فمن جهلها فلا دين له ، ومن ضعفت معرفته بالصدّيقة الكبرى فدينه ضعيف ، ومن قويت معرفته بالصدّيقة الكبرى التي على معرفتها دارت القرون الأولى وتدور القرون الأخرى فإن دينه قوي .

المشكلة الأساس التي ينبغي أن ندرك ولو بعض مستوياتها أنه بالرغم من وجود روايات كثيرة في فضل الصدّيقة الكبرى فإن الذي يقال عادة إنّ الروايات حول الزهراء ﷺ قليلة!

ما أكثر الروايات حول الصدّيقة الكبرى ولكن ما أقل المعرفة بها ﷺ ويرجع السبب في الاعتقاد بقلّة الروايات حول الصدّيقة الكبرى رغم كثرتها جداً إلى أخطائنا الثلاثة في المنهج الفكري للقائلين بذلك .

**الخطأ الأول:** شطب الروايات بمجرد أن تكون لها أبعاد غيبية . فعندما تُقرأ رواية وتقيم على أساس أنها «غيبيات في غيبيات» فإنها تحيّد . مباشرة أو تسحب من التداول ، أو تشطب .

**الخطأ الثاني:** في المنهج : المواقف المسبقة أو فقل الإسقاطات ، أننا نسقط على هذه الرواية أو تلك فهمنا المسبق .

الفهم المسبق أن المعصوم مثله مثل الآخرين تقريباً! الزهراء عليها السلام امرأة كسائر النساء مع بعض الفوارق، عندما نأتي إلى الروايات لنفهمها فإننا نقرأها على أساس المواقف المسبقة ونسقط عليها أفهامنا الخاصة، لذلك نجد أن النتيجة من هذه الرواية - إن وجدناها - نتيجة محدودة، وسيتضح لك معنى ذلك من خلال الرواية التي هي محور الحديث في هذه الليلة إذا وفق الله تعالى .

**الخطأ المنهجي الثالث:** أننا نشطب كثيراً من الروايات أيضاً بدعوى أنها غلو، نتوهم الغلو فنشطب هذه الروايات . .

ثلاثة أخطاء منهجية إذاً . . أعيد ذكرها بالتتالي وباختصار:

الأول: أننا نشطب الروايات ذات الأبعاد الغيبية .

ثانياً: أننا نسقط على الروايات أفهامنا المسبقة .

ثالثاً: أننا نتوهم الغلو فنشطب قسماً آخر من الروايات . . فماذا يبقى من الروايات حول الصديقة الكبرى عليها السلام ، بل حول المفاهيم الأساسية المختلفة؟ .

وتكون النتيجة أن النظرة إلى المعصوم تصبح هذه النظرة السائدة في كثير من الأوساط التي هي في أحسن حالاتها أن المعصوم عالم جليل بامتياز، أما الأبعاد الغيبية في شخصية المعصوم، أما أن المعصوم يمكنه أن يصل إلى تلك الذرى التي لا نستطيع أن ندرك أدنى درجاتها، أما أن المعصومين: المصطفى الحبيب وآله الأطهار هم أفضل الخلق على الإطلاق فإن هذا مجال النقاش الكبير عند الكثيرين .

الأمر الأخير: مسألة توهم الغلو: ينبغي الوقوف عندها بعض الشيء . . متى يمكن أن يقال لإنسان أنك مغالٍ في تقييمك لهذا الإنسان سواء كان معصوماً أم لم يكن؟

مثلاً: شخصٌ لا يعرف الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه ويسمع شخصاً آخر يقول: قائدٌ فذٌ لم نعرف في تاريخ علمائنا مثله على الإطلاق، فيقول له أنت تغالي!

تمهل! لا يمكنك الحكم بأن هذا الكلام غلو أو ليس غلواً إلا إذا عرفت

الشخص الذي نتحدث عنه، بل إن مجرد المعرفة لا يكفي . . لا بد من معرفة حقيقية . . أو فقل معرفته حق المعرفة . . بعدها يمكن القول إن هذا الكلام هو غلو أو ليس غلواً ما دمنا نريد أن نتعرف على الزهراء عليها السلام لم نعرفها بعد، فكيف نقول مسبقاً إن هذا غلو وذلك ليس غلواً لا بد من «تنقيح المناط» و«تحرير محل النزاع» أولاً كما يقال .

لا بد من تحديد الثوابت أولاً ليمكننا أن نقول إن هذه الرواية لا تنسجم مع الثوابت ولذلك فهي غلو، ولا بد كذلك من تحديد معنى الغلو في ضوء الثوابت أما أن نقول إن هذا الأمر غلو دون إنجاز هاتين المهمتين فهذا ما سميته توهم الغلو وليس غلواً، إذا لاحظنا هذه الأخطاء المنهجية انتقل بعدها إلى الوقوف حول حديث طالما سمعناه ورددناه حيث أنه ثبت أن رسول الله ﷺ أطلق على الصديقة الكبرى كنية «أم أبيها» «فاطمة أم أبيها» هذه الحقيقة المحمدية، تسمية الصديقة الكبرى «أم أبيها» هي من حيث اللفظ واضحة . . «فاطمة أم أبيها» لكن أسأل نفسي وأسألك هل عرفنا معنى هذا الكلام؟ هذه التكنية هل عرفنا معناها؟ . . هل وعيناها؟ . . هل عرفنا أبعادها؟ . . هل تأملنا في خصوصياتها؟ . . أمل أن يتضح لنا أن الأمور التي نتصور أنها واضحة هي بالتأكيد بحاجة إلى المزيد من التعمق .

ما هو المعنى الذي سمعته أنت أو سمعته أنا من أكثر المتحدثين ولا أقول منهم جميعاً، ما هو المعنى الذي وعيناه حول كنية فاطمة عليها السلام بأم أبيها؟ . . المعنى الذي اختزنه وعينا ويتحدث به الأكثرون أن مولاتنا خديجة رضوان الله تعالى عليها توفيت فبقي رسول الله ﷺ وليس معه من يخفف عنه أعباءه ويشاطره أحزانه وآلامه فكان بحاجة إلى عطف وحنان،

لاحظوا . . بحاجة إلى عطف وحنان . . إنه كلام لا ينطبق على شخصية المعصوم وعظمته واستغراقه في الله تعالى . . هو يمنح الدنيا عطفاً وحناناً ويصبح بحاجة إلى عطف وحنان! . . ما الفرق بينه وبين أي إنسان عادي مهيض الجناح مكسور الخاطر يأوي إلى بيته متعباً بحاجة إلى من يخفف آلامه . . الزهراء عليها السلام كانت تخفف عنه آلامه .

قلت في حديث سابق ما هي الميزة في هذه التكنية للزهراء عليها السلام؟ إن أي إنسان في الدنيا (غلام عباس أو مشتي أحمد أو الحاج مصطفى أو الزائر أبو

رمضان) أو أي شخص عنده بنت وتتوفى زوجته تكون هذه البنت عادةً بمثابة أم أبيها بهذا اللحاظ، إذاً هذه الكنية التي سنكتشف أنها كنية عظيمة جداً، أفرغناها من محتواها وجعلناها مسألة عادية جداً لا قيمة لها.

حسناً.. إذا أردنا أن نستوضح بعض خصوصياتها فلنتدرج من الأقل إلى الأكثر، من الأدنى إلى الأعلى.

دعونا نتأمل هذه الكلمات «فاطمة أم أبيها» بحسب المعطيات الظاهرية، دون أن نغوص في الأعماق، في البداية لفظ «أم» هنا مطلق.. لم يُقَيَّد بقيد.. لم يقل رسول الله ﷺ فاطمة أم أبيها في الحنان والعطف أو غير ذلك من القيود التي تجعل المعنى خاصاً..

وأبوها الذي هي أمه.. من هو؟ إنه سيد الرسل خير خلق الله تعالى.. وهي بناءً لهذه التكنية أمه!.

ثم من هو المتحدث الذي صدرت منه هذه الكنية.. وهذا لحاظ آخر.. وإن بدا لأول وهلة أنه نفس ما سبقه (من هو أبوها) فقد يطلق هذه الكنية على الصديقة الكبرى غير المصطفى الحبيب ﷺ فلا تكون دلالاتها بنفس المستوى لأن أي كلام يستمد أهميته من مضمونه وممن صدر هذا الكلام عنه.

المتحدث هو من قال الله تعالى فيه: ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى﴾. فكلامه ﷺ كالقرآن..

ومن كان كذلك فحديث العطف والحنان لمجرد العطف والحنان بعيداً عن ساحته لأنه حديث هوى وحب شخصي.. أما العطف والحنان في مورديهما فهو أحق الخلق وأولاهم به ﴿رحمة للعالمين﴾، وما يؤدي إلى تعظيم شخص ما في نظر المسلمين جميعاً.. لا يمكن أن يكون منطلقاً عن ميلٍ نفس وهوى وحب شخصيين لمجرد أن هذا الشخص عطوف أو حنون.

وعندما نميل بجموح إلى تفسير «أم أبيها» بمجرد العطف والحنان.. فنحن نتحدث عن حب شخصي.. هوى.. إنه حديث عاطفة أبوية في مقابل عاطفة منحتة ابنته إياها حين كان بأمس الحاجة إليها..

وهكذا نبعث الحديث عن آفاق قدسية الصديقة الكبرى عليها صلوات الرحمن في حين أن حديث المصطفى ﷺ عن «أم أبيها» . . لا يمكن إلا أن يكون من منطلق آخر هو منطلق ﴿وحي يوحى﴾ وليس منطلق الهوى . . والعياذ بالله تعالى . .

إذا لاحظنا هذه الخصوصيات :

١ - أن لفظة «أم» ليست مقيدة بأي قيد .

٢ - من هو الأب الذي هي أمه .

٣ - المتحدث هو من كلامه الشريف كالقرآن المجيد .

إذا لاحظنا ذلك فالمعنى الأول أن فاطمة عليها السلام أم خير خلق الله تعالى في جميع المجالات مطلقاً دون أي قيد إلا ما خرج بالدليل العقلي «اللبّي» أو النقل .

حسناً . . المعنى الثاني الذي يتولد من هذا المعنى ويتضح في ضوئه هو التالي : كما أن فعل الولد وتركه يجب أن يدور مدار رضا أمه وغضبها . . وذلك حقها الأبرز عليه . . فإن فعل المصطفى الحبيب وتركه عليه السلام يدوران مدار رضا الصديقة الكبرى وغضبها . . .

ومهلاً . . لا تعجل بالرد وإن استغريت . . وبادر إلى رفع الاستغراب فوراً بتذكر حديث آخر لمن لا ينطق عن الهوى حيث يقول : «إن الله ليرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها» . .

فأيهما أشد استغراباً . . إن كان بقي من الاستغراب عين أو أثر . .

معنى ذلك : أن حديثي «فاطمة أم أبيها» . . و«إن الله ليرضى لرضا فاطمة» من مشكاة واحدة . . ومؤداهما بلحاظ هذا المعنى - الثاني - واحد . .

ولا ينافي ذلك على الإطلاق أنه عليه السلام أفضل منها ومن جميع النبيين والأئمة عليهم صلوات الرحمن .

كما لا ينافي وجوب طاعتها له . . لأن الله تعالى ليرضى لرضاه عليه السلام ويغضب لغضبه . . «من يطع الرسول فقد أطاع الله» .

ولدى التأمل في أبعاد هذا المعنى - الثاني - لمصطلح أم أبيها . سنكتشف أننا على ساحل بحر نبوي متلاطم . . والعبرة التي يجب أن نخرج بها من ذلك وأمثاله . . أن لا نتعاطى مع كلام المصطفى الحبيب ﷺ - والمعصومين عموماً - كما نتعاطى مع كلام الآخرين باعتباره مبنياً على المحسنات البديعية كما نفهمها مبالغاً وجموحاً إلى الخطابة والإنشاء . . وصولاً - والعياذ بالله تعالى - إلى القاعدة المنطق في الشعر . . أعذبه أكذبه .

إن كلام المعصوم . . معصوم . . وما وراء عبادان قرية . .

وإلى من يتصور أن في مثل هذا التفسير غلواً أقول . . إن ثمة روايات واضحة الدلالة قد يتصور أنها أكثر (غلواً) أمل أن يوفق الله تعالى لتناول بعضها في الأحاديث الآتية .

تذكر أيها الحبيب ما قلته لك سابقاً: قبل أن نحكم بالغلو أو بعدمه . . فإن من واجبنا معرفة المعصومين أولاً . . وبعدها نكون قد امتلكننا مقياساً يمكننا على أساسه الحكم على هذا القول أو ذاك بأنه غلو أو ليس كذلك . . أما قبل امتلاك المقياس - حق المعرفة - فإن الدليل لا يسمح لنا إلا أن نقول: إن في هذا الكلام احتمال الغلو . . والجزم حيث لا يسمح الدليل إلا بالاحتمال . . ينافي المنهجية والأمانة العلمية . .

**المعنى الثالث:** الذي ينبغي أن ننتبه إليه - وقلت إنني أتدرج في ذكر المعاني

- كما يلي:

دعنا نقف لنقارن بين كنيتين: كنية أم المؤمنين، وكنية أم أبيها، أيهما أعظم؟ مصطلح أم المؤمنين الثرى، وأم أبيها الثريا . . وأين «أم المؤمنين» من «أم أبيها» .

(وأين الثريا من الثرى وأين معاوية من علي)

أم المؤمنين كنية عظيمة . . و﴿أزواجه أمهاتكم﴾، إلا أن هذه الكنية بنص القرآن الكريم لا تنطبق على أحد إلا بشرط المحافظة على مقتضيات هذه الكنية . . اللواتي حافظن منهن فكنيتهن عظيمة، أما اللواتي لم يحافظن عليها فلا

يصح إطلاقها عليهن . . . ، وأما الشرط فهو ﴿إِن اتقيتن﴾ و﴿إِن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ [التحريم: ٤]، ثم إن هذه الكنية العظيمة لا قيمة لها أمام كنية أم أبيها أين أم رسول الله . . . أين أم خير خلق الله من أم المؤمنين؟ وللأسف الشديد أننا عملنا على إفراغ هذه الكنية من قيمتها وأصبحنا نعرضها على أساس أن المراد بها أن الزهراء كانت تهب أباهما عطفاً وحناناً وانتهت القصة يعني أصبحت أصغر من كنية أم المؤمنين لماذا؟ . . .

عندما نفكر بهذه المقارنة تتضح لنا حقائق كثيرة يشار إلى بعضها وقد تنبّه إلى هذه المقارنة متتبع باحث هو العلامة الشيخ الرحماني الهمداني في كتابه القيم والموسوعي «فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ﷺ» يتحدث في هذا المجال فيشير إلى ما يلي:

يقول: «إِنَّ الله عَزَّ وجل لما شرف وكرم أزواج النبي ﷺ صِرْنَ في معرض أن يخطر ببالهنَّ أنهنَّ أفضل النساء ومن أجل أن لا يتصورن ذلك بما يستتبعه من أنهنَّ والعياذ بالله تعالى أفضل من بضعة المصطفى الحبيب فإنه ﷺ قال: «فاطمة أم أبيها» إذا كنتن أمهات المسلمين ففاطمة أم رسول الله». وهذه لفظة مهمة جداً.

ولا بد من التأكيد مجدداً أنني لست بصدد التقليل من عظمة مصطلح أم المؤمنين عندما يطلق على من تستحقه . . . إلا أنني بصدد أن مصطلح «أم أبيها» أعظم منه بكثير بل بما يفوق كل تصور.

فإذا استحضرنا أن تحول الحكم الإسلامي إلى مُلك عَضُوض - وهو ما حذر منه رسول الله ﷺ كما في الحديث المشهور عن بني العاص - قد بدأ - هذا التحول المشؤوم - وقطع شوطه الأول متستراً بشعار «أم المؤمنين» في حرب الجمل أدركنا بعداً من أبعاد السر الإلهي في إطلاق هذه التكنية على الصديقة الكبرى ﷺ . . . وأدركنا في الوقت ذاته أية جريمة ترتكب عندما نحصر تفسيرها بالعطف والحنان!

**المعنى الرابع:** حول «فاطمة أم أبيها» وهو أعمق من المعاني المتقدمة وأشمل.

خلاصة هذا المعنى أن خصائص الولد تكون عادةً في الأم، بل إن جميع

خصائص الولد موجودة في الأم وعندما أصل إلى المعنى اللغوي في هذا المجال سوف نجد ما يسلط الضوء على ذلك . فالأم هي الأصل ، حسناً . . قد نقول نحن نعلم أن خصائص الولد في الخال . فإن الخال أحد الضجيعين ، فالخؤولة هي المحور . . لا الأمومة . . والجواب : لم يذكر الخال في الرواية - والله تعالى العالم - لأن خصائص الولد موجودة في الخال أكثر مما هي موجودة في الأم وإنما ذكر لأن التواصل مع الخال والتعرف عليه أيسر من التواصل مع أخته المنوي الزواج منها وأسهل ، فمن أراد أن يتزوج فتاةً سوف لن يستطيع أن يتواصل معها كثيراً ليطلع على خصوصياتها . . نعم يمكنه أن يتواصل مع أخيها ، وخصوصياته موجودة فيها تريد أن تعرف خصائصها . . لتختار خصائص ولدك فاعرفها من خلال أخيها الذي سيصبح خال ولدك . . فهو أحد الضجيعين أي أن خصوصياته موجودة في الزوجة . . إذاً خصائص الولد موجودة في الأم .

وبناءً على هذا يكون المعنى إن جميع خصائص المصطفى الحبيب ﷺ موجودة في الصديقة الكبرى عليها صلوات الرحمن ، بحيث لو أنك تأملت جميع الناس لما وجدت شخصاً يمكنه أن يكون بموقع الأم التي هي الأصل لجميع خصائص رسول الله غير الزهراء عليهن السلام .

بعبارة ثانية إذا أردت أن تعرف أشبه الناس برسول الله ﷺ فإنها فاطمة بل أدق من ذلك ، إذا أردت أن تعرف أن الرسول ﷺ هو أشبه بمن من جميع الخلق فهو أشبه بفاطمة «فاطمة أم أبيها» .

**المعنى الخامس :** وهذا المعنى ذكره أيضاً الشيخ الرحماني الذي ذكرت أنه تنبه للمعنى الثالث وقد يبدو أنه نفس المعنى الرابع إلا أنه يختلف عنه ويضرب بعيداً في عالم الغيب وإن لم يتكلم حول هذه الخصوصية بل ذكر بعض الأمور التي يمكن النقاش فيها ، إلا أنه أشار إشارةً في ختام كلامه تنسجم مع بداية الكلام . والخلاصة أن سرّ رسول الله ﷺ هو الزهراء ، أن مصدر رسول الله ﷺ نبع رسول الله ﷺ هو الزهراء عليهن السلام كيف؟ . . يقول ويمكن أن يراد بهذه التسمية . . التكنية . . معنى أدق وأعمق وهو أن أم كل شيء أصله ومجتمعه (أي مكان تجمعه) كما صرّح به أهل اللغة كأما القوم ، وأما الكتاب ، وأما النجوم ، وأما

الطرق، وأم القرى وهي مكة، وأم الرأس، وأم الدماغ، فعليه يمكن أن يقال إنه ﷺ أراد (من هذه التكنية) أن فاطمة ؓ هي أصل شجرة الرسالة، وعنصر النبوة كما قال الباقر ؓ الشجرة الطيبة رسول الله ﷺ وفرعها عليّ ؓ وعنصر الشجرة فاطمة ؓ وثمرتها أولادها، وأغصانها وأوراقها، شيعتها.

العنصر الأساس فاطمة ؓ دخلنا هنا في عوالم لها أهلها، إلا أن الروايات واضحة في هذا المجال ربما يوفق الله تعالى لتناول الحديث القدسي:

«لولاك ما خلقت الأفلاك ليتضح أنها توضح هذه الخصوصية وأن هذه الرواية ورواية فاطمة أم أبيها بمعنى واحد أنها النبع (العنصر) كما في الرواية المتقدمة عن الإمام الباقر ؓ، بل يمكن القول أن هذه الرواية «فاطمة أم أبيها» أعظم دلالة على عظيم دلالة تلك الرواية.

ثم يضيف الشيخ الرحمانى: وكما أنه لولا العنصر ليست الشجرة وذهبت نضرتها، فكذلك لولا فاطمة ؓ لما اخضرت شجرة الإسلام، فإن الشجرة تسمو وتنمو بتغذيها من أصلها<sup>(١)</sup>.

وهذا المعنى الذي ذكره يحوم حول ما يصرح به بعض من العلماء بقوله:

الصديقة ؓ هي غيب المصطفى ﷺ بمعنى أن لرسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، علناً وسراً والصديقة الكبرى هي باطن المصطفى الحبيب وسره، وبما أن باطن كل شخص وسره هو أصله الذي تصدر أفعاله بالتناسب معه، ومقصده الذي يكشف عن مصب تصرفاته، ومرجعه الذي ترجع أعماله في الحقيقة إليه، وجماعته التي ينشد إليها ويألفها، ودينه الذي يوقن به حقيقة فإن باطنه.. أمه.. وهي ؓ تجسيد للخصائص التي تشكل باطن المصطفى الحبيب وغيبه وسره، فهي أمه ﷺ كما سيأتي في تفسير الأم والله تعالى العالم.

وبما أن هذا المعنى يدخلنا في العمق.. فإني أكتفي بإشارة إلى الروايات

(١) الرحمانى، فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

التي تتحدث عن أنَّ الصّديقة الكبرى عليها السلام هي ليلة القدر<sup>(١)</sup> . . الأمر الذي يبدو للوهلة الأولى مستغرباً بل مرفوضاً بشدة . . إلا أن تتبع كلمات العلماء الأعلام والفلاسفة الكبار، ومنهم الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه يكشف شيئاً آخر مناقضاً تماماً لانطباعنا الأولي . . أكتفي بهذه الإشارة ليمكن لمن أراد، متابعة البحث في هذا المجال .

هذه خمسة أوجه في تفسير هذه الكنية «أم أبيها» ومن المناسب الوقوف قليلاً مع آراء اللغويين في جولة سريعة على مصادر اللغة فهناك عبارات تنفعنا في هذا المجال، وسيوضح في ضوئها «المعنى السادس» لهذا الحديث الشريف .

في بعض المصادر<sup>(٢)</sup> أم الشيء: أصله . والأم: الوالدة أي معنى الوالدة، ومعنى الأم هو الأصل، إنها في موقع الأصل بالنسبة إلى الفرع، وإنما تسمى الوالدة أيضاً لأنها أصل . . إذا «فاطمة أم أبيها» يعني هي في موقع الأصل بالنسبة إلى الفرع .

أيضاً في مصدر آخر يقول: أم: أصل واحد يتفرع منه أربعة أبواب . الأصل، المرجع، الجماعة، الدين، أم: تدل على هذه المعاني الأربعة وقال الخليل اللغوي المعروف: كل شيء يضم إليه ما سواه مما يليه فإن العرب تسمى ذلك الشيء أمّاً .

أي أن المحور الذي يلتف حوله غيره يسمى «أم» .

يقول: ومن ذلك أم الرأس وهو الدماغ عندما يقال ضربه على أم رأسه نحن ماذا نتصور؟ يعني على أعلى منطقة في رأسه، كلا! أم الرأس يعني الدماغ باعتبار أن المحور في الرأس بل في الإنسان هو الدماغ والباقي لحفظ هذا الدماغ والالتزام بأوامره إبلاغاً وتنفيذاً . . إنه المحور الذي يدور الإنسان مداره . .

(١) البحار ٤٣/٦٥ .

(٢) أورد هذه الآراء نقلاً عن المصادر اللغوية الأم، المحقق السيد المصطفوي في «التحقيق في كلمات القرآن الكريم» .

وفي مصدر آخر: ويقال لكل ما كان أصلاً لوجود شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه، يقال له «أم» يضيف: وإنه في أم الكتاب ما المراد بأم الكتاب؟ إنه: اللوح المحفوظ لأن كل العلوم تتولد منه إذاً هو الأصل.

وقد تسأل: ما معنى ﴿فَأُمُّ هَاوِيَةَ﴾؟ أنتم تقولون الأم يعني الأصل، ولكن أمه هاوية يعني مأواه جهنم يعني هذه «الأم» لم يرد استعمال لفظها ليدل على الأصل، وإنما ليدل على النهاية.. والجواب: الآخرة جزاء الدنيا، من كانت أمه في الدنيا هي جهنم فالتى تحتضنه في الآخرة جهنم.  
يقول الشهيد مطهري رضوان الله تعالى عليه:

سمعت بالمقدس الشاه آبادي (الذي هو أستاذ الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه) وأنه في منطقة شاه عبد العظيم في طهران فأحببت أن أذهب لأتعرّف عليه، وأحضر درسه، يقول: ذهبت فوجدته يفسر هذه الآية «فأمه هاوية» وسمعته يقول: إن الذي يدخل جهنم في يوم القيامة يكتشف ويكتشف الآخرون أنه عندما كان في الدنيا كان ابناً لهذه الأم فهي سره وباطنه أي أصله.. بمعنى أن الأعمال الجهنمية هي حقيقته.. لذلك كانت جهنم أمه.. وكما كانت تحضنه في الدنيا فقد احتضنته في الآخرة.. نستجير بالله تعالى..

إذاً الأم بمعنى الأصل.. وهذه المعاني اللغوية كلها يمكن تطبيقها على هذا الحديث الشريف «فاطمة أم أبيها» كما اتضح.

**المعنى السادس:** يستنتج بوضوح من كلام للمحقق الجليل السيد المصطفوي في كتابه الفريد «التحقيق في كلمات القرآن الكريم» حيث يقول:

«والذي يقوى في النفس أن الأصل الواحد في هذه المادة «أم» هو القصد المخصوص أي القصد مع التوجه ثم يقول في معنى كلمة الأم: «الأم ما يكون مورداً للقصد والتوجه، فإن الأم يتوجه إليها توجهاً خاصاً»..

وبناء على هذا يصبح معنى فاطمة أم أبيها.. فاطمة قبله أبيها، فاطمة كعبة أبيها، فاطمة مقصد أبيها الذي يتوجه إليه ويهتم به ويعنى به عناية خاصة واهتماماً خاصاً كما ينبغي أن يكون الاهتمام بالقبلة والكعبة.

أيها الحبيب . . إنها ثلاث كلمات «فاطمة أم أبيها» وقد رأينا تعدد المعاني التي يمكن أن تحملها . . وغزارتها وعمقها عندما تعاملنا معها بشيء من التعمق الذي يجب أن لا نخرج عنه في محاولة فهم النص المعصوم، نص القرآن الكريم، والثابت من الأحاديث القدسية وسائر نصوص المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين . . كما رأينا بأمر عين القلب . . كيف أن التعاطي الأفقي السطحي مع هذه الكلمات أفرغها من معانيها . . وحصر معناها بيننا بما لا فضل فيه ولا منقبة . . بل يمكنه أن يمس من قدسيته و قدسية المصطفى حيث يصورهما كسائر البشر . . ويجرد شخصيتهما من الركون إلى الله تعالى والانقطاع إليه والاستغناء به . . مما يجعلهما أكبر من الدنيا والآخرة .

بل إننا نسيء إلى المصطفى الحبيب ﷺ وإلى الصديقة الكبرى ﷺ عندما نفسر هذا الحديث الشريف بأنها كانت كآية ابنة تتوفى أمها فتهتم بأبيها وتمنحه العطف والحنان اللذين هو بأمر الحاجة إليهما! .

وفي الختام . .

السؤال المركزي هو :

كيف تعاملت الأمة مع الزهراء ﷺ؟!؟

هذه الزهراء العظيمة الصديقة الكبرى التي على معرفتها دارت القرون الأولى وأم أبيها كيف تعاملت معها الأمة؟!؟

أذكر لكم حديثاً هنا سمعنا مضمونه كثيراً لكن الملفت أن هذا المضمون ورد في رواية عن الإمام الصادق ﷺ وأن هذه الرواية وردت في كتاب «كامل الزيارات» للعالم الجليل ابن قولويه وهو من الكتب المعتمدة عند علمائنا .

ما هي الرواية؟ :

عن الإمام الصادق ﷺ لما أسري بالنبي ﷺ إلى السماء قيل له : إن الله تبارك وتعالى يختبرك . . إلى أن يقول : وأما ابنتك فتظلم وتحرم ويؤخذ حقها - الذي تجعله لها - غضباً، وتضرب وهي حامل (لا تنس أن المتحدث هو الإمام

الصادق عليه السلام والرواية وردت في كتاب «كامل الزيارات» الباب/١٠٨) وتضرب وهي حامل ويدخل عليها وعلى حريمها بغير إذن ويمسها هواناً، ثم لا تجد مانعاً وتطرح ما في بطنها من الضرب وتموت من ذلك الضرب، قال (المصطفى عليه السلام) قلت: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ قبلت يا ربّ وسلمت ومنك التوفيق والصبر.

أيها الحبيب.. بلى فاطمة أم أبيها وكنية أم أبيها أعظم بكثير من كنية أم المؤمنين.. كنية أم المؤمنين مشروطة بـ«إن اتقيتين» لكن أم أبيها ليست مشروطة بشيء.

يا لله ويا للعجب! كنية أم المؤمنين ينفخ فيها هذا النفخ وتصبح رقماً صعباً، على مستوى العالم الإسلامي وكنية «أم أبيها» تصبح دلالاتها.. هذه الدلالة العادية.

يا لله وللعجب، شعار أم المؤمنين تجيِّش به الجيوش لحرب علي عليه السلام في عصره وفي كل عصر وأم أبيها يهجم على دارها بهدف إحراق الباب والدار!! هذا الباب الذي طالما وقف عليه رسول الله صلى الله عليه وآله طيلة ستة أشهر وفي بعض الروايات تسعة أشهر يقف ويقرأ قوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾.

هذا الباب الذي قال عنه المصطفى الحبيب باب فاطمة بابي وحجابها حجابي.

هذا الباب الذي عندما كان يقف به أمير المؤمنين عليه السلام بعد شهادة الزهراء وقبلها، لا بدّ وأنه كان يطيل البكاء والنشيج.. هذا الباب الذي ما وقف به معصوم من أولاد الزهراء عليهم السلام أو تذكره إلا وكان له معه حديث ذو شجون، هذا الباب الذي نتمنى أن نعرف كيف وقفت به مولاتنا زينب عليها السلام بعد رجوعها من هنا من الشام وماذا تحدثت مع أمها هل قارنت بين ما جرى بذلك الباب وما جرى في كربلاء بلى:

لولا احتراق الباب ما احترقت لهم في الغاضرية أستترّ وخدور

هذا الباب الذي هو باب الله عزَّ وجلَّ:

أتضرم النار بباب دارها      وآية النور على منارها  
وبابها باب نبي الرحمة      وباب أبواب نجات الأمة  
بل بابها باب العلي الأعلى      فثم وجه الله قد تجلى  
ما اكتسبوا بالنار غير العار      ومن ورائه عذاب النار  
وللسياط رنةٌ صداها      في مسمع الدهر فما أشجاها<sup>(١)</sup>

عظم الله أجوركم . . . والحمد لله ربَّ العالمين .

---

(١) من قصيدة آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني، أستاذ السيد الطباطبائي عليهما الرحمة والرضوان في ديوانه الفريد «الأنوار القدسية».

## (٧)

### في منهج البحث عن عظمتها عليها السلام (١)

- \* تمهيد .
- \* عمق الفجيرة . . وبحار الأسي . . .
- \* الأئمة عليهم السلام . . . وذكرى الشهادة . . .
- \* محظوران . . المس بقديسية الصديقة الكبرى عليها السلام . . والمس بالوحدة الإسلامية . .
- \* وجوب اعتماد المنهج العلمي . . واجتناب الابتذال .
- \* أساس المنهج العلمي . . بلورة المنطلقات .
- أ - أصالة الغيب أم الشهادة .
- ب - حقيقة العقل الحجة . . ومهمته؟
- ج - أصالة الله تعالى أم أصالة الإنسان .
- د - مقام المعصوم ومكانته . .
- هـ - موقع الصديقة عليها السلام . . في منظومة المعصومين عليهم السلام .
- \* ناقة صالح ناقة الله . . وباب فاطمة ليس باب الله؟ . .
- \* البعد الغيبي في شخصية المعصوم . . والولي عموماً . .
- \* ختام . . .



## (٧)

يتركز حديثُ هذه الليلة بحوله تعالى حول الصديقة الشهيدة سيدة نساء العالمين عليها صلوات الرحمن باعتبار أن يوم الغد هو الثالث عشر من جمادى الأولى، ذكرى شهادتها عليها السلام بناءً على بعض الروايات.

لا يمكن لقلب الموالي في مثل هذه الأجواء إلا أن يحاول النظر بعين القلب إلى المدينة المنورة.. كيف كانت المدينة وهي تودع الصديقة الكبرى عليها السلام.

إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلثة لا يسدها شيء.. فكيف عند فقد المعصوم، وكيف إذا كان المعصوم الصديقة الكبرى عليها السلام، عمق الفجيرة أبعده بكثير من أن يتمكن القلب الوصول إلى سفحه فضلاً عن الذرى، وإلى ساحله فضلاً عن بعيد الأغوار منه، تتلاحم في عمق الفجيرة بالصديقة الكبرى عليها السلام بحاراً من الأسي.

الأول منها مجرد الرحيل: بمعنى أن مجرد رحيل الصديقة الكبرى عليها السلام عن الدنيا مثاراً لحزن لا ينتهي حتى إذا كان هذا الرحيل في وضع اعتيادي دون الظلامه ودون سائر الأمور التي رافقت شهادتها عليها السلام كما سيأتي.

مجرد رحيل الصديقة الكبرى عليها السلام بحرٌ من الأسي لا يمكن أن ندركه، فإذا أخذنا العنصر الثاني، بحر ظلامه الصديقة الكبرى عليها السلام... فاطمة قرّة عين الرسول ﷺ تدفن ليلاً وترتكب بحقها تلك الجرائم الخطيرة: سقط الجنين، إحراق الباب، منعها حقها الطبيعي والشرعي فدك، الضرب، إلى سائر الظلامات، بحر من الأسي هو الظلامه للصديقة الكبرى عليها السلام والبحر الآخر هو الذي تتلاطم أمواجه لتشتبك في تصوير الفجيرة.

غربة علي عليه السلام عند فقد الصديقة الكبرى عليها السلام... نجد في الروايات عن الإمام الباقر عليه السلام أنها عليها صلوات الرحمن لما حضرتها الوفاة بكت،

فقال لها علي عليه السلام : ما يبكيك يا سيدتي فقالت : أبكي لما تلقى من بعدي ، فقال علي عليه السلام : لا تبكي فإن ذلك لصغير عندي في ذات الله <sup>(١)</sup> .

غربة علي عليه السلام في مثل هذه الأجواء هي أيضاً بحرٌ من الأسى ، تظلُّ أمواجه تتلاطم حتى بعد يوم البعث . والبحر الرابع الذي تتلاطم أمواجه أيضاً لتسهم في تصوير عمق الفجيعة بالصديقة الكبرى عليها السلام غلبة الانقلاب على الأعقاب ، وتسلب الانقلابيين على الأعقاب ، ﴿ أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ ، أعلنت الصديقة الكبرى عليها السلام الحرب واستنفرت الأمة لتحارب المنقلبين على الأعقاب ، وخطبتها عليها السلام كما ذكرت في السنة الماضية في بعض الأحاديث خطبة إعلان الحرب ، تريد من الأنصار أن يحملوا السيوف ليحاربوا ، تريد من الأمة أن تنزل إلى ساحة المعركة <sup>(٢)</sup> .

كانت الصديقة الكبرى عليها السلام القائد الذي كان يجب أن يتحرك في ذلك الظرف ، كان علي عليه السلام مأموراً بما يجب عليه من الله والمصطفى الحبيب وكذلك كانت الصديقة الكبرى عليها السلام ، ولذلك أعلنت الحرب على الانقلاب على الأعقاب .

وبفقد الصديقة الكبرى عليها السلام يبقى علي عليه السلام غريباً في مواجهة هذا الانقلاب الأخطر .

حذار يا قلب أن تثق بأنك ممن يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم ، حذار أن يكون التظاهر بالحزن أكبر من الواقع ، وحذار يا قلب أن تغترَّ ببعض مظاهر الأسى والحزن فتتصور أنك أدت ما عليك ، مجرد استحضر عنصر من هذه العناصر التي ذكرت كفيلاً بأن لا يقرَّ للموالي الصادق قرار ، اللهم اجعلنا من القليل ، الذين وفوا بواجب المودة في القربى .

لعمق الفجيعة فإن المصطفى صلى الله عليه وآله طالما بكى لفقد الزهراء وما يجري عليها

(١) القمي ، بيت الأحزان ، ص ١٤٩ .

(٢) انظر : الخطبة وخصوصاً فقرة «إيهاً بني قيلة» إلى استهادها عليها السلام بالآية المباركة ﴿ ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم ﴾ .

ولما يجري على أمير المؤمنين عليه السلام كانت ظلامه الزهراء عليها السلام تلك الغصة في قلب المصطفى الحبيب، بالإضافة إلى ظلمات أهل البيت عليهم السلام يبكي رسول الله صلى الله عليه وآله فيسأله المرتضى عن سبب بكائه، فيجيبه صلى الله عليه وآله: «أبكي من ضربتك على القرن، ولطم فاطم خدها، وطعن الحسن في فخذة والسم الذي يسقاه وقتل الحسين»<sup>(١)</sup>. ما ظنك بأمر المؤمنين عليهم السلام وهو يرى هذه الظلمات أمامه؟

نحن بعد حوالي أربعة عشر قرناً نسمع ببعض ما جرى فلا يمكننا أن نطيق وما نحن وما حجم تفاعلنا مع الحقائق بالنسبة إلى المعصوم. كل ذنب نرتكبه يجعلنا أقل تفاعلاً مع أحزان أهل البيت ومع الحقائق عموماً، تلك الغصة التي كان يشعر بها أمير المؤمنين عليه السلام... ذات يوم في المسجد جاء من يقول أن الثاني غرم جميع عماله، فرض عليهم الضرائب إلا قنفذ، أبلغ ذلك لقوم يجلسون بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام، فسأله أحد الحضور عن السبب، فاغرورت عيننا أبي الحسن عليه السلام بالدموع ونظر يميناً وشمالاً ثم قال: «شكر له ضربه لفاطمة»<sup>(٢)</sup>، كان عليه أن يكتفم الفجيرة التي يعيش... كان مأموراً بالصبر والصبر يقتضي درجات من الكتمان، هذه الفجيرة التي لا نجد معصوماً من المعصومين الأربعة عشر حتى الصديقة إلا وأطال الوقوف عندها. نجد مثلاً أن الإمام الباقر عليه السلام ينادي بأعلى صوته بحيث يسمعه من في «الباب»: يا فاطمة أو فاطمة كأنه يتذكر هذه الفجيرة فلا يستطيع أن يعبر عما يجول في خاطره فيكتفي بلوعة النداء، يتحدث المقدس الشيخ عباس القمي عن ذلك بما حاصله: أن الإمام الباقر عليه السلام كان إن أصابته حمى أو ما شابه ينادي يا فاطمة، ويرى البعض في تفسير ذلك كأنه يستغيث كأنه عليه السلام يستشفي بذكر فاطمة إلا أن الذي يعرف الأم الثكلي يعرف لماذا يذكر الإمام الباقر عليه السلام اسم الصديقة عليها السلام لأن في داخله بحار أسى تتلاطم ويريد التنفيس عن لوعته فينادي باسمها<sup>(٣)</sup>، والإمام الصادق عليه السلام يدخل عليه أحد أصحابه ويخبره بأن امرأة في الكوفة تعرضت

(١) ابن شهر آشوب، المناقب ٢/٥١؛ وذوب النضار، لابن الحلبي، ص ١١؛ والبحار ٢٧/٢٠٩.

(٢) كتاب سليم بن قيس، تحقيق الأنصاري، ص ٢٢٤؛ وعنه البحار ٣٠/٣٠٣.

(٣) نفس المصدر، ص ١٠٠.

للأذى والضرب، لماذا! لأنها قالت: لعن الله ظالميك يا فاطمة، فبكى الإمام الصادق عليه السلام بكاءً مريراً وجرت دموعه على لحيته الطاهرة ثم قال للراوي «الناقل» قم إلى المسجد لندعو لهذه المرأة<sup>(١)</sup>.

وذات مرة يدخل عليه أحد أصحابه وقد رزق بمولودة... فيقول له الإمام عليه السلام: ما سميتها؟ قال: فاطمة... قال... آه... آه... ثم وضع يده على جبهته إلى أن قال: أما إذا سميتها فاطمة فلا تسبها ولا تلعنها ولا تضربها<sup>(٢)</sup>.

الإمام الرضا عليه السلام ينظر إلى الإمام الجواد وهو في الرابعة من عمره ذكرت في الحديث السابق وقبله كيف أن بالإمكان أن يكون (الطفل) في مرتبة عالية بقدرة الله عز وجل، يكفي أن النبي عيسى عليه السلام وهو في المهد قال: ﴿إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾ يرى الإمام الرضا عليه السلام الإمام الجواد عليه السلام في الرابعة من عمره متكئاً يطيل النظر: ما بك يا بني؟ قال:

أفكر بما صنع بأمي فاطمة<sup>(٣)</sup> أو هل يستطيع موالٍ أن ينسى ما جرى على الصديقة الكبرى فكيف بأهل البيت عليهم السلام.

والإمام المنتظر «عجل الله تعالى فرجه الشريف» الذي يتحدث عن جدارة البكاء، ما بدل الدموع لسبي مولاتنا زينب عليها السلام كما بلغنا، كيف يتعامل مع فجيعه القرآن والإسلام بظلامه الزهراء التي شكلت البداية لكل ظلمات أهل البيت من بعدها.

ليس شعاراً ولا مجرد شعر أن نقول:

لولا انكسار الضلع ما انكسرت لهمم في الغاضرية أربع وصدور  
لولا احتراق الباب ما احترقت لهمم في الغاضرية أستر وخدور

كانت تلك الظلامه الأصل لكل الظلمات والمنطلق.

إذا نحن في أجواء فجيعه والقلب هو الذي يجب أن يعيشها.. لا بد وأن

(١) نفس المصدر، ص ١٠١ - ١٠٢.

(٢) وسائل الشيعة ٤٨٢/٢١.

(٣) البحار ٥٨/٥٠.

يظهر هذا في سلوكنا وفي تصرفاتنا والمتسع أمامنا كبير فحتى العشرين من جمادى الثاني نحن في أيام ترتبط ارتباطاً خاصاً بالصديقة الكبرى عليها السلام وما جرى عليها .

هناك محظوران متصوران عادةً في هذا المجال، أي حديث عن الصديقة الكبرى عليها السلام ينبغي أن يدخلهما في حسابه، أوافق عليهما، ولكنني أختلف مع البعض في طريقة تفادي المحظور الثاني، المحظور الأول الذي يجب أن يبنى عليه الحديث عن الصديقة الكبرى عليها السلام هو الحذر من أي مسّ بقدسيتها عليها السلام .

لا يجوز على الإطلاق لأي حديث عنها عليها السلام أن يقلل من شأنها، أن يقلل من قدسيتها . لا يجوز أن تُمس سلباً شخصيتها عليها السلام سواءً بالتقليل من القدسية أو المكانة أو بالتقليل من ظلامتها .

أية محاولة للتقليل من ظلامه الصديقة الكبرى عليها السلام هي أمرٌ خطير يجسد المس بقدسية الصديقة الكبرى عليها السلام . حذار من الوعي المدعى الذي يقول لماذا نرجع إلى التاريخ فنبحث في أمورٍ حصلت من قبيل إحراق باب الدار، أو سقط الجنين أو ما شابه، مجرد أن نطرح هذه المقولة «لماذا نرجع إلى التاريخ» فإن هذا يشكل مساً بقدسية الصديقة عندما تكون هي عليها السلام محور الحديث . هذا (الوعي) يريد أن يقول لنا: ينبغي أن نفكر بحاضرنا، بواقعنا، فلماذا نرجع إلى التاريخ؟ ليكن واضحاً أن البحث في ظلامه الصديقة عليها السلام ، لا يمكن له إلا أن يكون بحثاً في غاية الأهمية والقداسة، فهو إما أن يكون بحثاً عقائدياً، وإما أن يلامس البحث العقائدي .

هذا المحظور الأول وستأتي بعض الإيضاحات إن شاء الله تعالى .

المحظور الثاني الذي يطرح وأختلف مع البعض في طريقة تفاديه هو أن لا يمس الحديث عن الصديقة الكبرى عليها السلام وحدة المسلمين أوافق عليه من حيث المبدأ، ذلك أن وحدة المسلمين دين وليست شعاراً سياسياً شكلياً، نحن ندين الله عزّ وجل، نعتقد بيننا وبينه سبحانه وتعالى بوجود حفظ وحدة المسلمين إلا أنّ الذي يمسّ بوحدة المسلمين بالدرجة الأولى هو تزييف الحقائق وخصوصاً المرتبط

منها بالصّديقة الكبرى وبأمير المؤمنين عليه السلام ، كل ما يقلل من شأن الصّديقة الكبرى عليها السلام يهدد وحدة المسلمين ويضر بها . مرفوض كلياً ومدان أن يقال : إن الحديث عن ظلم الصّديقة هو ضرب لوحدة المسلمين . إن المس بقديسية الصّديقة الكبرى هو الذي يضرب وحدة المسلمين . . المبنية على أسس الاعتصام بحبل الله ورضاه عزّ وجل والصّديقة عليها السلام في صلب هذه الحقيقة . . في لبّ حبل الله والاعتقاد بالله عزّ وجل وحبّه ورضاه سبحانه . . رضاها رضا الله تعالى ولذلك فإنّ التقليل من شأنها ضرب للعقيدة وما يمس العقيدة بسوء يضعف وحدة المسلمين لأنه يهز الأساس الذي يجب أن تبنى عليه هذه الوحدة .

من جهةٍ أخرى . . ومن منطلق الحرص على وحدة المسلمين ينبغي أن نفرّق بين أمرين :

**الأمر الأول :** البحث العلمي بهدف الكشف عن الحقيقة .

**الأمر الثاني :** أن تحمّل تبعة هذه الأمور للذين يختلفون معنا في الرأي ، وهذا مر آخر لا معنى له ولا مبرر ، ولسنا بصدده . . كل مانريده أن نستوضح الحقيقة ، دون أن ننطلق من مسبقات وإنما لله وفي سبيل الله ، قربة إليه عزّ وجل ، اتباعاً للمصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله ، حبنا لرسول الله صلى الله عليه وآله يدفعنا أن نعرف حقيقة ما جرى بعده على الصّديقة الكبرى عليها السلام ، نريد أن نكون مسلمين حقاً كما أراد الله تعالى ، وكما أراد المصطفى الحبيب ، هذا الأمر لا علاقة له بأنّ البحث هنا يؤدي إلى التعصب الأعمى ضد سائر المسلمين . أبداً فهذا شيءٌ وذاك شيءٌ آخر ، نحن لا نحمل التعصب الأعمى ضد إخواننا المسلمين السنة على الإطلاق و نفرق جيداً بين النواصب الذين يبغضون أهل البيت وبين غيرهم ونحكم على النواصب تبعاً لفقهاء المسلمين جميعاً ، بأنهم رجس و كفار ولا مجال للتواصل معهم ، أما المسلم السني الذي يحب الزهراء عليها السلام ، ويحب أمير المؤمنين ، والحسين ، يحب أهل البيت عليهم السلام فهو الذي نصرّ على الوحدة معه ، إلا أن الوحدة مع أخيك لا تمنعك من التحقيق في أمرٍ تختلف معه حوله ، الوحدة مع شريك لا تمنعك أن تبحث و تحقق في شأنٍ تمتين أواصر هذه الشراكة وتقوية ركائزها ، وأنت مصر على الوحدة والشراكة ، نحن نصر على الوحدة الإسلامية

ونبذل الدم من أجل تحقيقها . إخواننا المجاهدون في فلسطين ، يقدمون الدم للحفاظ على وحدة المسلمين ، كما دفعنا نحن سابقاً في إيران وكما ندفعه الآن في لبنان من خلال المقاومة الإسلامية . نريد لهذه الأمة أن تكون أمةً واحدة في مقابل الخطرة الأمريكية وفي مقابل الغدة السرطانية الصهيونية ، نريد أن تبقى كلمة لا إله إلا الله هي العليا وراية الإسلام خفاقة مرفرفة ، ولكن هل نسلك من أجل هذه الوحدة متاهات التعتيم لكي لا تتضح الحقيقة . .

إن نائب الإمام الحجة «عجل الله تعالى فرجه الشريف» مفجر الصحوة الإسلامية الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه ، هو رائد الوحدة الإسلامية وهو الذي أطلق نداءها ومع ذلك فإنه يتعاطى مع هذه الحقائق الثابتة حول الصديقة الكبرى عليها السلام ويصر عليها ، نحن لا نريد أن تبني الوحدة على المجاملات والعواطف والشكليات لأنها من الدين في الصميم ، ولذلك ينبغي أن تبني على الحقائق .

ولماذا نلصق بالإسلام تهمة عدم الانفتاح على الرأي الآخر ، وهو يعني أن أتحمّل ما تفرضه على الآخر قناعته ويتحمّل ما تفرضه عليّ قناعتي ، ثم نسير معاً في طريق البحث عن الحقيقة لعلنا نتفق في النتيجة ، أو يتعامل كل منا مع غيره كما هو . . هذان المحظوران ينبغي أن ندخلهما في الحساب على أن لا تخرج النتيجة عن الإطار التالي :

أولاً: وجوب الرد على كل ما يثار من الأمور التي تمس قداسة الصديقة الكبرى عليها السلام .

ثانياً: وجوب الردّ على كل ما يقلل من شأن ظلامه الصديقة الكبرى عليها السلام ، وهو وجوب شرعي لا مجال للتساهل فيه على الإطلاق ، صونا للحقيقة وحفظاً للعقيدة التي لا يجوز التفريط فيها . . وهي أساس وحدة المسلمين .

ثالثاً: أن نعتمد في الردود المنهج العلمي : الدليل والبرهان ، أما الأساليب الأخرى فإنها تضعف موقع المدافعين وتقوّي مواقع المشككين الذين يطلقون الشبهات ، يجب أن نحترم قدسية الصديقة الكبرى عليها السلام فلا نتناول أي موضوع يرتبط بها إلا بالأسلوب العلمي الذي يتناسب مع قدسية محور الحقيقة ، وفي هذا

الإطار يجب أن يكون واضحاً أن من واجبنا أن نحترم كل الذين يعتمدون الأساليب العلمية في الردود على الشبهات التي أثيرت وتثار ويجب أن ننحني إجلالاً لهم سواءً تحدثوا وبإخلاص عن الولاية التكوينية أو عن الحقائق التاريخية أو عن المنهج الغيبي وعدم تناقضه مع المنهج العقلي، يجب أن نعتبر هذا جهاداً في سبيل الله عزَّ وجل ودفاعاً عن حرمة الإسلام والقرآن، عن حرمة الثقلين القرآن وأهل البيت عليهم السلام، حتى الشخص الواحد الذي نجد له حديثاً علمياً وحديثاً غير علمي ينبغي أن نحترم حديثه العلمي أما حديثه غير العلمي فلا.

المهم أن من واجبنا جميعاً أن نرد على الشبهات التي تثار سواءً فيما يمس بالقدسية أو ما يمس بالظلمة فيقلل منها ويجب أن نشد على أيدي الذين يتصدون للردِّ بأسلوب علمي.

وحيث قد ذكرت المنهج العلمي فأسأل ما المراد به؟

طبعاً لا يتسع الحديث هنا لتفصيل واسع في هذه النقاط إلا أنني أشير إلى بعض العناوين.

إن أي بحث لا يحدد المنطلقات أولاً لا يكون علمياً. لا بد وأن نتفق على المنطلقات. أذكر لك مثلاً: مؤمن وملحد يريدان أن يتناقشا حول المال ما هي النظرة إلى المال كيف نقيّم المال. لا يمكن أن يتفقا، فالمؤمن يفكر بالآخرة أولاً والدنيا ثانياً، ولا تعمر الدنيا إلا بذلك. تكليف المؤمن في ضوء قناعاته هو هذا. المؤمن الذي يصدق مع نفسه هكذا يجب أن يكون. العاقل هكذا يجب أن يكون، أما الملحد فهو يفكر بالدنيا أولاً وأخيراً ولا يرى غيرها، المؤمن يعتقد أن الذي يتصدق ويدفع من ماله يحوّل هذا المال عبر (البنك الإلهي) إلى حسابه الخاص في الآخرة، ويعتقد كذلك أن الذي يقاسم الله ماله فيتصدق بنصف المال هو الرباح، أما إذا بقي معه فقد يموت ويحاسب على تفصيله فيه ومنع الآخرين منه، أما إذا قدمه أمامه - دون إضرار بأولاده - فقد ربح، المؤمن ينطلق من منطلقات تختلف عن منطلقات الملحد فيصل إلى نتائج يعتبرها الملحد جنوناً. . . ولذلك لا يمكن أن يتفقا على التقويم.

مثال آخر: شخص يقدر الإمام الخميني «رضوان الله تعالى عليه»،

وشخص آخر يحترم لينين، لو بقيا مدة سنة يتناقشان أيهما أعظم الإمام الخميني أم لينين، فلا مجال للتفاهم لأن المنطلقات مختلفة.

إذا اتضح ذلك أنتقل إلى أهم المنطلقات التي ترتبط جذرياً بالحديث عن المعصوم وهي كما يلي:

**أولاً: الغيب.. فلا بد وأن نتفق على أصل وجوده وعلى خصوصياته الكلية وحدوده.**

**ثانياً: العقل.. لا بد وأن نتفق على العقل ما المراد بالعقل، متى يكون حجة ومتى يختلط بوهم العقل، النكراء.**

**ثالثاً: الإنسان.. لا بد وأن نتفق على قيمة الإنسان وكرامة الإنسان وحدود هذه الكرامة، أصالة الله أم أصالة الإنسان، لا بد وأن نتفق قبل كل شيء على رؤية موحدة لهذه المنطلقات حتى يمكن الاتفاق على موقع المعصوم ومكانة المعصوم.**

أشير هنا إلى بعض الخصوصيات في بعض هذه المجالات، مثلاً بالنسبة للغيب هناك رؤيتان الأولى: أن الغيب هو الأهم وهو الأوسع وهو الأعظم، أن الغيب هو الأصل وعالم الشهادة ظل، كيف؟! إذا كان لديك بيت مثلاً وظل البيت أيهما أعلى؟ هل هناك عاقل يقول لك: أنا أخذ الظل وأنت خذ البيت، الغيب هو الأصل عالم الشهادة ظل، هذا محور ينبغي أن يبحث أولاً، عالم الغيب روح وعالم الشهادة شكل وجسد.. المحرك هو الغيب، هذه رؤية للغيب. الرؤية الثانية للغيب: (وهي الأمثل!) جئنا إلى هذه الدنيا بقدره غيبية من الله عز وجل، يعني كان هناك غيب ثم جئنا إلى هذه الدنيا وسوف نرد إلى الغيب في الآخرة لكن نحن في الدنيا في عالم شهادة وهو وحده الذي ينبغي أن يدخل في الحساب لنكون واقعيين، أي أن الغيب موجود وغير موجود! أي الرؤيتين يجب اعتماده؟

وكذلك الأمر بالنسبة إلى الإنسان هناك رؤيتان، رؤية تقول:

**أولاً: كرم الله عز وجل الأنسان وسخر له كل ما في الكون، فالإنسان مطلقاً يعني الإنسان الكافر، وغير الكافر، كل إنسان هو مكرم والتكريم دائم.**

ثانياً: يتضح من مطاوي حديثهم عن حدود كرامة الإنسان أنه الأصل في هذا الوجود «أصالة الإنسان» وإن كان أكثرهم يتبرؤون من هذه النتيجة .  
ثالثاً: طهارة الإنسان مطلقاً - وهي تتفرع على ما تقدم - هذه أمور ثلاثة تجسد النظرة إلى الإنسان .

في المقابل ثمة رؤية تقول: إن الله عزّ وجلّ كرم بني آدم ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ ولكن هذا التكريم ليس مطلقاً، فالله عزّ وجلّ كرم بني إسرائيل ثم لعنهم . فالتكريم إذاً ليس مطلقاً إنه تكريم مشروط إذا أطاع الإنسان الله عزّ وجلّ تدرّج في مراتب استحقاق الكرامة و الكمال وإذا عصى سقط وإلى أي حد يصل سقوطه! يصل إلى حيث يصبح الحيوان أفضل منه، ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً﴾ .

عندما يتحدث السيد الطباطبائي «عليه الرحمة» عن الرق يبين أنه لأجل هذا يُسترقُّ الإنسان لأنه يعلن الحرب على الله تعالى فيفقد قيمته . إذاً أين هي أصالة الإنسان التي ترى أن الإنسان عظيم مطلقاً . مهما كان، الكافر الطاغية . الخ .

صحيح أن هناك درجة من الكرامة لأي إنسان، إلا أن ذلك في العمق يرجع إلى التزام الحقيقة ويتمحور حولها فلا يصح لنا أن نتصرف مع الفاسق أو الكافر على أساس أننا أفضل منه، لماذا؟ لأن أحدنا قد ينحرف وهذا الكافر قد يهتدي، إذاً المحور التدين، المحور طاعة الله، المحور الالتزام بجوهرة الإنسانية بسرّ التكريم الإلهي الذي هو التزام الحقيقة ويجسد هذا الألتزام، الارتباط بالله وطاعة الله سبحانه وتعالى والعبودية له عزّ وجلّ .

\* العقل: حول دوره، ومدى مرجعيته - ثمة أيضاً وجهتا نظر - يمكن تلخيصها كما يلي:

الأولى: أن كل شخص يرجع إلى عقله في أية واقعة يواجهها . . . فما وافق عليه «العقل» التزمه . . . وما رفض خالفه .

والحقيقة أن هذا «المنهج» يعتبر أن «عقل» الفرد هو الحجة والمراد به القناعة الناشئة من خليط من المعلومات والبيئة والمسموعات وعلى الأقل فهو عملياً كذلك . . حتى إذا كان لا يلتزم نظرياً بهذه النتيجة .

**الثانية:** أن العقل حجة . . . إلا أن المراد به ما تسالم عليه العقلاء لا «عقل» الفرد . . . ذلك لأن العقل يتعرض لعمليات هدم وتخريب . . . بحيث يصعب التمييز على مستوى الفرد الواحد بين قناعاته العقلية والمزاجية، الأمر الذي يحتم الرجوع إلى الضوابط لتحديد حجية العقل وتمييزها من حجية ما يتوهم كونه عقلاً. ثم إن العقل الحجة . . . هو نفسه يعلن بكل صراحة ووضوح أنه يقود الخطى إلى عتبة الغيب . . . معترفاً بعجزه عند ذلك وإخلائه الساحة لما هو فوقه . . . وأكبر من إدراكه وأعظم . . .

هذه الأمور هي المقدمة للحديث عن الصديقة الكبرى عَلَيْهَا السَّلَامُ أو أي معصوم، وهنا تصبح الأولوية للتوافق على النظرة إلى المعصوم لتحديد المنطلق في هذا المجال وهنا أيضاً رؤيتان:

رؤية تقول إن المعصوم مظهر إرادة الله، مظهر قدرة الله، مظهر رحمة الله عزّ وجل . . . المعصوم هو الذي يوصل الإنسان إلى مراتب الكمال التي أرادها الله عزّ وجل، أي أن همزة الوصل بين الله وعباده هي «المعصومون» لا يمكن أن يهتدي الإنسان إلى المطلوب منه، ويحل العقل في الذرى التي تنبغي له، إلا من خلال المعصوم، ولذلك فهو فوق كل غير المعصومين، ولا يجوز أن يقاس به أحد منهم رغم أنه بشر وليس من جنس آخر.

الرؤية الثانية للمعصوم أنه بشر كغيره، إلا أن هناك بعض الأمور الإيجابية والمميزة في هذا المعصوم يعني تدينه، وورعه، بعد نظره . . . إلخ. الأمر الذي يسمح أن ينصّب أحدنا نفسه مرجعاً للمعصوم يزن أفعاله ويقومها ويحدد له تكاليفه . . . هنا كان يجب أن يفعل كذا . . . وهنا لماذا فعل كذا . . . تماماً كما يظهر من بعض عبارات علم الكلام حول الله تعالى أن الإنسان يبحث عن تكليف الله تعالى يريد أن يُحدّد التكليف لله تعالى «يجب على الله أن يفعل ذلك»<sup>(١)</sup> وكأن القائل يحدد التكليف لله عزّ وجل، بعض الناس يتحدثون عن المعصوم كأنهم يريدون أن يعطوه علامة!

---

(١) المقصود الإلفات إلى الدلالة السلبية لهذا التعبير، وأن مقتضى استنباط حكم العقل من جهة والأدب مع الله تعالى من جهة أخرى استبداله بتعبير أفضل، وقد نبه إلى ما يلتقي مع ما ذكره السيد الطباطبائي رحمه الله في تفسير الميزان ٥٤/٨.

كم هي العلامة التي يستحقها؟ هل كان يتصف بالنضج والوعي . . أم أنه كان يتصف بالسذاجة وعدم التجربة؟!!

ولئن أمكن الدفاع عن الأول فلا يمكن الدفاع عن الثاني

يظهر ذلك جلياً عند الإمعان في الحديث عن بشرية الرسول، فيصل الأمر عند بعضهم إلى تجويز الخطأ على المعصوم وأنه في أمور الدنيا يترك الناس وشأنهم وأنه قال لهم لا تؤبروا النخل . . الرسول ﷺ نهاهم عن تأبير النخل، ففسد نخلهم، ثم قال لهم: أنتم أعلم بأمور دينكم! إن إنساناً متوازناً عادياً لا يمكن أن تصدر منه هذه الهفوة . . يتدخل في شأن زراعي ويعطي رأيه فيفسد موسم الناس ثم بعد ذلك يقول لهم: أنتم أعلم بأمور دنياكم، يستحيل أن يصدر هذا عن رسول الله ﷺ، بل لا يمكننا قبول أن يصدر عن إنسان متدين يحترم نفسه .

من البداية يقول لهم: أنتم أعلم بأمور دنياكم وليس بعد أن يلحق بهم الضرر .

يصل الحديث في بشرية الرسول ﷺ إلى حد أنك تشك: هذا الرسول الذي يتحدثون عنه هل هو أعلم من الإمام الخميني أم أن الإمام أعلم، هل هو أعلم من الشهيد الصدر أم أن الشهيد أعلم منه، كلا أيها الحبيب . . ليس هذا هو النبي الذي نعتقد به، ليس هذا هو النبي الذي نقول عنه أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ .

ذكرت في بعض الأحاديث سابقاً أن المتحدث عن بشرية المصطفى الحبيب ﷺ يستند إلى بعض الآيات ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ هذا صحيح الآية موجودة ولكن أكمل الآية ﴿بشرٌ مثلكم يُوحى إليّ﴾ من حيث ظاهر البشرية إنسان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لكن يوحى إليّ قيد فينبغي أن نأخذ خصوصية الموحى إليه في الحساب يعني الوحي إلى النخلة غير الوحي إلى أم مريم، الوحي إلى أم مريم غير الوحي إلى نبي من غير أولي العزم، الوحي إلى النبي من أولي العزم غير الوحي إلى رسول الله ﷺ الذي هو أفضل الخلق على الإطلاق .

إذا بحثنا في المنطلقات واتفقنا على نتائج محددة نأتي إلى الحديث عن الصديقة الكبرى عليها السلام لنبحث في الروايات حول عصمتها فنكتشف بما لا مزيد عليه أن عصمتها في مقام رفيع جداً، بعدئذٍ ينتقل البحث إلى أن الصديقة الكبرى عليها السلام من أي المعصومين؟.. إنها من المعصومين الأربعة عشر. هنا يأتي دور الحديث عن مقام المعصومين الأربعة عشر. وعلى سبيل المثال فإن العلامة المجلسي «رضوان الله تعالى عليه» جمع عدداً كبيراً جداً من الروايات التي تتحدث عن عظمة المعصومين الصديقة الكبرى عليها السلام والأئمة الاثني عشر، وأفضليتهم على سائر الأنبياء باستثناء رسول الله صلى الله عليه وآله. إذاً اتفقنا على ذلك نصبح أمام حقيقة أن الصديقة الكبرى عليها السلام من المعصومين الأربعة عشر (الذين هم أفضل من الأنبياء باستثناء رسول الله صلى الله عليه وآله)<sup>(١)</sup>.

وهنا يصل البحث إلى موقع الصديقة الكبرى عليها السلام بين أهل الكساء ولأهل الكساء خصوصية لا تخفى...

الصديقة الكبرى عليها السلام بضعة من رسول الله قطعة من رسول الله صلى الله عليه وآله، يعني هي رسول الله، هذه المنزلة تجعل الإمام الخميني «رضوان الله تعالى عليه» يطرح كما في «صحيفة النور» في عدة خطب حول الصديقة الكبرى عليها السلام يقول: إنها بمنزلة النبي محمد صلى الله عليه وآله وأله، ولو لم يكن المصطفى الحبيب موجوداً. وكان بالإمكان أن تكون المرأة نبياً لكانت الصديقة الكبرى هذا النبي. إن الإمام الخميني و بعد الرجوع إلى الروايات يؤكد أن مقام الصديقة الكبرى كمقام رسول الله صلى الله عليه وآله، نور الصديقة الكبرى من نفس نور رسول الله ونور أمير المؤمنين، «يا علي نورنا ونور فاطمة واحد، نور فاطمة من نورنا».

إذا وصلنا إلى هنا نستطيع أن نعرف ما ذكرته في بداية الكلام أن أي حديث عن أمر ولو جزئي وصغير يرتبط بالصديقة الكبرى هو عظيم جداً.. لماذا؟ لأن أي موضوع عن شخص، يكتسب أهميته من الشخص نفسه، من صاحب الموضوع... باب فاطمة... باب الدار ما جرى على باب الدار، موضوع

(١) ذكرت في حديث مستقل آية البحث في تفضيل أهل البيت عليهم السلام على الأنبياء، باستثناء المصطفى صلى الله عليه وآله.

مفصلي شدد الأهمية و ليس بحثاً تاريخياً محدوداً، ليس أمراً هامشياً، هذا الباب باب فاطمة باب الله عزّ وجل، ناقة ثمود ناقة الله و باب فاطمة ليس باب الله، ﴿ناقة الله وسقياها﴾ نعم باب فاطمة باب الله تعالى، لا بد من تناوله بالبحث والتحقيق، ولا بد أن نتوسع في ذلك ليمكننا تحديد الموقف منه لأن تحديد الموقف منه سلباً أو إيجاباً يحدد موقع الإنسان من الهدى والضلالة، من الإيمان والانحراف.

عندما يقول رسول الله ﷺ: «باب فاطمة بابي وحجابها حجابي» فهو يريدنا أن نقف عند مسألة الباب، وعندما ظل رسول الله ﷺ ستة أشهر - أو تسعة - عند نزول آية التطهير يقف في هذا الباب ويقرأ آية التطهير، كان يريد لنا أن نقف قلوبنا عنده وتعرف ماذا جرى على هذا الباب، عندما نزل قوله تعالى: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾، سأله أبو بكر: ما هذه البيوت؟ فأشار المصطفى الحبيب إلى بيت علي وفاطمة<sup>(١)</sup>.

إذاً التأكيد على الباب والتأكيد على البيت هو فرع التأكيد على أهل البيت والباب إنه من صميم الدين، ولا يمكننا أن نتصور إسلاماً من دون ذلك.

هنا أصل إلى ذكر رواية أختتم بها الحديث، وهذه الرواية ينقلها الشيخ الطوسي «رضوان الله تعالى عليه» وهي تشير إلى بعض الأبعاد الغيبية في شخصية المصطفى الحبيب وأمير المؤمنين والزهراء والحسنين صلى الله عليه وعليهم. وأوضح هنا أن مضمون الرواية رغم أهميته لا يدل على غاية مرتبة المعصومين وإنما يشير إلى ملمح من ملامح عظمتهم عليهم جميعاً صلوات الرحمن، وأمهد للرواية بأن المصطفى الحبيب ﷺ بنى المسجد وبنى البيوت الخاصة وكان بيت علي وفاطمة في موقع الوسط، وقد سأل شخص عبد الله بن عمر قائلاً: ما موقع علي عند رسول الله قال له ابن عمر: إذا أردت أن تعرف موقعه فانظر إلى موقع بيته من بيوت رسول الله، موقع بيته في الوسط وموقعه في الوسط، قال: فإني أبغضه. قال: أبغضك الله<sup>(٢)</sup>.

(١) البحار ٢٣/٣٢٥، ٣٦/١١٨.

(٢) شرح الأخبار للقاضي النعمان ١/٤٤٣؛ والمناقب لابن شهر آشوب ٢/٦٠.

وأما الرواية المشار إليها فهي: روى الشيخ الطوسي عليه الرحمة عن الباقر عليه السلام: «بيت علي وفاطمة من حجرة رسول الله وسقف بيوتهم عرش الرحمن والملائكة تنزل عليهم صباحاً ومساءً في كل ساعة»، إلى قوله: «والملائكة لا ينقطع فوجهم، فوج ينزل وفوج يصعد وإن الله عز وجل كَشَطَ (يعني، أزاح) لإبراهيم عن السموات حتى أبصر العرش وزاد الله في قوة ناظره وإن الله زاد في قوة ناظرة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سقفاً غير العرش فيبيوتهم مسقفةً بعرش الرحمن وفيها معارج، معراج الملائكة والروح فوجاً بعد فوج لا انقطاع لهم، وما من بيت من بيوت الأئمة منا إلا وفيه معراج الملائكة. يقول الله تعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾.

بيوتهم مسقفة بعرش الرحمن . . . لانتحدث إذا عن أفراد توجد في شخصياتهم أبعاد غيبية أو عمن نستطيع أن ننكر أن في شخصياتهم أبعاداً غيبية، وإنما نتحدث عن أشخاص إلهيين والله عز وجل غيب، نتحدث عن غيبين عاشوا في هذه الحياة الدنيا . . . يذكر بعضهم أنه جرى البحث حول أن رسول الله ﷺ، هل عرج إلى السماء بالجسم أم بالروح والجسم؟ ثم يذكر رأيه بقوله: ليت شعري متى جاء رسول الله ﷺ إلى هذه الدنيا حتى يبحث هل كان المعراج بالروح والجسم أم بالجسم فقط؟

متى جاء من ذلك العالم حتى يبحث هل صعد إلى ذلك العالم بجسمه أيضاً، إنه أصلاً من ذلك العالم . . . يريد أن الأصل أنه هناك، والمجيء إلى هذا العالم هو الفرع، بل إنه عندما جاء إلى هذا العالم كان أيضاً هناك . . .

وإذا ما استغرب البعض أن ينظر الإنسان إلى ما وراء المادة ويخترق بصره المادة، فضلاً عن الوصول إلى عرش الرحمن .

فإن الاستغراب يرفع بأن بعض الأولياء العاديين يعطون هذه الكرامة، فلا تعود المادة والجدران وشبهها تشكل لهم سداً ومانعاً من الرؤية وغيرها، وقد سمعت من أحدهم التصريح بذلك، وقبل أيام نشرت الصحف عن كاميرا اخترعت في اليابان كان الهدف من اختراعها التصوير في الليل فاكتشفوا أثناء التصوير بها

أنها إذا سلطت على مكان وكان هناك ستائر وخلف الستائر جدار تصور ذلك الجدار تصوّر ما خلف الستائر، (كاميرا) يمكن أن تنفذ بحدود معينة، إذا المؤمن الذي ينظر بنور الله عزّ وجل إلى أين يستطيع أن ينفذ؟ . . . إلى حيث يمكن أن ينفذ نور الله عز وجل والله سبحانه وتعالى بكل شيءٍ عليم ويرى كل شيءٍ ﴿إني معكما أسمع وأرى﴾ ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ إذا أن يكون الولي ينظر إلى العرش . . أمر طبيعي جداً.

نسأل الله عز وجل أن يوفقنا ويكشف عن بصائرنا ويعرفنا أوليائه وأحبابه ويعرفنا نفسه باعتبار أن أوليائه بداية الطريق «من أراد الله بدأ بكم» لأن هذه المعرفة أيها الأحبة هي التي تنفع في الدنيا والآخرة وهي العلم الذي يرفع الله به الذين آمنوا وأوتوا العلم درجات .

. . نسأل الله عزّ وجل بركة مولاتنا الصديقة الكبرى ﷺ أن يمنّ على قلوبنا وعقولنا ونفوسنا بالصلاح فتصبح محمدية .

سيدتنا يا زينب يا بنت أمير المؤمنين «عليك سلام الله تعالى» بالباب نقف ونرفع العزاء . .

اعلم سيدتي أنني لست أهلاً لذكركم . . إلا أنه شرفٌ للذاكرين ولذلك أصرُّ على الوقوف بالباب علّ وعسى سيدتنا دعوةً منك إلى الله تعالى وما ذاك عليكم بعزير . . عادتكم الإحسان إلى المسيئين .

والحمد لله رب العالمين .

(٨)

## في منهج البحث عن عظمتها ﷺ (٢)

\* تمهيد .

\* خطورة «منهج» الرأي، والاستحسان . .

\* «حق المعرفة» يجنبنا هذا المنزلق . .

\* أسلوبان لمعرفة الزهراء . . والأئمة ﷺ .

\* الأول: الإجابة على سؤال: من هم أفضل الخلق؟

\* نصوص للشيخ الصدوق، المجلسي والشيخ المفيد، الإمام  
الخميني .

\* ما معنى أنهم أفضل؟

\* الثاني: البحث عن عظمتهم في عظمة رسول الله ﷺ .

\* محوران: أحاديث النور الواحد، وأحاديث أنهم منه  
وهو منهم . .

\* ختام . . وهم الوعي يضرب المعتقد . .



## (٨)

هذه الأيام تنتسب نسبةً إضافية إلى الصديقة الكبرى عليها السلام ولذلك يزداد الواجب إلحاحاً في الوقوف على عتبة قرّة عين الرسول ﷺ خصوصاً ونحن نشهد السجال الدائر بضاوّة

من هنا كان من الطبيعي أن تتركز الأحاديث في شهري جمادى الأولى والآخر حولها عليها السلام.

في البداية هناك ضرورتان في الحديث عن الصديقة الكبرى ينبغي التنبه لهما وقد أشرت إليهما في الحديث السابق.

**الضرورة الأولى:** أن أي حديث عن الصديقة الكبرى عليها السلام ينبغي أن يكون بروح علمية على أساس المنهج العلمي لا السباب والشتم، فالذي يعتمد السباب يسيء إلى الصديقة الكبرى عليها السلام ويمس قدسيّتها.

**الضرورة الثانية:** حفظ وحدة المسلمين ومن بين المسلمين حفظ وحدة الشيعة ونحن معنيون بها أكثر إلّا أنّ وحدة المسلمين عموماً أو وحدة الشيعة خصوصاً لا يمكن أن تنسجم مع الانحراف في المعتقد فإذا قال قائل: إن الحديث عن الصديقة الكبرى عليها السلام يؤدي قطعاً وتلقائياً إلى إثارة الآخرين ممن لهم قناعة خاصة في مسألة الخلافة وهم إخواننا الأعزاء المسلمون السنة. فالجواب أننا نفرق بين من ظلم الصديقة وبين التعامل مع من يعتقد بشخص ظلم الصديقة الكبرى، نحن نريد بروح علمية وبالمنهج الاستدلالي الاستنباطي أن نحدد الواقع ونبلور الحقيقة. أما مسألة التعامل مع الآخرين فإنها تظل محكومة للأسس التي أرساها المصطفى الحبيب وأهل البيت عليهم السلام وما ينطبق في دائرة وحدة المسلمين في الإطار الأوسع ينطبق أيضاً على الدائرة الخاصة وحدة الشيعة. لنفترض أنّ بعض الناس يستأوون من هذه الأحاديث، فإن ذلك لا يقتضي تركها لأنه عندما يدور الأمر بين حفظ المعتقد أو مراعاة هذه الخصوصية فلا مبرر لغير حفظ المعتقد،

علماً بأن ما أصرُّ عليه دائماً أن يكون الأسلوب العلمي هو الحكم وأن تكون الحقيقة هي الرائدة . .

يجب أن يكون الحديث عن الصديقة الكبرى عليها السلام بالروح العلمية وعلى قاعدة الحرص على وحدة المسلمين سواء الشيعية في ما بيننا أو السنة والشيعية . من هذا المنطلق وبهذا الحرص وبهذه الروح العلمية إن شاء الله تعالى ، وبكل هدوء أدخل إلى رحاب الحديث عن الصديقة الكبرى عليها السلام في إطار جديد غير الإطار الذي تقدم في الحديث السابق .

لا أشك على الإطلاق في أن كثيراً من الأمور التي يدور اللغظ حولها تتنافى مع قدسية الصديقة الكبرى ، لأن عظمة مولاتنا الزهراء عليهن السلام ، لا يمكن أن تنسجم مع هذه المقولات التي أقل ما يمكن أن يقال فيها أنها تتكلم عن شخص آخر دون مستوى تلامذة أهل البيت عليهم السلام ، هذه المسألة تضعنا أمام التساؤل عن السبب الذي يؤدي إلى طرح ما يتنافى مع قدسية الصديقة الكبرى عليها السلام .

يرجع السبب بحسب قناعاتي إلى عدم بذل الجهد في التعامل مع الروايات وفق المنهج العلمي الاستنباطي ، فقد أرسى علماؤنا الأبرار منهجاً في استنباط الحكم الشرعي تتضاءل أمامه كل المناهج ، هذا المنهج نفسه ينبغي أن يعتمد عندما نبحث حول حقيقة من الحقائق ، حول العصمة ، حول الصديقة الكبرى ، حول نور فاطمة الذي كان قبل أن يخلق الله الخلق ، أو أي من المسائل الاعتقادية .

أي أن من الطبيعي جداً أن توضع الروايات على طاولة البحث وفق قواعد دراسة الحديث ووفق قواعد محاكمة النص والمقارنة بين النصوص ليُطرح على هذا الأساس رأي معين خصوصاً وأن هذه المجالات ليست «مجال العقل» كما سيأتي من خلال كلمات بعض أعظم علمائنا رضوان الله تعالى عليه .

إذاً يرجع السبب في طرح أمور تمس قدسية الصديقة أو غيرها من المعصومين كما طرح أحدهم مؤخراً في كتاب ذكرت لكم بعض خصوصياته وأنه ضالٌّ يدعي أنه شيخ ، أو من خلال ما طرحه آخرون . . ممن تم التنبه لطروحاتهم وخطرهما . . وإن لم تكن عن سوء نية . . يرجع السبب في ذلك كله إلى خلل في

المنهج الذي يُعتمد للتعاطي مع هذه الحقائق. ولا بدّ هنا من التأكيد على ضرورة معرفة الصّديقة الكبرى وأهل البيت عليهم السلام جميعاً، لا بد وأن يُعنى الموحد الصادق في حمله لهمّ التدين وبناء النفس بمعرفة رسول الله ﷺ ومعرفة المعصومين الثلاثة عشر معرفةً غير سطحية، فالمعرفة السطحية لا تكفي، أشير هنا إلى أنّ المنهج السائد عند كثيرٍ من الكتّاب «الباحثين» وعند فريقٍ آخر أيضاً هو اعتماد الرأي «يعني مدرسة الرأي» على قاعدة الاستحسان والقياس وهذه المدرسة صدر عليها الحكم من الله عزّ وجل وأعلن الحكم رسولُ الله وأمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام.. خصوصاً الإمام الصادق عليه السلام الذي شهد عصره تكثيفاً لبدعة العمل بالرأي، حيث قال:

«إن دين الله لا يُصاب بالعقول» يعني لا يجوز مثلاً أن يجلس شخص في مكان وأمامه بعض المعطيات المحدودة فيقدر أن شأن الصّديقة الكبرى هو هذا. . . شأن المعصوم وحجمه هو هذا أو يقرأ مثلاً عن النبي موسى خيراً لا يعجبه فيجزم بأنه مدسوس وموضوع أو يتساءل:

كيف إذاً كان هذا نبياً والعياذ بالله.

هذا المنهج أبسط ما يمكن أن يقال فيه إنه منهج الاستحسان والقياس، منهج إصابة الدين بالعقل ودين الله لا يصاب بالعقول. المصطفى الحبيب ﷺ والصّديقة عليها السلام دين، وكذلك الأئمة عليهم السلام دين بل هم العمود الفقري منه وعصبه ولا يُدرك كنه العمود الفقري للدين لا يدرك عصب الدين بالعقول، لا يُدرك كنههم بالعقول كما سيأتي خصوصاً في كلام الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه.

المعرفة التي يجب أن نحرص عليها أيها الحبيب هي معرفة أهل البيت حق المعرفة «عارفاً بحقهم» وليس مجرد المعرفة بهم.

أذكر لك مثلاً:

عالمٌ تحترمه وتحترم فرادة علمه ولكن بعد وفاته تكتشف أنه كان ولياً من الأولياء، كان في مرتبة سامية من الورع والتقوى والقرب من الله عزّ وجل فتندم.. . ولا يكاد ينقضي ندمك لأنك لو كنت تعرف هذه المرتبة العظيمة التي

بلغها لانقطعت إليه ولتركت كل عمل غير ضروري واغتنتم الفرصة لأنّ الذين انقطعوا إليه تقدموا في بناء النفس أشواطاً كبيرة وأصبحوا من أولياء الله عزّ وجل . هذا يعني أنك كنت تعرفه ولكن لم تكن عارفاً بحقه، لم تكن تعرفه حق المعرفة .

حق المعرفة لشخص مميّز . . لولي من الأولياء يجعلك تهتم بكل كلمة من كلماته وكل إشارة . . يشير لك فتندفع . . ويشير لك فتتوقف . . لماذا؟ لأن حق المعرفة لهذا الشخص يجعلك تتعاطى مع إشارته على أنفيها رضا الله سبحانه وتعالى . . بلحاظ قناعتك بمدى قرب هذا الشخص منه عزّ وجل . . ربّ شخص منا يكتشف في ما بعد أنّ معرفته للذين يعرفهم معرفة ناقصة وليست معرفة حقيقية، ليست «حق المعرفة»<sup>(١)</sup> .

أذكر مثلاً أوضح :

الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه لم نعرفه حتى الآن . نعم ما عرفنا أبا مصطفى هذا العالم الجليل . . الفريد . . كتب أحد كبار المتخصّصين في الفلسفة عن الإمام الخميني سنة ٦٦ ميلادية قبل انتصار الثورة الإسلامية باثني عشر سنة (أي أن هذا الكلام ليس منطلقاً من أجواء سياسية معينة فقال : إنّ «أعظم» أركان العلماء الفلاسفة والحكماء في هذا العصر هو الحاج روح الله الموسوي الخميني<sup>(٢)</sup> .

إنه يريد أن يقول لنا :

عندما نتحدث عن ابن سينا، أو السهروردي أو صدر المتألهين أو من شابه ينبغي أن نعرف أنّ الإمام الخميني قدس سره في هذا الرعيل، إنه فقيه، أصولي، فيلسوف، حكيم، عارف، عابد، وقد نُقل عن أحد العلماء في حياة الإمام الخميني قدس سره قوله : إذا توفي الإمام الخميني فإن نوع العرفان الذي وصل إليه لا يمكن أن ينتقل منه إلى أحد .

(١) البحار ٩٧/٢٥؛ ومدينة المعاجز للبحراني ٤٩٩/٢ .

(٢) السيد جلال الدين الأشتياني، مقدمة شرح القيصري على فصوص الحِكم، ص ٣٣ .

حتى في الجانب الذي تعاطينا معه من خط الإمام وهو الجانب السياسي ما عرفنا الإمام حق معرفته . . . في جانب بناء النفس والجهاد الأكبر ما عرفنا الإمام حق معرفته، لو كنا نعرف الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه في زمانه حق المعرفة لتعاملنا معه بشكل آخر، ولو كنا نعرفه الآن حق المعرفة لتعاملنا معه الآن بشكل آخر، إن مسألة الارتباط بالإمام الخميني قدس سره مسألة من نوع خاص. الإمام الذي نكتشف عظمته يوماً بعد يوم هو تلميذ مدرسة الصديقة الكبرى وأهل البيت وهو عندما يريد أن يتكلم عن الصديقة الكبرى عليها السلام يقول: أرى نفسي قاصراً حتى عن ذكر اسمها . . . مجرد ذكر الاسم!

إذا المعرفة بحقهم شيء آخر، هي معرفة خاصة، ثم إن المعرفة بأهل البيت «حق المعرفة» يترتب عليها نوع التدين، عندما تجد الآن شخصاً يقرأ حديثاً - مثلاً :-

روي عن رسول الله ﷺ: من صلى صلاة جمادى الثانية يغفر الله تعالى له ويُصان في نفسه وماله وأهله وولده إلى السنة القادمة وإذا مات في هذه السنة مات شهيداً، إذا رأيت هذا الشخص يُعرض بوجهه، يطوي كشحاً، فهو لا يعرف رسول الله ﷺ ولا يعرف أهل البيت حق المعرفة لأنه لا يخشع في محراب «روي عن رسول الله ﷺ».

مجرد أن أمراً ما روي عنهم يستدعي أن نقف عنده طويلاً ولا نتجرأ أن نقول كلمة سلبية. أنا لا أقول أن نقبل هذه الرواية أو تلك دون أن ندرس السند، ومن لا يستطيع معرفة السند فليطلع على آراء العلماء الأعلام حول الرواية التي هو بصدددها - أو ما يشبهها - ماذا يقولون حول هذه الرواية، أريد أن أقول لك إن روح التعبد في المؤمن لا يمكن أن تتبلور إلا إذا كان يعرف المصطفى الحبيب ﷺ وأهل البيت عليهم السلام حق المعرفة، يتعبد بأرائهم، إن مجرد احتمال أن هذا الحديث حديثهم يجعل العناية به خاصة والتعامل معه دقيقاً.

مثلاً: شخص يحب شخصاً ويتقيد بأرائه يحتمل أنه طلب هذا الطلب، مجرد احتمال أن حبيبك يرغب بهذا الأمر يجعلك تهتم به . . . وعلى الأقل تهتم فتأكد هل طلبه فعلاً أم لا؟ إنَّ اتباع أهل البيت هو الطريق الوحيد إلى طاعة الله

عزَّ وجل كما تقدم في عدة أحاديث حول اتباع المصطفى الحبيب ﷺ، فإذا بدأنا ننتقي من رواياتهم وأحاديثهم، ونعرض هذا على عقولنا الفردية التي هي كأمزجتنا فإننا نخرج من خط اتباعهم معاذ الله، أما إذا بدأنا ننظر إلى مكانتهم عند الله عزَّ وجل على أساس وَهْم عقولنا وآرائنا فالنتيجة أشد خطورة بطبيعة الحال.

هنا أصل إلى بيان أسلوبين في معرفة الصديقة الكبرى ﷺ ويمكن أن نعتمد هذين الأسلوبين لمعرفة عظمة المعصومين وقدسيتهم جميعاً عليهم صلوات الرحمن .

### الأسلوب الأول:

أن نجيب على هذا السؤال من هم أفضل خلق الله تعالى؟ هل أفضل الخلق الرسول ﷺ وسائر الأنبياء من أولي العزم، وبعدهم الصديقة الكبرى ﷺ، وسائر أهل البيت أم أن أفضل الخلق المصطفى الحبيب وأهل البيت ﷺ، وبعدهم سائر الأنبياء ﷺ بمن فيهم أولو العزم، وبعدهم باقي الناس من الأولياء بحسب مراتبهم الصديقون.. الشهداء.. الصالحون.. إلخ..

من هم أفضل الخلق؟ الروايات في هذا المجال كثيرة جداً لماذا لا نرجع إليها فندرس أسانيدنا لماذا لا نقف عند آراء العلماء الأعظم، مثلاً:

الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه الذي يقول عنه الإمام الخميني قدس الله سره في كتاب الأربعين حديثاً في آخر الحديث الأول «جهاد النفس»: «الشيخ الصدوق الذي يتصاغر أمامه أعظم العلماء»، يقول الشيخ الصدوق عليه الرحمة:

يجب الاعتقاد بأن الله عزَّ وجل لم يخلق خلقاً أفضل من محمد ﷺ والأئمة ﷺ، إشارة هنا إلى أن الحديث عن رسول الله والأئمة لا ينفصل أبداً عن الحديث عن الصديقة الكبرى ﷺ لأن لها ﷺ موقعاً مميزاً بين المعصومين الأربعة عشر، علماً بأن كل المعصومين الأربعة عشر عظماء ومميزون.. يضيف الشيخ الصدوق عليه الرحمة:

يجب الاعتقاد أنهم أحب الخلق إلى الله عزَّ وجل وأكرمهم وأولهم إقراراً لله

عزَّ وجل لما أخذ الله ميثاق النبيين في عالم الذرِّ و (يجب الاعتقاد أيضاً) أَنَّ الله تعالى أعطى كل نبيٍّ على قدر معرفته بنبينا ﷺ وسَبَقَهُ إلى الإقرار به .

أرأيت . . . يجب الاعتقاد أن المصطفى الحبيب وأهل البيت أفضل الخلق ويجب الاعتقاد أنهم أحب الخلق إلى الله ، ويجب الاعتقاد أن كل نبيٍّ من الأنبياء لم يعطَ مرتبةً إلاَّ على قدر معرفته وإقراره برسول الله .

إنَّ هذا يختلف جذرياً عما هو متداول في أوساطنا .

ثمَّ يقول : والاعتقاد أيضاً (يعني يجب الاعتقاد) أن الله تعالى خلق جميع ما خلق له (لرسول الله) ولأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين وأنه لولاهم ما خلق السماوات والأرض ولا الجنة ولا النار ولا آدم ولا حواء ولا الملائكة ولا شيئاً مما خلق صلوات الله عليهم أجمعين<sup>(١)</sup> .

ما عسانا نقول عندما نرى عالماً جليلاً يتصاغر أمامه أعظم العلماء - كما عبر عنه الإمام الخميني - يتحدث بهذا الوضوح : يجب الاعتقاد بأنَّ الأنبياء الآخرين لم يعطوا إلاَّ بحسب معرفتهم وإقرارهم برسول الله وأهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين ، هل نلجأ إلى المسبقات والإسقاطات والاستحسان والقياس فنقول :

هذا رأي! ولنا رأي آخر! نعم يمكن أن يكون لشخص رأي آخر، شرط أن يعتمد المنهج العلمي الأرقى الذي يعتمده العلماء، أما أن نرفض مثل هذا الرأي دون أدنى دليل ولمجرد الاستغراب فهو مرفوض كلياً.

وينقل العلامة المجلسي هذا الكلام في البحار وقد عقد باباً تحت عنوان «باب تفضيلهم على الأنبياء الجزء ٢٦ من البحار الصفحة ٣٠٧» (حوالي الأربعين صفحة) حول تفضيل المصطفى الحبيب وأهل البيت على الأنبياء وبعد أن يورد كلام الشيخ الصدوق، يقول: (ومن هو القائل إنه المجلسي الثاني) اعلم أن ما ذكره الشيخ الصدوق من فضل نبينا وأئمتنا صلوات الله عليهم على جميع

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار ٢٩٧/٢٦ نقلاً عن اعتقادات الشيخ.

المخلوقات وكون أئمتنا عليهم السلام أفضل من سائر الأنبياء هو الذي لا يرتاب فيه من تتبع أخبارهم عليهم السلام على وجه الإذعان واليقين<sup>(١)</sup>.

ماذا يريد العلامة المجلسي أن يقول؟

الذي يقرأ الروايات تارة يقرأها من منطلق مدرسة الرأي والقياس والاستحسان كما تقدم. . أي أنه ينتقي الروايات هذه تعجبه، وهذه لا تعجبه وكثير منا يتصرف على هذا الأساس قد يقرأ أحدا هذه الروايات فيصل إلى رواية أن الله سبحانه وتعالى زوج علياً عليه السلام من فاطمة عليها السلام في السماوات، وقف الملك وخطب وكان الاحتفال كذا. . فيقول: ما هذا الكلام. . إنه لا ينسجم مع روح العصر!

أيها الحبيب. . لماذا نحرم أنفسنا من أنوار أهل البيت عليهم السلام باعتماد القياس والاستحسان. . لماذا؟. .

يريد العلامة المجلسي أن يقول:

إمّا أن يقرأ الإنسان الروايات على أساس الانتقاء والمزاجية أو على أساس الإذعان واليقين، إذا قرأها على أساس الإذعان واليقين (بما يوصل إليه الدليل العلمي مهما كان المضمون غريباً) فإنه سيصل إلى هذه القناعة.

ثم يقول: والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى وإنما أوردنا في هذا الباب قليلاً منها (أربعون صفحة قليل منها) وهي متفرقة في الأبواب لا سيما في باب صفات الأنبياء وأصنافهم عليهم السلام وأنهم الأئمة عليهم السلام كلمة الله العليا وباب بدو أنوارهم وباب أنهم أعلم من الأنبياء وأبواب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة عليها السلام ثم يختم العلامة المجلسي بقوله: على هذا الرأي (الذي ذكرته أنهم أفضل) عمدة الإمامية ولا يأبى ذلك إلا جاهل بالأخبار<sup>(٢)</sup>.

ويستعرض الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه الآراء في هذا المجال، إلاّ

(١) المجلسي، بحار الأنوار ٢٩٧/٢٦ نقلاً عن اعتقادات الشيخ.

(٢) نفس المصدر.

أن له وجهة نظر أخرى فهو يرجح ما ذكره العلامة المجلسي والشيخ الصدوق إلا أنه لا يجزم به، يرجحه ولكن يتوقف على خوف من أن يكون توقفه خطأ.

يقول الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه: قد قطع قوم من أهل الإمامة بفضل الأئمة عليهم السلام على سائر ما تقدم من الرسل والأنبياء سوى نبينا محمد صلى الله عليه وآله أي إن أهل البيت أفضل من جميع الأنبياء باستثناء رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه أفضل الخلق، وأوجب فريق منهم أنهم لهم الفضل على جميع الأنبياء سوى أولي العزم منهم عليهم السلام وأبى أي رفض القولين فريق آخر منهم وقطعوا بفضل الأنبياء كلهم على سائر الأئمة عليهم السلام أضاف: وهذا باب ليس للعقول في إيجابه أو المنع منه مجال ولا على أحد الأقوال إجماع<sup>(١)</sup>.

يريد رضوان الله تعالى عليه أن يقول:

لا يصح اعتماد العقل في هذا الباب «أنهم أفضل أم لا» بل لا بد من الرجوع إلى الروايات، الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه الخبير الضليع في الروايات أعطى رأيه. والعلامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه الخبير المتبحر في الروايات أعطى رأيه. الشيخ المفيد أيضاً ذلك العالم الجليل الخبير المتبحر في الروايات المشهود له في المنقول والمعقول يرجح أنهم أفضل لكنه لا يجزم كما سيأتي.

محل الشاهد هنا: لتكن هذه العبارة ببالك.. أن هذا المجال ليس مجال العقل، وهذا الباب ليس للعقول في إيجابه والمنع منه مجال.. وحول قوله: ولا على أحد الأقوال إجماع أي لا إجماع على أنهم أفضل ولا إجماع على أنهم ليسوا أفضل... مرّ معنا كلام العلامة المجلسي أن عمدة الإمامية يعني أكثر الإمامية، أكثر الشيعة على هذا الرأي.. مما يدل على أن المقام ليس مقام تكافؤ الفرقاء.. بل الرجحان في هذا الجانب. ثم يقول الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه لقد جاءت آثار عن النبي صلى الله عليه وآله في أمير المؤمنين عليه السلام وذريته وجاءت الأخبار عن الأئمة الصادقين عليهم السلام أيضاً، وفي القرآن الكريم مواضع تقوي العزم على ما قاله

(١) المجلسي، بحار الأنوار ٢٦/٢٩٧ نقلاً عن اعتقادات الشيخ.

الفريق الأول في هذا المعنى (أي أنهم أفضل)، إذاً الشيخ المفيد يقول: في القرآن وفي الروايات مواضع تقوي العزم على أن أهل البيت أفضل من جميع الأنبياء باستثناء رسول الله ﷺ وعن رأيه هو بالخصوص يقول: وأنا ناظر فيه يعني عندي نظر (أي أنه متوقف) وبالله أعتصم من الضلال.

وخلاصة رأيه أنه رضوان الله تعالى عليه يقوى العزم عنده على أن أهل البيت ﷺ أفضل.. إلا أنه لا يستطيع أن يعزم ويجزم.. بل يكاد.. وينبغي التأمل جيداً في اختياره لتعبير «وأنا ناظر فيه».. بدلاً من قوله مثلاً: وعندني فيه نظر أو وفيه نظر..

ألا ترى معي أن ملامح التقية تتبدى منه.. ثم ألا يشي بذلك قوله: وبالله أعتصم من الضلال.. ولا أسوق هذا على سبيل الجزم.. وإنما لمجرد الإلفات.. مكتفياً في تقرير رأيه رضوان الله تعالى عليه بما تقدم.

أعود إلى ما قلت لك، ليكن بالك.. أن المجال هنا ليس مجال العقل..

يريد لنا الشيخ المفيد أن نميّز بين ساحة العقل وبين الساحات التي هي فوق العقل، فالعقل لا يمكنه أن يدرك كنه رسول الله وأهل البيت ﷺ «دين الله لا يصاب بالعقول» ومعرفتهم من الدين بل معرفتهم الدين «من أراد الله بدأ بكم» فإذا لا يمكن أن تكون معرفتهم نتاجاً عقلياً لأن العقل يوصلنا إلى الإيمان بالله عز وجل ويوصلنا إلى أن التعبد هو أن نلتزم بما يأتينا من الله عز وجل سواء كان في حكم شرعي أو في مجال بيان حقيقة المصطفى الحبيب أو أي من المعصومين.. نلتزم بذلك تعبدًا.

بتعبير أدق إن العقل يقول: العاقل هو من يتعبد.. العقل يوصل إلى التعبد وفي ساحة التعبد لا مجال لأن يقحم العقل نفسه، يتأدب العقل فيقف على عتبة التعبد، ولا يمكن أن يدخل إلى ساحته.. «يتعقلن» العقل ويعرف حجمه، أما الذين يتصورون أن إدراك هذه الأمور إنما يتم بالعقل فهم يعتمدون ما يتوهمون أنه عقل وليس عقلاً على الإطلاق.

وللدقة أقول إن ما ذكرته لك هو نموذجان من آراء العلماء، فإن نصي الشيخ

الصدوق والعلامة المجلسي . . نموذج واحد، ونص الشيخ المفيد نموذج آخر فإن له طريقته الخاصة التي تجعل النتائج التي يصل إليها مختلفة عن النتائج التي يصل إليها كل من الصدوق والمجلسي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين إلا أن الملفت أنهم جميعاً يعتمدون نفس المنهج، دراسة السند، التمييز بين ساحة العقل والساحة التي يعترف العقل بأنها فوق ذراه، والإحاطة بالنقل وعدم تحييد شيء منه على قاعدة الشطب والإسقاط . . ولذلك تأتي النتائج ضمن منهج واحد . . وإن بدا غير ذلك . . وهذا مجال للبحث المستفيض ليس هنا محله . .

ألا ترى الشيخ المفيد يقترب جداً من الرأي الأول رغم عدم جزمه به بحسب الظاهر على الأقل .

والنتيجة التي أردت الوصول إليها أن من أفضل الطرق للوصول إلى معرفة قدسية الصديقة الكبرى وأهل البيت عليهم السلام هو هذا الأسلوب . . .

محاولة الإجابة على سؤال من هم الأفضل . . أهل البيت عليهم السلام أم الأنبياء باستثناء الرسول ﷺ الذي هو أفضل الخلق على الإطلاق .

ومن الأهمية بمكان أن أورد هنا رأي الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه في هذا المجال .

في كتابه «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية» يتحدث الإمام بلغة متخصصة عن أفضلية أهل البيت على الأنبياء باستثناء رسول الله صلى الله عليه وعليهم أجمعين . . ثم يقول:

ومما يرشدك إلى ما ذكرنا حق الإرشاد، ويهديك كمال الهداية إلى الطريق السداد ما حدثه صدوق الطائفة رضوان الله عليه في «عيون أخبار الرضا عليه السلام» بإسناده عن مولانا وسيدنا علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

قال رسول الله ﷺ: «ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني ( . . . ) إن الله تبارك وتعالى فضّل أنبياء المرسلين على ملائكته المقربين، وفضّلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدك يا علي وللأئمة من

بعدك . . وإن الملائكة لخدمنا وخدام محيينا . . .» والحديث طويل جداً . . . يعقب عليه الإمام يقوله : تم الحديث الشريف ولقد نقلته بطوله مع بناء هذه الرسالة على الاختصار للتبرك والتمين وزيادة الفائدة والبصيرة<sup>(١)</sup> . . ثم يبدأ بشرح بعض فقراته .

وتسأل : ما معنى أنهم أفضل؟

قد يتصور البعض أن الله عزَّ وجلَّ فضَّلهم والعياذ بالله دون أسباب فيهم تدعو إلى هذا التفضيل . . وتطرح هذه الشبهة خصوصاً عندما يجري الحديث عن أنهم الأفضل قبل أن يخلق الله تعالى الخلق . . وهذا ما لا بد من الوقوف عنده . . قليلاً . .

تطرح الشبهة في الإطار التالي :

قبل أن يخلق الله الخلق فضل رسول الله وأهل البيت عليهم السلام . . ألم يكن من المفروض أن تأخذ التجربة مداها ونرى من هو الأفضل؟

والجواب : لا داعي لذلك لأنَّ الله عزَّ وجلَّ قبل أن يخلق الخلق كلهم يعلم بما سيؤول إليه أمر كل منهم . . من هو المطيع ومن العاصي . . ومن هو الأشد طاعة والأقرب إليه؟ فالذين علم أنهم أفضل، فضَّلهم، إن الله عزَّ وجلَّ بكل شيءٍ عليم، يعرف كل شيءٍ سيقع في المستقبل، وقد رأى سبحانه وتعالى أنهم أفضل الخلق لذلك فضَّلهم، إذا تفضيلهم مستند إلى خصوصيات فيهم برحمة الله وتعالى وبفضله عزَّ وجلَّ .

هذا المنحى وهذا التفسير نجد إشارة قوية إليه إن لم يكن تصريحاً في حديث ينقله الإمام العسكري عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال :

«إنَّ الله اختارنا معاشر آل محمد واختار الملائكة المقربين وما اختارهم إلاَّ لعلمه أنهم ليهتدون<sup>(٢)</sup> .

يعني أنَّ الله عزَّ وجلَّ اختارهم لعلمه بما سيكونون عليه .

(١) مصباح الهداية، ص ١٢٤ - ١٢٦ .

(٢) المجلسي، بحار الأنوار ٢٦/٢٠٩ .

وفي حديث آخر طويل تأكيد لهذا المعنى وقد أورده العلامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه في البحار وهو أن رسول الله ﷺ عندما راسل نصارى نجران ودعاهم إلى الإسلام قامت الدنيا في نجران ولم تقعد . .

كانت نجران مركزاً لبعض العلماء الكبار من النصارى وكانوا يعرفون عظمة رسول الله كما يعرفون أبناءهم وأخيراً تقرر إرسال وفد من نجران . .

الأخبار الذين جاؤوا من نجران لم يتجرأوا أن يباهلوا رسول الله ﷺ عندما رأوه قادماً ومعه أمير المؤمنين والصديقة والحسان عليهما السلام فقال كبيرهم: «إنها وجوه لو أقسمت على الله أن تزول الجبال لزالت»، هو يعرفهم من خلال التوراة والإنجيل وسائر علمائهم آنذاك مثله . . ولذلك كان وصول كتاب رسول الله ﷺ إليهم بمثابة زلزال، هرعوا إلى اجتماع ضخم جداً . . ما الأمر؟

وهذا النص وإن كان مرفوعاً إلى عدد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا أن كل فقرة من فقرات هذه الرواية الطويلة يمكن أن يستدل عليها بأحاديث كثيرة مسندة وغير مرفوعة والحديث طويل . . الخلاصة . . أنهم هرعوا إلى صحيفة شيت عليهما السلام كان عندهم من جملة الكتب القديمة صحيفة شيت نظروا فيها إلى مواصفات رسول الله ﷺ وأنه العاقب ما معنى العاقب: «الذي يأتي في آخر الأنبياء»، يعني عقيب الأنبياء . . ولا مجال للتفصيل الآن، وإلا فالرواية طريفة جداً ويمكن أن تراجع في البحار لكن أذكر منها بعض المقاطع، عن صحيفة شيت عليهما السلام .

سأل آدم ﷺ بَمَ بلغ هؤلاء العالون هذه المنزلة؟

والمراد بالعالين المصطفى الحبيب وأهل البيت صلوات الله عليهم

أجمعين .

قال الله تعالى: «إني أنا عالم الغيوب ومضمرات القلوب أعلم ما لم يكن مما يكون، كيف يكون وأعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون» الشيء الذي لم يحدث إلى الآن إذا حدث كيف سيكون وإني اطلعت على قلوب عبادي فلم أر فيهم أطوع لي ولا أنصح لخلق من أنبيائي ورسلي يعني رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء فجعلت لذلك فيهم رuchi وكلمتي واصطفيتهم على البرايا ثم اطلعت على

قلوب المصطفين من رسلي فلم أجد أطوع لي ولا أنصح لخلقلي من محمد خيرتي  
وخالصتي فاخترته على علمي ورفعت ذكره إلى ذكرى ثم وجدت كذلك قلوب  
حامته «يعني عترته» من بعده على صفة قلبه فألحقهم بهم وجعلتهم ورثة كتابي  
ووحىي وأركان حكمتي ونوري وآليت بي «يعني وأقسم الله بنفسه» أن لا أعذب  
بناري من لقيني معتصماً بتوحيدي وحبل مودتهم أبداً<sup>(١)</sup>.

هذا هو الأسلوب الأول . . وهذه مجرد إضاءات عليه . .

الأسلوب الثاني في معرفة الصديقة الكبرى وأهل البيت عليهم السلام عموماً:  
البحث عن عظمة الصديقة الكبرى عليها السلام فوق الأنبياء باستثناء رسول الله صلى الله عليه وآله  
وأقصد بالتحديد البحث عن عظمة الصديقة في عظمة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي هو  
فوق الأنبياء جميعاً.

يعني ابحث عن عظمة رسول الله فكل الآيات والروايات التي تدل على  
عظمته صلى الله عليه وآله ، يمكنك أن تبحث فيها عن عظمة الصديقة الكبرى عليها السلام ، هذا  
الأسلوب يتم البحث فيه في محورين :

**المحور الأول:** أحاديث النور، أن نورهم واحد . . وأن نورهم من  
نوره صلى الله عليه وآله . . وهذه الأحاديث من الكثرة بحيث أنها تستدعي وقفة طويلة . . ويأتي  
ذلك في الحديث القادم إن شاء الله تعالى .

**المحور الثاني:** البحث في الأحاديث التي تدل على أنهم رسول الله صلى الله عليه وآله  
في كل شيء عدا ما خرج بالدليل . . سواء تلك الأحاديث التي تدل على أنها من  
رسول الله وأنه صلى الله عليه وآله منها والتي تؤدي نفس المضمون الذي أراده رسول الله صلى الله عليه وآله  
عندما قال عن الإمام الحسين عليه السلام : «حسين مني وأنا من حسين» . .

أليس هذا نفسه مفاد «أم أبيها» أي أنه صلى الله عليه وآله منها عليها صلوات الرحمن . . أو  
تلك الأحاديث الصريحة في أنها هو . . «بضعة مني» «شجنة»، روي التي بين  
جنبي، يؤذيني ما يؤذيها . . ماذا يريد أن يقول رسول الله صلى الله عليه وآله .

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار ٣١٣/٢٦.

باختصار إنَّ الله عزَّ وجلَّ عندما يحدثنا عن مكانة رسول الله ﷺ ماذا يقول؟

يقول لنا: يده يدي، رميته رميتي، طاعته طاعتي، اتباعه اتباعي، يعني ابحث عن عظمة رسول الله ﷺ في عظمة الله عزَّ وجلَّ، ورسول الله ﷺ يريد أن يقول لنا فاطمة بضعة مني «شحنة» يؤذيني ما يؤذيها «يعني فاطمة أنا» عظمتها عظمتي.. مقامها مقامي.. هي أنا.. هي محمد رسول الله ﷺ.

هل سألنا أنفسنا ولو مرَّة إن كنا وصلنا إلى عمق المسألة؟.. عمق المسألة هو هذا..! كيف كانت المدينة عند شهادة الصديقة.. وكيف ينبغي أن نكون نحن الآن؟ الصديقة الزهراء تدفن ليلاً!! كم سمعنا هذا الكلام، ولكن هل عرفنا خطورته.. ما ظنك لو قيل لك إنَّ رسول الله ﷺ دفن ليلاً لأنه كان غاضباً على أمته! أقسم بالله أن معنى دفن الصديقة الكبرى ليلاً لأنها كانت غاضبة، معناه هذا.. معناه أن رسول الله ﷺ كان غاضباً.. وهذا يعني أن الله عزَّ وجلَّ غاضب وأن الخطورة في هذا الأمر بمستوى أن يرتد المسلمون كلهم عن رسول الله ﷺ في حياته ثم يبقى وحيداً فيدفنه أمير المؤمنين ليلاً.. هذا أمر آخر ينبغي أن نتعاطى معه بعمق، عندما قلت في الحديث السابق: إنَّ أي مسَّ بقدسية الصديقة الكبرى أو أي تقليل من ظلامتها، يؤدي إلى اهتزاز المعتقد كنت أقصد هذا الأمر.. لا يمكن على الإطلاق أن نتعاطى مع باب الصديقة وما جرى بالباب على أساس أنه مجرد عنوان لحدث تاريخي.. كلا إنه عنوان حقيقة هي من صميم المعتقد.

هذا الباب باب علي وفاطمة دخل إلى صلب الدين عندما أصبح باب علي وفاطمة وعندما ظلَّ رسول الله ﷺ يقف عليه ستة أشهر وفي رواية تسعة أشهر فيقرأ آية التطهير، وهو الذي قال عنه باب «فاطمة بابي وحجابها حجابي».

سيدي يا أمير المؤمنين عَظَّم الله لك الأجر.. ترى كيف كان المولى في مثل هذه الأيام..

ومن سواد متنها اسودَّ الفضا يا ساعد الله الإمام المرتضى عَظَّم الله أجوركم جميعاً والحمد لله ربَّ العالمين.



(٩)

## ملاحظات منهجية.. وتطبيق كليات ما تقدم على أحاديث النور

\* تمهيد .

\* أحاديث النور . . والطينة . . عموماً . .

\* قد يكون المستغرب «سراً» له أهله .

\* بين التحييد . . والتعبد . . ولو ترجم بالتوقف . .

\* الحقيقة أولى من المجاز . . والمحسنات البديعية . .

\* البحث عن عظمة الصديقة في ثنايا عظمة المصطفى

الحبيب ﷺ . .

\* نور نبيك يا جابر . .

\* الكشف بنور العقل والقلب معاً . .

\* فرز روايات النور وتقسيمها . .

\* في معنى «الزهاء» . .

\* ختام . . .



(٩)

في أيام الصُّدِيقَةِ الكُبْرَى الشَّهِيدَةِ عَلَيْهَا صَلَوَاتُ الرَّحْمَنِ وَكَمَا تَقْدَمُ يَسْتَمِرُّ الْحَدِيثُ عَلَى عَتَبَتِهَا بِاعْتِبَارِ أَنْ مَنْ أَرَادَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِدَأْبِهِمْ، وَلِلْحَدِيثِ عَنِ الصُّدِيقَةِ الكُبْرَى أَهْمِيَّةٌ خَاصَّةٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ خُصُوصاً عِنْدَمَا تَتَظَافَرُ الدَّوَاعِي لِإِيضَاحِ الْحَقِيقَةِ كَمَا هُوَ الْأَمْرُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ .

وَقَفْتُ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ عِنْدَ أُسْلُوبَيْنِ لِلتَّعْرِفِ عَلَى عَظَمَتِهَا عَلَيْهَا صَلَوَاتُ الرَّحْمَنِ، وَكَانَ الثَّانِي مِنْهُمَا عِبَارَةً عَنْ:

الْبَحْثُ عَنِ عَظَمَتِهَا فِي عَظَمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقُلْتُ إِنَّ هَذَا الْبَحْثَ يُمْكِنُ أَنْ يَتِمَّ فِي مَحْوَرَيْنِ:

الأول: البحث في أحاديث النور . .

الثاني: البحث في الأحاديث التي تدل على أنها - وكذلك الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - نفس رسول الله هم منه وهو ﷺ منهم . . وحديث هذه الليلة تفصيل في المحور الأول:

**أحاديث النور:**

في البداية لا بدَّ من إيضاح بعض الخصوصيات .

أولاً: أن هناك سبلاً كبيراً من الروايات حول نور رسول الله ﷺ وأنوار أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وهي تتحدث إما بشكل عام عن نور المصطفى الحبيب وعن أنوار أهل البيت، أو عن نور علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أو نور الزهراء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أو نور الحسين أو نور التسعة من ذرية أبي عبد الله الحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ جميعاً كما سيأتي توضيح ذلك إن شاء الله تعالى .

ما أريد التأكيد عليه:

هناك سيل كبير جداً من الروايات عن أنوار المصطفى الحبيب وأهل البيت ومع ذلك فإن هذا الكم الكبير وهذا المضمون الحساس والخطير قد تم تحييده في أوساط كثيرة بحيث أنه لا يتداول على الإطلاق، وإن كان متداولاً في بعض الأوساط الأخرى إلا أن المجموع العام لحركة الكتابة الإسلامية أو لما يقال عنه «كتابات الحركيين» في مختلف البلاد لا يتناول هذه الخصوصيات والسبب في إهمال هذه الأحاديث يرجع إلى خلل في المنهج تحدثت عنه فلا أعيد.

وما جرى على أحاديث النور جرى أيضاً على أحاديث الطينة، أن الله عز وجل خلق أهل البيت والمصطفى الحبيب ﷺ من طينة من أعلى عليين مثلاً وخلق شيعتهم مما دون ذلك وأحاديث الطينة يمكن أن تؤلف فيها الكتب كأحاديث النور إلا أن هذا الكم الكبير من الأحاديث هو الآخر أيضاً مهمل لدى أصحاب هذا المنهج، مهجور على الإطلاق ويعتبر الحديث عنه حديثاً خرافياً، بل إذا دخل الإنسان في بعض مفردات أحاديث الطينة كمفهوم «اللُّطخ» وما شابه أي أن الذي يرتكب المعاصي من الموالين لحقت طينته بعض الذرات من الطينة الأخرى وهذا هو المراد باللطخ، يعني تلطخت طينته الصافية بغيرها فلذلك تصدر منه المعاصي. إذا تحدث إنسان عن مفهوم اللطخ وهو من المتفرعات على أحاديث الطينة فقد يعتبر أنه يهذي أو أنه إنسان رجعي لا يعرف كيف ينسجم في طرحه مع مقتضيات الزمان أو مع روح العصر وما شابه.

أحاديث النور وأحاديث الطينة ومثلها أحاديث كثيرة تتحدث عن مفاصل من أسرار الخلق والتكوين وتحتل حيزاً كبيراً من كنوز السنّة المطهرة، هذه الأحاديث كلها مهملة والسبب هو الخلل في «المنهج».

دعونا إذاً ونحن نقف على عتبة أحاديث النور نتذكر هذه الخصوصية، كيف أنّ هذه الأحاديث تتضمن معلومات وحقائق شديدة الأهمية وهي مهملة، أشير هنا إلى أن المتأمل في كلمات علمائنا الأعلام سواء المجلسي الأول، أو المجلسي الثاني، أو الشيخ المفيد، أو الشيخ الصدوق أو الإمام الخميني، أو شراح الزيارة الجامعة على اختلاف الشروح يجد أنهم يطرحون حقائق لأول وهلة عندما يقرأها الإنسان تساوره الشكوك مع أنه في أحسن الحالات لا يستطيع إلا أن يحترم الطرح

لأنه لعالم من هذا النوع، ولكن، عندما يجد أن هؤلاء العلماء جميعاً يستشهدون بروايات، بحيث أنك في باب الولاية لا تجد فكرة مطروحة من قبل عالم من علمائنا الأبرار إلا وهو يستشهد عليها بروايات... عندها.. يزداد الاحترام للموضوع المطروح ويتخذ بعداً آخر.. فلم يتبنَّ علماؤنا حقيقة ما في أبواب الولاية جزافاً.. معاذ الله.. بل تعاملوا مع ذلك بأدق مما يتعاملون به مع روايات أبواب الفقه.. أو بنفس المستوى.. فهم وإن تسامحوا في السنن إلا أنهم أبدا لم يتساهلوا في العقائد. ومما يجب التنبه له أن ثمة حقائق في باب الولاية شديدة الحساسية لا يصح طرحها في أي مجال ولذلك كان أهل البيت عليهم السلام يخصون «حواريهم» بها..

والمراد بحواريي الأئمة عليهم السلام ما ورد في الروايات أنه عندما ينادى يوم القيامة باسم كل إمام من أئمتنا ينادى أين حواريوه؟ أين حواريو علي بن الحسين؟ أين حواريو محمد بن علي الإمام الباقر عليه السلام؟.. وهكذا..

هؤلاء الحواريون نقلوا إلى الأمة أسرار الولاية مثلاً: حديث المعرفة بالنورانية، معرفة أهل البيت عليهم السلام بالنورانية الذي ينقله سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه من الأسرار، أو أحاديث كميل بن زياد التي ينقلها عن أمير المؤمنين عليه السلام من الأسرار، أو أحاديث أبي حمزة الثمالي، أو قسم منها، أو أحاديث أبي بصير وقرائنه، أو أبي هاشم الجعفري وهكذا، وعندما يطرح علماؤنا الأعلام حقائق الولاية فإنهم ينطلقون في ذلك من الروايات ويلتزمون بخطوطها العامة، فلو فرضنا أن شخصاً منا سمع حقيقةً يطرحها عالم من العلماء وهو لم يُحط برأيه والأدلة عليه فلا يصح أن يرفض هذه الحقيقة ويتصور أنه اجتهد وهذا رأيه الشخصي.

والملفت أن الروايات تتضمن أحياناً تفاصيل التفاصيل مما يؤكد ضرورة بذل الجهد في قراءة روايات رسول الله صلى الله عليه وآله وروايات أهل البيت عليهم السلام فرب شخص منا يحمل تساؤلات يحارُّ بها والإجابة على هذه التساؤلات موجودة في عشرة كتب رصفت في مكتبته ولكنه لا يقرأ.. أو أنه - وهذا أمرٌ شديد الأهمية - أحياناً يقرأ فإذا مرَّ برواية لا تعجبه فإنه يذهب ضحية «المنهج» الخاطيء فلا يكمل الرواية

يقرأ مثلاً: أن النبي ﷺ دخل ومعه أمير المؤمنين إلى بيت أبي الحسن والزهراء صلى الله عليهم أجمعين وإذا به يرى جفنة تفور أي قدراً فيه طعام حار، هو رزق من الله تعالى للصديقة الكبرى ﷺ.

. . قد يقرأ أحدنا ذلك فلا يكمل الرواية باعتبار أنه «واع» «مثقف» ولا يعلم المسكين أنه وقع في ما أراد الفرار منه . . فليس الوعي عبارة عن التنكر للواقع الذي هو غيب أكثر منه شهادة . . وليست الثقافة تجميع النفايات والصدأ والإعراض عن صقل العقل ليصبح مرآة للواقع، غيبه أولاً وشهادته ثانياً وكل منهما بحجمه . . هذه مريم ﷺ كان الله عز وجل يمدّها بالرزق ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً﴾ فلماذا لا يرسل الله تعالى بمثل هذا الرزق للصديقة الكبرى صلوات الله عليها التي لا مجال للمقارنة بينها وبين سيدتنا مريم ﷺ، ورسول الله ﷺ يربط في الرواية بين هذين الرزقين وأنهما من مصدر واحد كأنه ﷺ يريد أن يقول: أتعجبون من أن يرزق الله الصديقة الكبرى مع أنه رزق من هو دونها بكثير فما وجه العجب؟!

وهكذا يمكن لهذا الواعي والمثقف بزعمه أن يقرأ مثلاً: أن الله عز وجل كما أشرت في الحديث السابق زوج الزهراء لأمير المؤمنين ﷺ في السماء وأن أحد الملائكة ألقى خطبة في هذا الحفل الإلهي . . فيعرض عنها مستنكفاً . . وربما جزم بأنها من «الإسرائيليات» دون أن يخطر بباله أنه متخلف عن ركب العقول الكبيرة والقلوب المنفتحة على آفاق الغيب الرحبية . . وذراه العجيبة!

نحن لا نعرف خصوصيات أهل البيت ﷺ ولا يصح أن نحكم بحسب ما ركمنّا من قناعات فيقول القائل منا: هذه الروايات لا أريد أن أقرأها . . لا تعجبني . . وتلك لا أعرضها على الناس . هذا «المنهج» - إذا صح أنه منهج وإنما أقول ذلك تجوزاً - غير سليم . . ليس منهج العقل وثمرته الأنضج التعبد، والفارق بين المؤمن وغيره إنما هو في التعبد، الكاشف عن مدى الالتزام العملي بالدليل العقلي . وإنما سقط اليهود وأصبحوا لعنة الأجيال، لضعف خط التعبد فيهم ولا يمكن للعاقل وهو يبحث عن التحلي بالإيمان إلا أن يقف عند مسألة التعبد طويلاً، لأن الفرق بين المؤمن وبين اليهودي هو هنا في التعبد، وإلا فإن المرء قد

يسلك طريق اليهود حذو النعل بالنعل دون أي فرق على الإطلاق .

مشكلة اليهود كما يصورها القرآن الكريم، بعد أن كانوا الأعظم، الأتقى، الأورع، ثم بدأوا ينحرفون تكمن في اصرارهم على عدم التعبد ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ كم لَوَعُوا النبي موسى وجرعوه الغصص ليذبحوا هذه البقرة، أو ﴿أَنَّ اللَّهَ مَبْتَلِيكُمْ بِنَهْرٍ﴾ لا تشربوا من هذا النهر من يشرب منه فليس مني قال لهم نبيهم: ﴿إِلَّا أَنْ يَغْرِفَ غَرْفًا بِيَدِهِ﴾ فلم يتعبدوا أيضاً بل خالفوا وشربوا من ذلك النهر . .

والسبب . . أن شيطان «الوعي» انطلق فيهم . . ما المشكلة في أن يشرب أحد من النهر ولماذا يخرج من الإيمان . . أيها الحبيب إن العقل لا يستطيع إدراك كل شيء ، العقل يقول أطع الله عزَّ وجل والله سبحانه وتعالى يأمر بما علينا إلا أن ننفذ . . ومثال ذلك أن العقل يأمر بمراجعة الطبيب، أو القانوني، وما عليك بعد المراجعة إلاَّ التعبد . . وقد بيَّنت في حديث سابق أن العقل يقف على عتبة التعبد متأدباً يقول حتى إذا خلعت نعلي فلا يمكنني أن أدخل إلى هذا الوادي المقدس على الإطلاق . يمكن للعقل أن يدرك التعبد . أن هناك حقيقة اسمها التعبد لكن كيف يكون التعبد . . هذا شيء آخر ولا يوجد شخص على وجه الدنيا إلاَّ وهو متعبد، حتى الكافر فإنه متعبد أي أنه يلتزم بمفهوم التعبد، يذهب الكافر إلى طبيب فيقول له: فوراً إلى غرفة العمليات، فيتعبد برأيه . . أي إنسان على وجه الأرض متعبد يلتزم برأي أهل الخبرة والاختصاص . . إلاَّ أن يكون مجنوناً أو شبهه . . التعبد هو - كما تقدم - الثمرة الأنضج للعقل، طبيعي جداً للإنسان المنطقي والعقلاني أن يدعن للتعبد أن يعترف بوجود آفاق لا يعرفها ولا يفهمها إلا أن العقل يقول له التزم برأي أهل الخبرة، التزم برأي العالم المتخصص . وعلى هذا الأساس يتعبد ويلتزم .

ويبقى من الأمور التي ينبغي الوقوف عندها في البدايات حول أحاديث النور التأكيد على أمرين :

**الأول:** عندما نتحدث عن نور رسول الله ﷺ فرب إنسان يبتسم ساخراً . . أولاً يعرفون ما المراد بنور رسول الله، إنه تعبير مجازي، والمراد نور الهداية،

الهدى العام، أو الخاص إذا نور فاطمة من نور رسول الله المعنى هنا أيضاً مجازي . . أي باعتبار أن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ وطبيعي أن الولد سرُّ أبيه فإذا هي من نوره من معدنه فإذا قلنا: لا نتحدث عن إشارة عابرة في رواية أو عدة روايات . . بل نتحدث عما يشكل جزءاً هاماً من السنة المطهرة بالأحاديث في ذلك كثيرة تقدم تفاصيل وافية عن نور فاطمة عليها السلام يقال: بلى . . مهما كانت الأحاديث كثيرة حول أن نور فاطمة من نور رسول الله فالمراد أنها ابنته مطبوعة له، بارة به، سائرة في خطه وهداه.

بناءً على هذا . . إن أول ما يجب تركيز الحديث حوله . . هل أن هذه الأحاديث مبنية على الحقيقة أم المجاز؟

يقول العلماء إن الحقيقة أولى من المجاز . . عندما نجد حديثاً عن رسول الله ﷺ يقول فيه: أول ما خلق الله نوري . . فهل يُحمل لفظ النور هنا على الحقيقة . . أي ثمة حقيقة اسمها نور رسول الله ﷺ أم يحمل هذا اللفظ على المجاز أي أن لفظ النور هنا أطلق وأريد به ما يشبه النور من الهدى والتوجيه والإرشاد، وإذا فتح باب الحمل على المجاز بمعنى تقديمه على الحمل على الحقيقة فقد فُتح الباب على مصراعيه أمام نسف دلالة اللغة على معانيها . . الأمر الذي يؤدي تلقائياً إلى عدم فهم أكثر النصوص - ومنها هذه الأحاديث - فهماً سليماً.

إن حمل هذه الأحاديث كلها على المجاز أمرٌ يتنافى مع أبسط قواعد البحث العلمي . . ورأي العلماء بالإجماع حاسم: ما دام باستطاعتنا أن نحمل لفظاً على الحقيقة فلا مبرر على الإطلاق لحمله على المجاز. وللتفصيل مجال آخر.

**الأمر الثاني:** حول أحاديث النور وشبهها، هو الاستغراب الذي ذكرته قبل قليل، أن منا من يستغرب الرواية فيهملها . . فهل يصح اعتماد الاستغراب دليلاً علمياً؟

لا شك أنه ليس من دأب العلماء ذلك بمعنى أنهم لا يابهون بالاستغراب . . فلا يكون عالماً من ينصرف عن مواصلة البحث لمجرد أنه استغرب أمراً ما . . أو بنى موقفه على قاعدة الاستغراب والاستهجان . . فكم من مستغرب يشبهه الدليل

وكم من مستغرب ينفيه .

وبعد هذه المقدمات أنتقل إلى المحور الأول من محوري الأسلوب الثاني . . الذي هو: البحث عن عظمة الصديقة الكبرى بل أي من المعصومين الثلاثة عشرة في عظمة المصطفى ﷺ والمحور الأول منه كما تقدم هو البحث في أحاديث النور . . وأذكر أولاً حديثاً أورده المقدس السيد الطباطبائي عليه الرحمة في تفسير الميزان الجزء الأول صفحة ١٢١ ، كما أورده العلامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه في بحار الأنوار الجزء ٢٥ صفحة ٢١ ، أذكر بعض فقراته بل القليل منها لطوله إلا أنني سأمهّد لذلك بما علق به السيد الطباطبائي على هذا الحديث ، وإنما أذكر كلامه قبل الحديث لأنّ المرض السائد في أوساطنا وللأسف الشديد هو استغراب هذه الأحاديث .

وأستمحيك عذراً لأشير هنا إلى أن السيد الطباطبائي رضوان الله تعالى عليه لدى البحث والتدقيق قد ألف تفسير الميزان ليكون هناك دليل علمي منهجي على تفسير القمي والعياشي وأمثالهما ، فإن الروايات التي تُستغرب في تفسير العياشي أو القمي وهما من كتبنا القديمة والمهمة جداً ، نجد السيد الطباطبائي عليه الرحمة والرضوان قد استدلل عليها بطريقة منهجية علمية بحيث لا يجد الباحث المنصف أمامه مجالاً إلا أن يذعن بما يقرأ . . في حين أنه لو قرأ ذلك في تفسير القمي وغيره لأنكره أو توقف فيه . . فقد وردت الحقائق في التفسيرين المذكورين وفي كثير من الكتب دون أية إيضاحات . . وتجد الأدلة عليها في تفسير الميزان .

من جملة الأبحاث التي تؤكد هذا الكلام البحث حول قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ . . انظر ماذا تجد في تفسير القمي تجد أنها أسماء أهل البيت . . إلا أن المقدس السيد الطباطبائي يبحث بحثاً علمياً معمقاً فيصل بك إلى هذه النتيجة لتجد نفسك خاشعاً في محراب منهجه العلمي الفريد .

كذلك الأمر في بحثه الآيات المباركة حول نبي الله براهيم خصوصاً آيات الحج وصولاً إلى معنى تشييعه عليه السلام . . والشواهد كثيرة تستدعي بحثاً مستقلاً . .

وبالعودة إلى تعليقه عليه الرحمة والرضوان على حديث من أحاديث

النور . .

يقول: إياك أن ترمي أمثال هذه الأحاديث الشريفة المأثورة عن معادن العلم ومنابع الحكمة بأنها من اختلاق المتصوفة وأوهامهم، فللخلقة أسرار . . وها هم العلماء من طبقات بني البشر لا يألون جهداً في البحث عن أسرار الطبيعة منذ أخذ البشر في التوسع والتقدم العلمي وكلما لاح لهم معلومٌ واحد بانت لهم مجاهيل كثيرة وعالم الطبيعة أضيق العوالم وأدونها فما ظنك بما وراءه وهي عوالم النور والسعة (تجد النص في الجزء الأول من كتاب تفسير الميزان صفحة ١٢١/ بتصرف يسير) إنه يريد أن يقول:

إياك أن تستغرب هذا القبيل من الروايات، فتقول هذا من اختلاق المتصوفة الذين يغالون بأهل البيت عليهم السلام، فينسجون من عندياتهم . . فللخلقة أسرار نحن لا نعلمها أي أن لخلق الله تعالى الخلق أسراراً أين نحن عن إدراكها، ثم يشير إلى علماء العلم الحديث كم بذلوا من الجهد ليعرفوا أسرار هذه الطبيعة وهم عاجزون، «فالزكام» لا يجد الطب له علاجاً رغم تفوقه . . ولذلك يتلخص رأي الطب حول الزكام بأن أقله أسبوع وأكثره أسبوع ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ وإذا كان عالم المادة . . المشهود المحسوس ما يزال مجهولاً بالنسبة إلينا . . فكيف بتلك العوالم الرحبة .

يقول السيد الطباطبائي رحمة الله تعالى عليه هذا العالم عالم الطبيعة المحدود أكثره مجاهيل فما ظنك بما وراء هذا العالم من عوالم السعة والنور، ألا ترى معي أن الفرق كبير جداً بين تأكيد السيد الطباطبائي عليه الرحمة على وجود عوالم السعة والنور الذي نفهم منه يقينه بوجود عوالم النور وجوداً حقيقياً وبين كلام القائلين بحمل أحاديث النور على المعنى المجازي!

إن العالم العارف بالله تعالى عندما يرى عوالم النور ويخبر عنها أولى بالتصديق من الفلكي الذي يعتمد تلسكوب «هابل» أو غيره ويخبرنا عن اكتشاف مجرة جديدة أو غير ذلك كما أشار إلى هذه الحقيقة الشيخ البهائي رضوان الله تعالى عليه .

والآن . . وبعد التعريف ببعد من أبعاد هذا العالم الجليل . . وبعد ذكر تعليقه

على الحديث . . إليك النص :

«عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله ﷺ: أول شيء خلقه الله ما

هو؟

فقال: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله، ثم جعله أقساماً . فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحب ما شاء الله، ثم جعله أقساماً: فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم . . وأقام القسم الرابع في مقام الخوف ما شاء الله . . ثم جعله أجزاءً فخلق الملائكة من جزء، والشمس من جزء، والقمر من جزء، وأقام القسم الرابع في مقام الرجاء ما شاء الله، ثم جعله أجزاءً فخلق العقل من جزء والعلم والحلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام القسم الرابع في مقام الحياء ما شاء الله، ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور وقطرت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة، فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشهداء والصالحين» .

وقد وردت هذه الرواية أيضاً في البحار ج ٢٥ ص ٢١ وفي مصادر كثيرة وهي من الروايات المشهورة .

لاحظوا هذا التعبير «نور نبيك يا جابر» . . . إنَّ فيه مخزوناً شعورياً عاصفاً . «نور نبيك يا جابر»!! وخلق منه كل خير لقد خلقت الصديقة الكبرى عليها السلام والأئمة عليهم السلام من هذا النور بل هذا النور نورهم . . ابحث عن عظمتهم في عظمة المصطفى الحبيب ﷺ ابحث عن نورهم في نوره وأحاديث النور كثيرة جداً .

وتبغني الإشارة في ظلال هذا الحديث إلى ما ورد فيه من أن العصمة خلقت من قسم من أقسام نور المصطفى الحبيب ﷺ ، فالفرق كبير بين أن ينتهي البحث حول عصمته ﷺ إلى إثبات عصمته وبين أن يصل إلى أن رسول الله ﷺ فوق العصمة، خلقت العصمة من نوره، وللأسف الشديد فإن البعض يصل إلى الحديث عن العصمة في التبليغ فقط! أليس هذا هو الرأي السائد بين الأخوة

المسلمين السنّة؟ نعم . . الفرق كبير جداً . . وشتان ما بينهما . . وكذلك الأمر في البحث عن مكانة الصّديقة الكبرى وسائر المعصومين عليهم جميعاً صلوات الله تعالى وسلامه، والحقيقة أن ثمة خللاً عقائدياً خطيراً ينتج عن إهمال البحث في هذه الحقائق بالطرق العلمية كما أن هناك خللاً تقل خطورته في الغالب عما سبق . . وقد تزيد عليها أحياناً، ينشأ من قبول أية رواية نجدها في هذا المجال . . دون إخضاعها للبحث العلمي المنهجي . . أو الرجوع فيها إلى أهل الخبرة . .

أكرر . . فللخلقة أسرار . . إلى أن يقول: «وعالم الطبيعة أضيق العوالم فما ظنك بما وراءه وهي عوالم النور والسعة، أي كما أن هذا العالم الذي نحن فيه يمكننا أن نراه، فهناك عوالم اسمها عوالم النور . . يمكن أن ترى ويعاش فيها فكم هو الفرق بين الحديث عن عوالم النور الواسعة جداً وبين أن النور مجازي! من المؤسف حقاً أن يغزى «الغيب» في عقر داره . . فإذا بالمنهج الذي يتحكم بطرح بعض المفاهيم الإسلامية منهج مادي متنكر ولو عن حسن نية .

أحد العلماء المحققين من الذين خبروا الروايات وأمضوا العمر في دراستها وعرضها على كتاب الله تعالى له رأي في هذا المجال وحول أحاديث النور وأن رسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام كانوا أنواراً قبل الخلق . .

ماذا يقول هذا العالم المحقق؟

أمّا أنّ الله تعالى خلقهم أنواراً من نوره قبل أن يخلق شيئاً من خلقه فهو معلومٌ متواترٌ معنى في أحاديثهم . .

وأما أنه سبحانه وتعالى جعلهم بعرشه محققين فهو أيضاً لا إشكال فيه، إنما الإشكال في (هل أنه) جعلهم بعرشه محققين بعد أن خلق العرش فهم قبل خلق العرش يسبحونه، أم (أنه سبحانه) خلق العرش قبل أن يخلقهم فلما خلقهم جعلهم محققين بالعرش أم ظهروا مع العرش أي خلقوا مع خلقه، فلم يظهر العرش في الوجود إلا بهم، أو لم يظهروا في الوجود إلا في العرش أم فيه تفصيل . . . وإنما أذكر هذا النص ليكون نموذجاً عن كلمات علمائنا الأعلام . . ويتضح لك الفارق النوعي بين ما تسمعه في الأعم الأغلب وبين هذا النموذج وشبهه . . والمتأمل في كلمات كبار العلماء الربانيين من أعمدة الحكمة الإلهية يجد أنهم جميعاً يتحدثون

عن المصطفى الحبيب وأهل البيت صلوات الله تعالى عليهم أجمعين بهذه اللغة العلمية المتخصصة . . مستندين في مرتكزات كلماتهم إلى الآيات الكريمة والروايات الشريفة . . مع رفق ذلك بمخزون عظيم من طهارة القلب واستقامة السلوك . . تجعلهم المؤهلين الحصريين لإدراك حقائق «المطهرين» الذي قصر الله تعالى فهم حقائق القرآن الكريم عليهم ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . .

إن هذه الحقائق عن أهل البيت عليهم السلام عصبية إلا على الذين يسرون في دروب الكشف عن الحقيقة بحركة العقل والقلب معاً . . وبمقدار طهارة القلب يتمكن العقل من طي المكان والزمان لتخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة (ولباب الحقيقة) فتصير الأرواح معلقة بعزّ قدسه عزّ وجل . . وما دمنا لا نستطيع ذلك . . فلنحاول على الأقل أن نخشع في مجلس الواصلين . . ونتأدب بأداب محاولة الإصغاء إليهم . . أما أن ننكر آراءهم بخفة الجاهل وتسرع . . فإننا نظلم (الحقيقة) بما لا يُسَف إليه أي ظلم . .

وقد تتوقف في قول هذا العالم «وأنه لولاهم لم يخلق العرش» ولشرح هذه العبارة بسط من القول يُخرج الحديث عن سياقه إلا أن الروايات كفيّة به . . ويكفي أن نتذكر هنا الحديث القدسي: «لولاك ما خلقت الأفلاك» الذي لا مجال للنقاش فيه بعد فهم معناه . . وقد يوفق الله تعالى لتفصيل الكلام حوله أو لإشارات توضيحية في مطاوي هذه الأحاديث فهو لا يتنافى إطلاقاً مع أفضلية المصطفى الحبيب عليه السلام . . وإنما هو بمعنى ﴿ وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ .

أصل هنا إلى تقسيم روايات النور وفرزها . . وهي موزعة كما يلي:

- ١ - منها ما يتحدث عن نور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
- ٢ - ومنها ما يتحدث عن نور المصطفى والمرضى صلى الله عليهما وآلهما .
- ٣ - ومنها ما يتحدث عن نور الزهراء عليها السلام .
- ٤ - ومنها ما يتحدث عن أنوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام دون الزهراء عليها صلوات الرحمن بشكل مباشر سواء بالاسم أو بشمول العدد .

٥ - ومنها ما يتحدث عن الأنوار الأربعة عشر، مع التصريح باسمها عليه السلام، أو بدونه .

نستنتج: أنّ ما يتحدث عن الصّديقة الكبرى عليها السلام من روايات النور إما خاص بها أو ضمن الروايات الأخرى .

وينبغي أن نلاحظ هنا أن كل رواية تتحدث عن النور تتحدث عن نور أهل البيت جميعاً، لأن النور واحد، فكل رواية تتحدث عن نور رسول الله تتحدث حكماً عن نور أمير المؤمنين ونور الصّديقة الكبرى، ونور أهل البيت، ويأتي مزيد توضيح إن شاء الله تعالى .

وهذه نماذج تؤكد ما تقدم:

١ - حول نور رسول الله ﷺ أكتفي بالرواية التي تقدمت «رواية جابر بن عبد الله الأنصاري» أول ما خلق الله ماذا؟ . . «نور نبيك يا جابر» .

٢ - من الروايات التي تتحدث عن المصطفى والمرضى صلى الله عليهما وآلهما عليهما ينقل العلامة المجلسي عن أحمد بن حنبل: أنه يروي عن رسول الله ﷺ «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الرحمن قبل أن يخلق عرشه بأربعة عشر ألف عام وقد أورد العلامة المجلسي هذه الرواية مسندة»<sup>(١)</sup> .

أشير هنا إلى أنني أذكر من كل قسم نموذجاً أو أكثر حيث لا يتسع المجال لإيرادها جميعاً لأن ذلك يحتاج إلى كتاب إن لم أقل إلى كتب . . ولها أهلها . .

٣ - ما يتحدث عن نور الصّديقة الكبرى عليها السلام: عن رسول الله ﷺ مخاطباً علياً عليه السلام: «نورنا ونور فاطمة واحد» نور فاطمة من نورنا»<sup>(٢)</sup> .

٤ - الروايات التي تتحدث عن رسول الله ﷺ والأئمة جميعاً عليهم السلام .

عن الإمام السجاد عليه السلام: «إنَّ الله عزَّ وجل خلق محمداً وعلياً والأئمة الأحد عشر من نور عظمته أرواحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق

(١) المجلسي، البحار ١٥/٢٥ .

(٢) عيون المعجزات، ص ٤٦؛ والبحار ٨/٤٣ .

يسبحون الله عزَّ وجل ويقدمونه وهم الأئمة الهادية من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين»<sup>(١)</sup>.

٥ - حول المعصومين الأربعة عشر، العنوان الذي تقدم كان حول رسول الله ﷺ والأئمة الاثني عشر يعني ليس في هذا القسم المتقدم الذي ذكرت نموذجاً منه . . حديث عن نور الزهراء عليها السلام إلا بلحاظ أن النور واحد . . وما شابه . . أما في هذا القسم الذي أنا بصده الآن . . فالحديث عن المعصومين الأربعة عشر وينقسم هذا القسم بدوره إلى نوعين :

أ - ما يصرح فيه بالعدد (أربعة عشر) .

ب - وما يتحدث عنهم عليهم السلام بعنوان عام كما سيأتي .

من الأول ما يصرح فيه بالعدد عن الإمام الصادق عليه السلام :

«إنَّ الله تعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام فهي أرواحنا فليل له يا ابن رسول الله : ومن الأربعة عشر؟

فقال : محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين عليه السلام آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته فيقتل الدجال ويُطهر الأرض من كل جورٍ وظلم»<sup>(٢)</sup>.

ومن الثاني - ما لا يصرح بالعدد بل يذكر عنواناً عاماً مثل (أهل البيت) أو «خلقنا» وغير ذلك يقول الإمام الباقر عليه السلام :

«يا جابر كان الله ولا شيء غيره ولا معلوم ولا مجهول فأول ما ابتداءً من خَلَقِ خَلْقِهِ أَنْ خَلَقَ مُحَمَّدًا ﷺ وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظلة خضراء بين يديه حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر يفصل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس نسيح الله ونقدسه ونحمده ونعبد حق عبادته» والحديث طويل<sup>(٣)</sup>.

(١) البحار ١٥/٢٥ .

(٢) الصراط المستقيم للبيضاوي ١٣٤/٢ ؛ والبحار ٢٣/١٥ ، ٤/٢٥ ، ١٥ ، ١٤٤/٥١ .

(٣) المجلسي، بحار الأنوار ١٧/٢٥ .

أذكر هنا بالمناسبة حديثاً أورده في البحار عن الإمام الصادق عليه السلام يتكلم عن خلق الشيعة «ألا إنا خلقنا من نور الله وخلق شيعتنا من ذلك النور، فإذا كان يوم القيامة التحقت السفلى بالعليا» ثم قرن عليه السلام بين إصبعيه السبابة والوسطى وقال: «كهايتين»<sup>(١)</sup>.

وفي بعض الروايات الأخرى ما يوضح المقصود من السفلى والعليا حيث يجري الحديث بالتصريح بأن أهل البيت عليهم السلام خلقوا من أعلى عليين وخلق الشيعة مما دون ذلك وهي المرتبة التي يعبر عنها بالسفلى، فيوم القيامة تلتحق السفلى بالعليا، يعني يحشر الشيعة مع أهل البيت عليهم السلام.. فهم قد خلقوا - بناء لهذه الروايات - من نور واحد.. وإن اختلفت الرتبة والمنزلة.. وكما في أحاديث النور.. كذلك في أحاديث الطينة.. فالنور واحد والطينة واحدة.. وبديهي أن الحديث عن الشيعة.. الشيعة.. لا مدعي التشيع.. والعبرة في ذلك بالخروج من الدنيا في خط طاعة الله تعالى واتباع المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله الأطهار عليهم صلوات الرحمن.. اللهم ارزقنا.

ولا بد في هذا السياق من وقفة عند الروايات التي تتحدث عن النور ولا تذكر الصديقة عليها السلام لبيان أنها لا تعني على الإطلاق أنها عليها السلام أقل مرتبة من الأئمة عليهم السلام.. إذ لا يستقيم استنتاج ذلك من مجرد عدم ذكرها عليها السلام في هذه الأحاديث.. فقد يكون لذلك سبب آخر كما سنرى.. فمقام المقال مختلف من حال إلى حال.. ولكل مقام مقال.. تارة يكون المورد للحديث عن الأئمة الذين عينهم الله تعالى لمقام الخلافة.. وبديهي أن لا تذكر الصديقة الكبرى عليها السلام في مثل هذا المورد، فهي من المعصومين الأربعة عشر إلا أنها ليست من الأئمة عليها وعليهم صلوات الرحمن.. إلا أن هذا لا ينافي أن تكون في مرتبتهم أو في مرتبة أعلى من أكثرهم..

وبين روايات النور رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام حول نور المولى أبي طالب.. يتحدث عن نور رسول الله ﷺ ونور الصديقة الكبرى عليها السلام ونور الحسينين ونور التسعة المعصومين عليهم السلام.. ولا يذكر فيها نوره هو عليه السلام..

(١) البحار ٢٥/٢١.

وإن كان قد ذكر في بعض صيغ الرواية، إلا أن بعض الأجلة احتمل أنه لم يتحدث عن نوره هو احتراماً لوالده<sup>(١)</sup>.

ولكن يمكن إرجاع السبب إلى وحدة نور المصطفى والمرتضى بشكل خاص صلى الله عليهما وآلهما<sup>(٢)</sup>.

أريد أن أقول إن مراعاة خصوصية المورد والمقام أو غير ذلك لا تقتضي الحديث أحياناً عن هذه الخصوصية أو تلك، أو تقتضي عدم الحديث عنها كما هو واضح.

ثم إن من الضروري التنبيه إلى حقيقة أن الصديقة الكبرى والأئمة عليهم السلام من نور المصطفى الحبيب ﷺ فالنور في الحقيقة واحد. . وإنما يتعدد بتعدد اللحاظ. . وقد ورد عنهم أنهم عليهم السلام (كلهم نور واحد) والمتأمل في أحاديث النور يلمس الحديث عن وحدة النور بكل جلاء. .

أضف إلى ذلك أن من الروايات ما يدل على أن هذا النور الواحد هو نور الصديقة الكبرى عليها السلام مما يجعلنا أمام حقيقة التقاء هذا النوع من الروايات مع روايات وصف المصطفى الحبيب للصديقة الكبرى صلى الله عليها وآلهما بأنها «روحه» أو «أمه» بناء لما تجد في هذه الأوراق حول تفسير الأم. .

وما ذكرته مجرد إشارات تحاول تلمس الطريق إلى أسرارهم عليهم السلام. . ولا شك أن لهذه الميادين أهلها الذين تستلهم هذه الإشارات بعض ما عقدوا القلب عليه في باب الولاية. .

وأختم هنا بهذه الرواية التي ذكرت آنفاً أنها تتحدث عن وحدة نورهم عليهم السلام وأنه نور رسول الله ﷺ، وقد أورد هذه الرواية العلامة المجلسي

---

(١) السيد نجم الدين العسكري، أبو طالب حامي الرسول، ص ٢٠٨. وانظر: الرواية في البحار ١١٠/٣٥.

(٢) في الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي، ص ١٢٧. عن رسول الله ﷺ: «خلقت أنا وعلي من نور واحد». . والروايات الدالة على ذلك كثيرة جداً.

في البحار في الجزء الخامس والعشرين ص ١٠ وهي طويلة جداً أكتفي ببعض فقراتها. تبين الرواية أنه بينما كان رسول الله ﷺ يتحدث عن عظمة أهل البيت ﷺ.. والعباس بن عبد المطلب حاضر في المجلس سأل العباس رسول الله ﷺ مستغرباً: يا رسول الله أأنت وأنا وأنت وعلي وفاطمة والحسن والحسين من ينبوع واحد؟

قال ﷺ: «وما وراء ذلك يا عماء؟».

قال: لأنك لم تذكرني حين ذكرتهم ولم تشرفني حين شرفتهم..

فقال رسول الله ﷺ: «يا عماء أما قولك أنني أنا والحسن والحسين من ينبوع واحد (من أسرة واحدة ومصدر واحد) فصدقت ولكن (بيننا فرق) خلقنا نحن حيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا عرش ولا جنة ولا نار كنا نسبحه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس، فلما أراد الله بدء الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش فنور العرش من نوري ونوري من نور الله وأنا أفضل من العرش».

(إذا استغربت العبارة الأخيرة لتنتقل منها وفقاً «لمنهج الشطب» إلى تحييد هذه الرواية وشطبها فتذكر: «المؤمن أعظم حرمة من الكعبة»<sup>(١)</sup>).

إذا ما الغرابة في أن يكون المصطفى الحبيب ﷺ أفضل من العرش.. بمقدار القرب من الله تعالى يكون الفضل.. ولا مجال للمقارنة بين قلب الإنسان وغيره.. إن القلب الذي لا يدانيه قلب في طاعة الله تعالى وحبه هو الكعبة الحقيقية.. بل العرش الحقيقي.. وهو أفضل من كل ما عداه).

ثم يضيف ﷺ: «ثم فتق نور ابن أبي طالب فخلق منه الملائكة، فنور الملائكة من نور ابن أبي طالب ونور ابن أبي طالب من نور الله ونور ابن أبي طالب أفضل من الملائكة» (كأنه ﷺ تعمّد الحديث عن الإمام هنا بهذه الصيغة (ابن أبي طالب) وكررها ثلاث مرات إلفاتاً إلى المولى أبي طالب رضوان الله تعالى عليه

---

(١) من الروايات المستفيضة وقد أوردها الشيخ هادي النجفي في «ألف حديث في المؤمن» وصرح بأنها رواية صحيحة السند وهي مروية عن رسول الله ﷺ.. وتجدها في البحار ٧١/٦٤ مروية عن الإمام الصادق ﷺ.

الذي لا نذكر الإمام عادة إلاً بذكره: (علي بن أبي طالب) ثم تختتم هذه الرواية بقوله ﷺ:

«فتق نور ابنتي فاطمة منه فخلق منه السموات والأرض، فنور السموات والأرض من نور ابنتي فاطمة ونور فاطمة من نور الله ففاطمة أفضل من السموات والأرض».

ويأخذ ختام هذه الرواية بقلوبنا إلى الترابط بين اسم «الزهراء» وبين عبارة «فنور السموات والأرض من نور فاطمة» . . . حقاً . . ما معنى الزهراء؟

في بعض الروايات أنها ﷺ كانت إذا وقفت في محرابها يزهر نورها لأهل السموات كما تزهر الكواكب لأهل الأرض . . وفي بعضها أن المدينة المنورة كانت تضيء من نورها ﷺ . ولا شك أن المقصود بذلك معنى آخر غير المعنى الذي يتبادر لأفهامنا المشدودة إلى المادة أو إلى الطاقة المحكومة بمقتضيات المادة . . كما أنه لا يراد به «المعنى المجازي» . بل المراد الذي لا يوجد تفسير مقنع غيره - والله تعالى العالم - أن هناك نوراً حقيقياً لا تدركه الأبصار العادية . . بل تدركه بأبصارها البصائر المزودة بقدرة النظر بنور الله تعالى . .

وفي الروايات ما يؤكد ذلك بوضوح منها ما ورد في هذه الرواية حيث بين رسول الله ﷺ أن الله تعالى بعد أن خلق الأنوار «خلق الظلمة بالقدرة فأرسلها في سحائب البصر، فقالت الملائكة: سبح قدوس ربنا مذ عرفنا هذه الأشباح ما رأينا سوءاً، فبحرمتهم إلا كشفت ما نزل بنا فهناك خلق الله تعالى قناديل الرحمة وعلّقها على سرادق العرش فقالت الملائكة: إلهنا لمن هذه الفضيلة وهذه الأنوار . . ؟

فقال: هذا نور أمتي فاطمة الزهراء فلذلك سميت أمتي الزهراء لأن السماء والأرضين بنورها ظهرت وهي ابنة نبيي وزوجة وصيي وحجتي على خلقي»<sup>(١)</sup> . . إلى آخر الرواية.

(١) محمد بن أحمد القمي، مائة منقبة ص ١٢٧؛ والبحار ٢٧/١١٧؛ وينايع المودة ٢/ ٣٣٢.

الذي أريد أن أقوله : إن ما أدعو إليه أن تدرس أحاديث النور لأهميتها فتفرز أولاً ثم تدرس الأسانيد ثم تحاكم النصوص ، عندها يمكن أن يعطي أحدنا رأيه حول أنوار أهل البيت عليهم السلام ، أو نور فاطمة الذي خلق قبل الخلق؟! أيضاً أضيف هنا أنه ينبغي الوقوف عند فائدة عملية . .

أيها الحبيب . . عندما نعرف أنهم نور الله عزَّ وجل ، عندما نقرأ أو نسمع عن هذه الأنوار الطاهرة ، نور رسول الله ﷺ أو نور أمير المؤمنين أو الزهراء عليها السلام أو نور أهل البيت ، هذه الأنوار المقدسة كانت قبل أن يخلق الله العالم بآلاف السنين ، فإن استغرابنا أو عدم فهمنا لهذه الأمور لا يبرر لنا أن نرفض . . ونبادر إلى رمي هذه الروايات بأنها خرافية والعياذ بالله تعالى لأن هناك أموراً فوق إدراكنا «كل ما طرق سمعك فذره في بقعة الإمكان» وارجع إلى المختص الذي تجد عنده الخبر اليقين . .

ثم إن هذه الحقائق ، حقائق الأنوار إذا تعاطينا معها سوف نكون أمام مخزون شعوري متلاطم . . رسول الله وأهل البيت الذين نتنسب إليهم ونريد أن نكون معهم نور محض ، أنا صاحب المعاصي كم هي نسبة النور في! إذا لم أكن نوراً لا أكون معهم ، إذا لم يكن في نور لا أكون قد حققت شيئاً من التجانس معهم وإنما أكون شيئاً آخر ، وإذا كان في شيء من النور فتنبغي المحافظة عليه بطاعة الله عزَّ وجل خصوصاً الإكثار من الذكر . . مسألة النور مسألة حقيقية . .

﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ [البقرة: ٢٥٧] وما دام الإنسان ممثلاً يذكر الله عزَّ وجل فإنه يزداد نوراً . . فلنحرص على زيادة النور فينا ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ [النور: ٤٠] ﴿نورهم يسعى بين أيديهم﴾ [التحریم: ٨] .

والحمد لله رب العالمين .

(١٠)

## آداب ولايتها عليها السلام .. والحجب دونها

\* تمهيد .

\* محاور تمس الحاجة إليها .

\* الحُجُب المانعة . .

\* روايات مستغربة . . وتحليل رفض المستغرب .

\* الجهل بعظمة موقفها التاريخي . . ، الخطبة ، البكاء ، الدفن ليلاً .

\* الفهم الخاطئ لكلامها مع الأمير عليها عليها السلام .

\* تلخيص الحجب في ضوء ما تقدم . .



## (١٠)

ما نزال في أجواء أيام الصديقة الكبرى الشهيدة عليها السلام وهذه الأيام فرصة للقلوب الموالية لكي تصل إلى النور المحمدي، فتزيل به ظلمات الذنوب وأدرانها، شرط أن تعرف القلوب كيف تمرغ جباهها على عتبة قُرَّة عين الرسول ﷺ فتقف ببابها متوسلة .

بالتوسل يمكن طي الآفاق الأنفسية ويمكن الحصول على ما لا نحصل عليه عادةً بأي طريقٍ آخر، ﴿قل ما يعبؤ بكم ربِّي لولا دعاؤكم﴾ والتوسل دعاءً بامتياز إنه رجاء لله تعالى مع التوسل بالمصطفى الحبيب وآله الأطهار خير الخلق على الإطلاق .

هذه الأيام شديدة الأهمية وينبغي أن ندرك ذلك ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ .

ما هي الحصيلة التي سنخرج بها من الأيام الفاطمية، هل نريد أن تكون حصيلتنا مميزة، هل نحن متيقظون، أم أننا لا نسمح الله نتنبه بعد فوات الأوان، كل الأيام فاطمية والدهر كله يخشع في محراب الصديقة الكبرى الشهيدة ولكن لهذه الأيام خصوصية، قلوب أهل البيت المصطفى الحبيب وآله، قلوب الأنبياء، الأولياء جميع الملائكة وعباد الله الصالحين، تعيش هذه الأيام الفجيعة بظلامه الصديقة الكبرى عليها السلام وفقدتها وقد وقفت في حديث سابق عند عمق الفجيعة فلا أعيد . .

لنحرص على أن ننسجم مع الكون في تفجعه على الصديقة الشهيدة ولنأخذ بحظنا من أداء الواجب والالتزام بأداب الولاية في هذا المجال والتوسل .

أيها الحبيب ما تمس إليه الحاجة في مجال الحديث عن الصديقة الكبرى عليها السلام .

أولاً: معرفة عظمتها . . ثانياً: مظلوميتها وما جرى عليها . . ثالثاً: آداب  
الولاية .

أما المحور الأول والثاني عظمة الصديقة الكبرى ومظلوميتها عليها السلام ،  
فأعتقد أن في ما تقدم من أحاديث بعض وفاء في هذا المجال، أذكر باختصار أن  
الحديث عن عظمة الصديقة الكبرى وفق المنهج الذي تقدم الحديث عنه ينبغي أن  
يكون أولاً بالبحث عن أفضليتها على الأنبياء باستثناء رسول الله صلى الله عليه وآله .

وثانياً بالبحث عن عظمتها في عظمة رسول الله ، في قلب عظمته صلى الله عليه وآله .

وأما بالنسبة إلى المحور الثاني فكذلك أشير هنا باختصار إلى أن الحديث  
عن أي أمر يخص الصديقة الكبرى عليها السلام يدخل في صلب المعتقد مهما كان  
صغيراً ولذلك لا مجال على الإطلاق للقول بأن هذه الأبحاث تاريخية لا داعي  
للخوض فيها أ وأنها تأتي في درجة ثانوية من الأهمية، إن الأبحاث المرتبطة  
بالصديقة الكبرى عليها السلام أبحاث عقيدة، قلت: إن ناقة صالح باعتبار خصوصيتها  
دخلت في صلب العقائد آنذاك والنبى صالح باعتبار أنه نبي الله كانت له حرمة  
وناقته كانت لها حرمة معينة، الظلامة بشكل عام تتخذ أهميتها من المظلوم، قد  
يكتسب الحديث أهميته من المتحدث عنه . . أو من صاحب ما يتحدث عنه . ،  
باب الزهراء يدخل في صلب المعتقد، الحديث عنه والموقف منه يجب أن يكون  
على هذا الأساس وبهذا اللحاظ أي لأنه يدخل في صلب المعتقد ولأنه كذلك بقي  
رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر أو تسعة على الرواية الأخرى يقف على هذا الباب في  
طريقه إلى الصلاة ويقرأ آية التطهير ومما قال عن هذا الباب - «باب فاطمة بابي» ،  
«وحجابها حجابي» كل ما يرتبط بالصديقة الكبرى مرتبط جذرياً ومتشابك كلياً  
ومتداخل مع المعتقد وربما يأتي في مطاوي الحديث بعض ما يوضح ذلك إن  
شاء الله تعالى .

أما بالنسبة إلى المحور الثالث: وهو محور آداب ولاية الصديقة  
الكبرى عليها السلام ، فهو يشمل:

## أولاً: الحديث عن معرفتها ﷺ :

ومعرفتها ينبغي أن نصل إليها فيما نصل، بمعرفة سيرتها ومعرفة ما روي عنها وعندما نستعرض ما روي عنها نجد أنه على أقسام أربعة: التعليمات، والأدعية، والصلوات، والأذكار.

والمراد بالتعليمات . . الأحاديث التي رويت عنها ﷺ .  
في باب معرفتها لا بد من الوقوف عند هذه العناوين .

## ثانياً: حبها ﷺ :

لا بد من الوقوف عند الآيات والروايات التي تتحدث عن وجوب حبّ الصديقة الكبرى ﷺ والأدلة في هذا المجال على قسمين: أدلة عامة هي تلك الآيات والروايات التي تتحدث عن حب رسول الله ﷺ وحب أهل البيت ﷺ بشكل عام، بالإضافة إلى الأدلة الخاصة وهي الروايات التي تتحدث عن حبّ فاطمة ﷺ. والروايات في هذا المجال متعددة، منها الرواية التي وردت عن سلمان الفارسي رضوان الله تعالى عليه:

عن رسول الله ﷺ: يا سلمان حبّ فاطمة ينفع في مائة موطن أيسر تلك المواطن الموت، والقبر، والميزان، والمحشر، والصراط، والمحاسبة، فمن رضيته عنه ابنتي فاطمة رضيته عنه، ومن رضيته عنه رضي الله عنه، ومن غضبت عليه فاطمة غضبت عليه، ومن غضبت عليه غضب الله عليه، يا سلمان ويل لمن يظلمها ويظلم ذريتها وشيعتها<sup>(١)</sup>.

## ثالثاً: الاقتداء بها ﷺ :

لا بد من الوقوف أيضاً عند عنوان الاقتداء بها ﷺ وهذا يعني أن آداب الولاية بالنسبة إلى الصديقة الكبرى تشمل المعرفة، والحب، والاقتداء.

(١) انظر: المراقبات، ط. مكتبة الشيعي ص ١٤٣، مراقبات شهر رمضان.

وأنا أوردتها هنا كعناوين . . وأجملها، لأصل إلى الموضوع الذي سأركز عليه في سياق آداب الولاية . .

وفي باب الاقتداء ينبغي التنبيه إلى أن الصديقة الكبرى عليها صلوات الرحمن مقياس بين الحق والباطل . . وهو عنوان تقدم الحديث حوله . . ويأتي مزيد إيضاح إن شاء الله تعالى .

كما ينبغي التنبيه أن مما يتفرع على الاقتداء بها عليها السلام تولي الأئمة أمير المؤمنين والأئمة الأحد عشر عليهم جميعاً صلوات الرحمن باعتبار أن موافقها عليها السلام كانت تصب في هذا الاتجاه .

والعنوان الثالث المتفرع على الاقتداء، الاقتداء بها عليها السلام في باب الطاعة والعبادة «وقل كل يعمل على شاكلته» «ألا وأنكم لا تقدرُونَ على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد» إن اقتداء كل شخص في مجال الطاعة والعبادة . . وغيرهما إنما هو بحسبه .

أيها الحبيب . . هناك حجبٌ تمنع من القيام بواجب آداب الولاية تجاه الصديقة الكبرى عليها السلام، هذه الحجب هي التي أردت أن أقف عندها وهي محور هذا الحديث إن شاء الله تعالى، والمراد بالحجب كل ما يضعف العلاقة بالصديقة الكبرى عليها السلام. هذه الحجب هي كما يلي:

**أولاً: روايات مستغربة:** أن الإنسان يقرأ في الروايات عن الصديقة الكبرى فيجد غرائب، من قبيل أحداث النور كما ذكرت في بعض الأحاديث المتقدمة، أو أن سلمان الفارسي عندما أرسله أمير المؤمنين عليه السلام لاستلام تحفة هدية من الصديقة الكبرى عليها السلام، وأبدر إلى التنبيه أنني سأبين قريباً أن هذا الاستغراب لا يعني أن هذه الأحاديث مرفوضة، أقصد أن ثمة أحاديث يستغربها البعض وأخرى غريبة جداً أو توجد فيها بعض الغرائب، فهي بشكلٍ عام مستغربة .

من هذه الأحاديث: أن الحوريات الأربع نزلن من الجنة على الصديقة الكبرى وأتحفنها برطبٍ من الجنة وأعطت الصديقة الكبرى بعضه لسلمان ليفطر عليه، وعندما مرَّ بعض أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يا سلمان أمتعك مسك . . ثم في اليوم التالي أخبر الصديقة الكبرى أنه لم يكن لهذا التمر «عجم»

ليس له نوى . . فقالت له ﷺ كيف يكون له «عجم» وإنما هو نخلٌ غرسه الله في دار السلام بكلامِ عَلَمَيْهِ أَبِي ﷺ كنت أقوله غدوةً وعشية<sup>(١)</sup> .

وما أكثر الروايات من هذا النوع، أشرت في الأحاديث السابقة إلى مسألة أن الزواج كان في السماء، أو مثلاً رواية أن أمير المؤمنين ﷺ دخل عليها فقالت له: أخبرك بما يكون إلى يوم القيامة وما شابه . . هذه الروايات المستغربة كيف يمكن أن نتعامل معها؟ هل يصح أن نرفضها أو نُحِيدها؟ أما الرفض فهو واضح البطلان وأما التحييد فهو خطأً منهجي لا مبرر له على الإطلاق . . رغم أنه أقل مرتبة من الرفض . والمراد بالتحديد أن لا تقترب من هذه الروايات وهو منهج الكثيرين . . إنه منهج من لا يريد أن لا يتحمل مسؤولية أن ينفي رواية لكنه يتحمل مسؤولية أن لا يطرح هذه الرواية على الناس لأنها غريبة ومتى كان الاستغراب دليلاً علمياً يبرر التحييد الذي هو مرتبة من مراتب الرفض . . وتراكمه يؤدي إلى نفس النتيجة . . ليس دأب العلماء أن يتركوا الأمر المستغرب، إن علماءنا عبر القرون يذكرون أموراً مستغربة لأنها ثبتت أو لأنهم بمقتضى الأمانة العلمية ملزمون عندما يكونون بصدد نقل الروايات أن ينقلوها كما هي، تاركين للأجيال أن تدرس وتحقق . . وما أكثر المسائل التي أثبت التقدم العلمي أنها ليست مستغربة رغم أنها كانت في السابق مستغربة . . ألم يكن مستغرباً أن حلقة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً لو وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرارتها كما ورد في رواية طويلة أوردتها الإمام الخميني في الحديث الأول من كتابه «الأربعون حديثاً» بسنده المتصل إلى الشيخ الصدوق عليه الرحمة والرضوان . . والآن في ضوء «القنبلة الذرية» والطاقة الهائلة الكامنة في الذرة . . ألم يتم تقريب ذلك إلى الأذهان . . فما المانع أن تكون الطاقة الكامنة، في حلقة من سلسلة طويلة، - الأمر الذي يقتضي ضخامة الحلقة عادة، - يمكنها أن تدمر الدنيا . . أي أنها تعادل الطاقة الكامنة في آلاف القنابل الذرية . .

مثال آخر: ألم يكن مستغرباً أن الحجر الأسود قد أودعه الله تعالى موثيق العباد . . فكيف يتم مثلاً تخزين معلومات في حجر . . والآن بعد أن أصبحنا نرى تخزين المعلومات في شريط تسجيل أو في القرص المرن أو القرص الليزري أو

(١) المجلسي، بحار الأنوار ١٧/٢٥ .

القرص الصلب . . تبدد هذا الاستغراب أو عاد إلى الحجم الذي لا يتنافى مع الإذعان به .

إذاً ما أكثر الأمور التي كانت مستغربة وثبت أننا كنا قاصرين عن فهمها . . هذا الأمر يؤكد أن التعبد كما قلت لك هو ثمرة ناضجة من ثمرات العقل بل الثمرة الأنضج . .

العقل هو الذي يقول: تَعَبَّد . . العقل يقول أنا أوصلك إلى حيث لا يصح لك بعد أن تجدعندي الجواب . . وبما أنني أنا قد أوصلتك فاطمئن . . والتزم . . ولو لم تفهم لأن الأمور أكبر منك ومني . . فتعبد بها . . إن أردت الاعتماد علي . . والإصغاء إلي . .

والروايات المستغربة عن الصديقة الكبرى كثيرة، أيها الحبيب . . كن على ثقة أن ظلامه الصديقة الكبرى في تحييد هذه الروايات ظلامه كبيرة جداً، علينا أن نقرأ هذه الروايات ونفكر فيها ونبحثها ونبحث في إسنادها، ولا يصح أن نحيدّها خاصة وأنها أحياناً تتضمن أسراراً في العقائد لا مجال للوصول إليها إلاّ منها ولا يجوز أن يكون «التحييد» أو البتر والأجتزاء منهجاً . . إنما هو خيانة علمية وخلل منهجي . .

هذه الروايات المستغربة هي من الناحية العلمية إما أن تكون صحيحة ويقصر فهمنا عنها أو أن تكون موضوعة، أو أن المعنى صحيح والراوي نقل النص بالمضمون . أحياناً تجد أن الفكرة العامة للنص فكرة سليمة ولكن هناك بعض العبارات يتوقف الإنسان عندها، ومن الواجب هنا التعامل بأمانة . . فيُنقل النص كما هو ويُدرس دراسة علمية . . وإذا ثبت ننقله كما هو دون أن نعمد إلى خلل منهجي آخر وخيانة علمية أخرى هي «البتر»، إبراز بعض الكتاب وتحييد بعضه . . وهو أخطر من سابقه . . علينا أن نحاول رفع الاستغراب والاستبعاد . . وتقريب المعنى إلى الإذهان . . وإذا ثبت أنّ السند معتبر فينقل النص كما هو مهما كانت النتيجة، مع محاولة رفع الاستبعاد للآخرين، لأن الواعظ طيب كما يصرح آية الله الملكي التبريزي رضوان الله تعالى عليه<sup>(١)</sup> .

(١) المجلسي، بحار الأنوار ٦٧/٤٢ .

أشير هنا إلى نصّ جديد للإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه لم أوردته من قبل حول الاستغراب وإنكار المقامات . . . يخصص الإمام باباً للبحث حول منكري المقامات وطوائفهم، وذلك في كتاب آداب الصلاة طبعة طهران من الصفحة ٢٦٠ إلى الصفحة ٢٦٥ فيقسم الذين ينكرون المقامات إلى أقسام ثلاثة. حول القسم الثالث وهو محل الشاهد هنا يقول رضوان الله تعالى عليه: «وطائفةٌ أخرى عامدةٌ إلى التحصيل العلمي (يعني تهتم بالتحصيل العلمي) فهي مشغولة باكتساب المعارف كعلم مكتفية من الحقائق ومقامات أهل الله بالمصطلحات والألفاظ والمزوّق من العبارات وأفراد هذه الطائفة بحبسون أنفسهم وبعض المساكين غيرهم في قيود الألفاظ والمصطلحات قانعين من جميع المقامات بالأقوال والألفاظ، وعلامة أفراد هذه الطائفة أو هذا القسم ميلهم إلى إرشاد الأغنياء والوجهاء دون الفقراء والدروايش، إذ أنك ترى مرديهم من أصحاب الجاه والمال كما ترى أنهم أنفسهم من المتزيين بزى الأغنياء وأصحاب الجاه والمال».

أيها الحبيب . . . إنّ إنكار المقامات القائم أساساً على الاستغراب يرجع في الحقيقة إلى جموح إلى التكيف مع السائد وهو يكشف عن نقطة ضعف في الذهن والشخصية عموماً، تجعل صاحبها يركز حتى في عمله التبليغي على ما يحقق الانسجام مع الجو العام . . . رغم أن المفترض في المبلغ الديني أن يخشى الله تعالى ولا يخشى أحداً غيره . . . وأن يكون مع المستضعفين ضد الملام ضد المترفين والمستكبرين . . . والسلطان . . . إلا أن ما يقع كثيراً هو خلاف ذلك . . . حيث يقف بعض العلماء ضد المستضعفين، وإذا بحثنا عن السبب في ذلك نجد أنه يكمن في الحرص على استرضاء الرأي العام والسائد بين أصحاب الشأن والسلطة والسطوة . . . فهو إذاً عجزٌ عن عقد القلب على ما يصدّم السائد . . . ووقوع في أسر المألوف وهو بعد أحد عوارض المرض العضال . . . الانبهار بالكفر . . . والكافرين . . .

وهذا هو السبب الذي يجعل البعض على حد تعبير الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه يستشهد في حديثه بكلام اليهود والنصارى ليزيد في قوة كلامه .

على كل إنكار المقامات والروح الانهزامية وجهان لحقيقة واحدة . . إذاً في باب الروايات المستغربة ينبغي التنبه إلى ما تقدم .

حجاب آخر: قد يسأل سائل، نريد أن نكوّن صورة عن الدور الذي قامت به الصديقة الكبرى عليها السلام في زمن رسول الله، أو في حياته عموماً، في زمن المصطفى الحبيب أو بعده، فلا نجد ما يسهم في تكوين صورة عن هذا الدور . ماذا يريد هذا وأمثاله أن يقولوا؟

يريدون أن يقولوا: إن دور أمير المؤمنين عليه السلام - مثلاً - واضح جداً سواء في زمن المصطفى الحبيب أو بعده . . كذلك دور الإمام الحسين عليه السلام ، أو الإمام الحسن عليه السلام .

فما هو دور الصديقة الكبرى . . هذه المعصومة العظيمة بين المعصومين التي هي روح رسول الله صلى الله عليه وآله روح رحمة الله للعالمين ما هو دورها، طبعاً عندما تُحيد هذه النصوص المستغربة ويُعطى مع سيرة الصديقة الكبرى على أساس أنها سيرة بنت من بنات رسول الله صلى الله عليه وآله <sup>(١)</sup> وكان عظمها عليها السلام تكمن فقط في كونها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأن مسألة فدك مسألة تاريخية ينبغي أن لا نتحدث عنها، فماذا يبقى لنا لنفهم موقع الصديقة الكبرى عليها السلام أو دورها . . إن ما ينبغي التأكيد عليه هنا . . هو عدم صوابية هذه الطريقة في البحث . . أما أولاً فلأننا استبعدنا كل مواد البحث عبر التحييد والبت والاجتزاء والرفض دون دليل .

وأما ثانياً: فلأن هذا التساؤل يستبطن حصر «الدور» بالمألوف من الأدوار بحسب المقاييس المادية، علماً بأن حمل نبي مثلاً لرسالة إلهية يكشف في حد ذاته عن دور فريد حتى إذا لم يستجب له ولو فرد واحد . . ولقد كان نبي الله عيسى على نبينا وآله وعليه السلام نبياً في المهد ﴿وجعلني نبياً﴾ فهو صاحب دور مميز . . قبل أن يقوم به . . وبمعزل عن القيام به . .

(١) أشير هنا إلى أن في خطبة الصديقة الكبرى عليها السلام ما يدل على أنه لم يكن للمصطفى الحبيب بنت غير الزهراء عليها السلام وإن تعزوه تجدوه أبي دون نسائكم . . هذه الفقرة شديدة الأهمية . . فهي دليل غير عادي ينبغي الوقوف عندها، ودلالاتها أبعد بكثير مما قد يتراءى .

تعالوا لنرى وبهدوء وبروح علمية . . كيف نفهم موقف الصديقة الكبرى؟ . .  
فنسأل ما هو دورها؟! تعالوا أولاً لنفهم ما حصل وكيف كان الوضع، وما الذي  
ترتب على موقف الصديقة الكبرى عليها السلام.

إن وجود الإسلام المحمدي الأصيل اليوم وبقاءه عبر الأجيال رهن موقف  
الصديقة الكبرى عليها السلام، لنتبه إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن باستطاعته  
أن يبادر، كان مأموراً بالصبر لأن المصلحة كانت تقتضي ذلك حتى لا تعلن الردة  
المستبطنة أو يقتل أمير المؤمنين والنتيجة متقاربة . . إن لم تكن واحدة . . . ولو أنه  
تصدى للقوم . . لعملوا كل ما في وسعهم لقتله ونجد تصريحاً له بذلك . .

في «شرح النهج» لابن أبي الحديد يقول: سئل علي عليه السلام لو كان  
لرسول الله ﷺ ولد أنست منه قريش الرشد فهل كانت تدفع إليه الخلافة؟

قال عليه السلام: كانوا يقتلونهم إلا أن يفعل ما فعلت . . . الوضع الذي كان  
مسيطرأ هو هذا الوضع . . لم ندرك بعد ورغم القرون الحجم الحقيقي لأحقاد بدر  
وخبير وحنين وغيرهم، ولقد أجاد بعضهم حين قال ما خلاصته: في صفيين عندما  
أشرف علي عليه السلام على الانتصار كان سيضع حداً للانحراف . . . فجأة نجد أنه  
تحول من قائد جيش إلى محاصر من جيشه، لقد تصاعدت وارتفعت وتيرة الحقد  
عليه لأنهم رأوا أنه إذا سيطر على معاوية وتُئيت له الوسادة فماذا سيفعل بقريش  
وغير قريش، هذا بعض مظاهر حقد القوم على علي عليه السلام لم يكن «سلام الله  
عليه» قادراً على التصدي، كان ممنوعاً من التصدي، إذاً من للإسلام والقرآن . .  
من لتسجيل الموقف الإلهي المصيري الذي يحفظ الله تعالى به ذروة رسالاته؟ . .  
من يحفظ جهود الأنبياء جميعاً . . لولا الصديقة الكبرى عليها صلوات الرحمن لما  
كان باستطاعة مسلم أن يدرك الحقيقة، أريد أن أقول أكثر من ذلك إن موقف  
الصديقة الكبرى بعث الروح في كل الأدلة على ولاية أمير المؤمنين «سلام الله  
عليه»، بين أيدينا الآن ما كتبه العلماء عبر القرون كان بالإمكان أن يطمس نص  
الغدير رغم شدة وضوحه . . بل وجميع النصوص الأخرى على الإمامة لو لم  
يتضح كيف تصرف القوم مع ودیعة المصطفى ﷺ في أمته . . ، فأصبح بالإمكان  
أن يتنبه صاحب الضمير الحي إلى خطورة ما جرى، شرّق في قراءة نصوص

الإمامة والولاية أو عُرب . . . ستجد أنك مشدود إلى النقطة المركزية . . . لتنتقل منها في فهم هذه النصوص ألا وهي موقف الصديقة الكبرى . . .

جميع مواقف رسول الله ﷺ كان بالإمكان أن تطمس، جميع تصريحات عليّ ﷺ في الخطبة الشقشقية التي جاءت بعد الخطبة الفاطمية بربع قرن كان بالإمكان أن تطمس، أمر واحد لم يستطيعوا طمسه، أن الصديقة الكبرى بنت رسول الله ﷺ التي ليست طرفاً في الحرب والنزاع العسكري سجلت هذا الموقف، وينبغي أن نتنبّه هنا إلى أن مكانة الصديقة الكبرى في قلوب المسلمين جميعاً تكشف عن الدور العظيم الذي كان لها في حياة رسول الله ﷺ.

نعم لعمرك أيها الحبيب . . . كان بالإمكان أن تطمس جميع تأكيدات رسول الله ﷺ . . . وجميع تصريحات عليّ ﷺ . . . إلا أن الصديقة الكبرى التي لم تكن طرفاً في الصراع العسكري مع جيش الانقلاب على الأعقاب سجلت هذا الموقف صادرة فيه من عظيم رصيدها المعنوي لدى الأمة . . . ذلك الرصيد الهائل الذي فرض على القوم أن يعمدوا رغم كل المظالم التي أنزلوها بها . . . إلى التراجع و التظاهر بطلب رضاها .

لم يستغرق قتل أمير المؤمنين لعمر بن ود العامري من الوقت إلا أقل مما استغرقته الخطبة الفاطمية في المسجد النبوي، ومع ذلك فهي بنص من كلامه وحي تعدل عبادة الثقلين أو فضل منها . . . ونظّل أسرى ارتهان عظمة الموقف لطول المدة وغيره من التسطريحات!!

وإذا جئنا إلى خصوصيات موقف الصديقة الكبرى ﷺ نجد أنها كما أشرت في خطبتها في حديث آخر قد أعلنت الحرب على من؟! . . . علي شيوخ المهاجرين والأنصار «وهي على علم بالخذلة التي خامرتهم» لكنها تعلن الحرب، ويكفي في إعلان الحرب . هذا أن يكون مقياساً للأجيال لتخوض هي غمار هذه الحرب في ميادين البحث عن الحقيقة المحمدية . . . وهاهي الأجيال تأتمر رغم خذلان من خاطبتهم الصديقة الكبرى وهي تعلم أنهم لا يأترون .

تقول الصديقة في خطبتها: «ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدوكم أول مرة أتخشوهم، فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ألا

قد أرى أن قد أخذتم إلى الخفض وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغنيّ حميد» .

أي دور يمكن أن يكون أعظم من هذا الدور؟ لنفترض أن شخصاً قام بانقلاب ويريد أن يقضي على ثورة عظيمة جداً وجاء شخصٌ آخر وأبطل مفعول هذا الانقلاب . . أولاً يكون هذا الشخص قد قام بدورٍ عظيم . . لقد أبطلت الصديقة الكبرى عليها السلام مفعول أخطر انقلاب في تاريخ البشرية ولولا ذلك لاستحكمت الفتنة وخيم الظلام .

ولما كان بالإمكان الوصول إلى الحقيقة الإسلامية الواضحة . . والإسلام المحمدي الأصيل . . وفي هذا السياق لا بدّ من الوقوف طويلاً عند بكائها عليها السلام على المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله ، فقد كانت الصديقة الكبرى عليها السلام تجسّد قيادة «المعارضة» آنذاك . . وبالإضافة إلى أن بكاءها هو تفجع طبيعي لفقد الأب وخير خلق الله تعالى، إلا أنه كان في نفس الوقت موقفاً يهزُّ أركان نظام الانقلابيين على الأعقاب، لذلك لا يجوز أن نحجم أثر هذا البكاء فتستبعد عقولنا المحدودة أن يكون ما ورد حوله صحيحاً، معتمدين في ذلك على «تحليلات» باهتة . . من قبيل: وهل يعقل أن يرتفع صوت الصديقة بالبكاء ليتأذى الآخرون من بكائها . .

ومن قال إن الأمر كان كذلك . . إلا العقول السقيمة والأفهام المعوجة التي افتعلت مشكلة وتورطت فيها . . فصارت تخبط خبط عشواء . .

لا يمكن فهم ملابسات بكاء الصديقة الكبرى عليها السلام بمعزل عن العناصر التالية :

١ - أن الصديقة كانت تقود حركة المعارضة ضد الانقلابيين على الأعقاب .

٢ - ورصيدها في نفوس المسلمين كبير جداً .

٣ - كان احتشاد النساء في بيتها أمراً طبيعياً بسبب الفجعية بالمصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله . . ومن الطبيعي أيضاً أن يزداد في ظل أجواء الظلمات التي حلت بها من القوم .

٤ - كانت الصّديقة الكبرى تطرح ظلامتها في تلك المجالس، لاحظ خطبتها في مجلس نساء الأنصار «أصبحت عاتفة لدياكن».

وتعني هذه العناصر بكل جلاء أن مجلس الصّديقة . . كان تجمّع المعارضة التي تقودها قرة عين الرسول وروحه التي بين جنبيه . . الأمر الذي جعل هذا المجلس - التجمع - بل التظاهرة يقضّ مضاجع «المستولين» فلا شيء يقلق «الانقلابي» كتجمهر الناس حول قيادة معارضة تمتلك عميق المصداقية والقداسة في النفوس . . . وحيث أن بكاء الصّديقة الكبرى كان يبكي الحاضرين - كما حصل في المسجد أثناء خطبتها - مع إضافة عنصر أن بكاء النساء من نوع آخر . . وتفجعها بينهن يختلف جذرياً عن تفجعها المكتوم في المسجد . . لذلك رأى القوم أن استمرار هذا المجلس التظاهرة يُنذر بأسوأ العواقب فتذرعوا بالضجة التي ترافق التجمع الحاشد والبكاء المتفجع ليتخلصوا من عبء سياسي ثقيل كان يضيق الخناق عليهم . . .

لا تراني اتخذت لا وعلاها بعد بيت الأحزان بيت سرور  
الحجاب الرابع: من الحجب التي تحول عادة بيننا وبين معرفة عظمة الصّديقة الكبرى وفراة ما قامت به لحفظ الإسلام . . . عدم فهم أبعاد وصيتها بأن تدفن ليلاً . . حتى لا يشارك القوم في تشييعها . . فقد يفهم ذلك باعتباره مجرد تسجيل موقف معارض آلي ينطلق من ردة الفعل . . تماماً كما يوصي من يكره شخصاً بعدم السماح له بالمشاركة في تشييعه . . أو الصلاة عليه . . والحقيقة التي لا لبس فيها على الإطلاق أن من أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً التي يرضى لرضاها ويغضب لغضبها منزّهة ساحة قدسها عن المواقف المرتجلة والآنية وردّات الفعل . .

ولنفترض أن القوم شاركوا في تشييعها أو صلى أحدهم عليها والعياذ بالله . . فماذا كان يبقى للأجيال حين تريد استكشاف الحقيقة . . .

ألم يكن ذلك وحده لو حصل كفيلاً بطمس كل معالم معارضتها . . والقضاء بالتالي على الموقف الأبرز الذي يوجه المنصف إلى البحث بجديّة أكثر في جميع الأدلة على الإسلام المحمدي الأصيل، إن عدم السماح للقوم بتغطية «انقلابهم» موقف ريادي يجب أن تخشع في محرابه كل القلوب الموحدة عبر القرون . . .

وما تزال تداعياته . . . وستبقى حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، إنه حكم الله تعالى في حق القوم من فوق سبع سماوات . . . وهو عين إرادته عز وجل التي قضت بحفظ دينه من التحريف والتزييف .

يكفي الآن . . . وفي أي وقت أن يسأل المسلم نفسه : طالما أن رسول الله ﷺ أوصى بالصديقة الكبرى . . . إلى هذا الحد . . . فلماذا دفت ليلاً . . . «وهي غاضبة عليهما» هذا السؤال وحده يجعله يعيد النظر في كل شيء . . . وهو ما أرادت الصديقة الكبرى إيصاله إلى الأمة . . . وإيصال الأمة إليه «بأبي أنتم وأمي وأهلي وولدي ومالي وأسرتي من أراد الله بدأ بكم» .

الحجاب الخامس : عدم فهم حقيقة مطالبة الصديقة الكبرى بفدك . . . الأمر الذي قد يتيح للشيطان أن ينفث في قلب هذا أو ذاك أو على اللسان . . . ولماذا نقحم أنفسنا في خلاف عقاري وقع بين طرفين قبل قرون؟!!

وحيث أنه يجري عادة تسليط الضوء على حقيقة مسألة «فدك» فإنني أكتفي هنا ببعض الإشارات :

أولاً: تعني «فدك» من وجهة نظر الصديقة الكبرى وأهل البيت عموماً شأن الخلافة الإسلامية والوصاية . . . والولاية . . . وفي حديث الإمام الكاظم عليه السلام مع هارون المسمى بالرشيد حول أن حدود فدك هي حدود العالم الإسلامي خير دليل على ذلك .

ويؤكد قول أمير المؤمنين عليه السلام : «وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غدٍ جدث» . . . فلم تكن المسألة في إطار استحصال قطعة أرض . . . وحسب . . .

ثانياً: قال ابن أبي الحديد في «شرح النهج» :

«قال لي علوي في «الحلة» يعرف بعلي بن مهنا ذكي ذو فضائل : ما تظن فصد أبي بكر وعمر بمنع فاطمة فدك؟

قلت : ما قصدا؟ قال : أرادا ألا يظهر لعلي وقد اغتصباه الخلافة رقة وليناً، ولا يرى عندهما خوراً فأتبعاً القرح بالقرح .

أضاف:

وقلت لمتكلم من متكلمي الإمامية يعرف بعلي بن تقي من بلدة «النيل»: وهل كانت فدك إلاً نخلاً يسيراً وعقاراً ليس بذلك الخطير؟

فقال لي: ليس الأمر كذلك بل كانت جليلة جداً وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل، وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلاً ألا يتقوى علي بحاصلها وغلتها على المنازعة في الخلافة ولهذا اتبعا ذلك بمنع فاطمة وعلي وسائر بني هاشم وبني المطلب حقهم في الخمس، فإن الفقير الذي لا مال له تضعف همته ويتصاغر عند نفسه، ويكون مشغولاً بالاحتراف والاكتساب عن طلب الملك والرياسة<sup>(١)</sup>.

الحجاب السادس: ملحق خطبة الصديقة الكبرى عليها السلام في المسجد الذي روي أنها خاطبت به أمير المؤمنين عليه السلام بعد رجوعها من المسجد وهو يتضمن «توبيخاً»!!! لأمير المؤمنين عليه صلوات الرحمن خصوصاً هذه العبارات «اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل، فخانك ريش الأعزل (. . .) أضرعت خدك يوم أضعت حدك، افترست الذنات وافترشت التراب، ما كفتت قائلاً ولا أغنيت باطلاً (. . .) عذيري الله منك عادياً ومنك حامياً. . .!!».

وهي عبارات لا يمكن بأي وجه من الوجوه إطلاقاً الموافقة على تفسيرها المتداول الذي يجعل أمير المؤمنين عليهما صلوات الرحمن في موقع من يتحمل مسؤولية التقصير في نصرتها عليها السلام . . . حيث أن ذلك لا ينسجم مع عصمتها عليها السلام، فإذا كان الأمير عليه السلام مخطئاً في موقفه بطلت عصمته . . . وإذا كانت هي مخطئة في لومه وتقريعه بطلت عصمتها . . . كما أنه لا ينسجم مع وصف الصديقة لأمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة نفسها، وهو وصف يفوق أي مديح ويكشف عن قناعتها بصوابية أي موقف يتخذه حيث تقول: «كلما أوقدوا

---

(١) شرح النهج ١٦/ ٢٣٤. وبديهي أن الفقرات الأخيرة لا تنطبق على المولى عليه صلوات الرحمن.

ناراً للحرب أطفأها الله أو نجم قرن للشيطان وفغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفى حتى يطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهبها بسيفه مكدوداً في ذات الله مجتهداً في أمر الله قريباً من رسول الله ﷺ سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجدداً كادحاً...» .

ورغم أن القول الفصل في شأن هذا «الملحق؟» بحاجة إلى بسط القول والتحقيق... وأكتفي هنا بتسجيل ما يقوى في النفس من أن بعض فقراته حلقة من مسلسل تكشفنا الكثير من فصوله يهدف إلى «إثبات» أن علياً ﷺ، أيضاً قد أذى الصديقة الكبرى وعليه فإن إيذاء القوم لها لا يستوجب الكفر أو الأذى لله ورسوله!!

أراد وعاظين السلاطين من هذه الفقرات وأمثالها وبثها في مطاوي «السيرة» الوصول معهم إلى «تسوية» تحملنا على عدم الإصرار على تظهير النصوص التي تضمنت الحديث عن عقاب من أذى الصديقة وأغضبها، وتندرج في هذا المسلسل افتراءات جملة من قبيل ما وضعوا من نية أمير المؤمنين أن يتزوج بنت أبي جهل! في حياة المصطفى الحبيب ﷺ وكلام المصطفى على المنبر حول ذلك أو شكاية الزهراء المرتضى لأبيها صلوات الله عليهم وآلهم... وغير ذلك... إلا أن جميع ما وضعوا لا يرقى تأثيره إلى مستوى «الإلحاق؟» بخطبة الصديقة الكبرى التي تشكل الوثيقة التاريخية الأخطر «ما يطل» مفعولها... حيث أنه يجعل الخطبة ذات شقين، شق موجه إلى القوم والآخر موجه إلى أمير المؤمنين ﷺ!!!

ويغلب على الظن أن هذا الوضع المحترف وأمثاله من إنتاج الجاحظ وأضرابه... وعسى أن يوفق الله تعالى لبحث هذا الأمر وتقديم الأدلة عليه.

يتلخص مما تقدم أن الحجب التي تحول دون آداب ولاية الصديقة الكبرى ﷺ ستة هي دون مراعاة التسلسل كما يلي:

أولاً: شطب الروايات المستغربة دون إخضاعها للبحث العلمي.

ثانياً: الجهل بحقيقة المطالبة بفدك.

ثالثاً: الجهل بعظمة موقفها بعد المصطفى الحبيب في المسجد النبوي.

رابعاً: الجهل بحقيقة دلالات ما اصطلح عليه «بالبكاء» و«بيت الأحران».

خامساً: الجهل بدلالات الدفن ليلاً.

سادساً: الفهم الخاطيء للنص الذي يورد عادة في ختام الخطبة. . مع أنه منفصل عنها تماماً.

سابعاً: وقد اتضح من مطاوي ما سبق الفهم الخاطيء لمبدأ الوحدة الإسلامية المقدس، وهو إذ يشكل حجاباً مستقلاً من خلال حمل البعض على تجاوز الوقوف على عتبة تلك الفترة الحرجة من عمر الإسلام. . بهدف الوصول إلى الحقيقة. . فإنه بالإضافة إلى ذلك أخطر من جميع الحجب المتقدمة حيث يفسح في المجال أمام تكثيفها جميعاً كما هو واضح.

والحمد لله رب العالمين.

## (II)

### آداب ولايتها ﷺ .. وأخطر الحُجُب (١) ..

\* تمهيد .

\* مدى حضور العقل والقلب معاً في معرفتها ﷺ .

\* أهم عوامل الجهل بعظمتها ﷺ .

\* أشدها خطراً . . اثنان . .

\* نظرة متأنية في الموقف الفاطمي الفريد . .

\* تحقيق حول ملحق الخطبة . .

---

(١) أعدّ هذا الموضوع تكثيفاً لبعض المفاصل التي تم تناولها . . واستكمالاً لما ورد في آخر الحديث السابق وليس من عداد الدروس . . فليلاحظ .



## ( ١١ )

تتحكم الصورة الذهنية عن أي شخص بالموقف منه إيجاباً وسلباً . . . على هذا الأساس ينبغي طرح هذا السؤال: ما هي الصورة في أذهاننا - عادة - عن الصديقة الكبرى وعظمة شخصيتها الإلهية الفريدة؟

قد يحلو للكثير منا أن يلجأ في الجواب على السؤال إلى «العقائد» فيستحضر عصمتها والآيات الخاصة بها . . . أو العامة . . . والأحاديث القدسية . . . والروايات . . . وجميع ذلك حق لا ريب فيه . . . إلا أن موضوع السؤال شيء آخر؟ إنه بعبارة ثانية: كم من هذه النصوص استطاع أن يصل من العقل إلى القلب ليتفاعل القلب معه ويستخلص صفوته فيجلبها حيث تستحق من الدائرة التي تتحكم بالوجدان والمشاعر والأحاسيس؟

تارة يكون السؤال ما هي عقيدتك بالصديقة الكبرى . . . وطوراً يكون: ما هي معرفتك بها؟

وقد تكون العقيدة محض انسجام مع الدليل والحجة . . . والتسليم العقلي لهما، تسليم الجاهل بما هو أبعد من كل آفاقه، ثقة بالمقدمات واعتماداً عليها، أما المعرفة الفاعلة المحركة المعبر عنها هنا بالصورة الذهنية بما هي ثمرة تفاعل القلب مع ما عقد عليه من نتاج العقل . . . فهي شيء آخر غير الأعتقاد المقنون الممكن بالبرهان وضوابطه الحديدية الجافة.

ليست المعرفة التي يلمح إليها السؤال شيئاً من هذا . . . وهي في الوقت ذاته هذا كله وزيادة . . . تماماً كما أن الرحيق . . . والشذا المتضوع . . . ليس الزهر بتموجاته . . . وهو كله وبامتياز . . .

لا تنافي بين حركة العقل في المعرفة . . . وحركة القلب . . . بل يقع التنافي حين يتخذ كل منهما مسرباً له وسبيلاً بمعزل عن الآخر . . . إنهما معاً . . . إنسانية الإنسان وفطرته الصافية . . . وجوهره النقي . . .

يريد لنا السؤال أن يعرف كل مَنّا مدى حضور عقله وقلبه معاً في باب معرفة الصّديقة الكبرى . . «وعلى معرفتها دارت القرون الأولى» . . والأخيرة . .

ولدى الدخول في تفاصيل السؤال يجد كل فردٍ نفسه أمام التساؤلات التالية :

- هل «أعرف» شيئاً عن نور الزهراء قبل أن يخلق الله تعالى الخلق؟

أكرر أن السؤال ليس عن «الاعتقاد» . .

- هل «أعرف» حقاً . . أن عظمتها لا تكمن على الإطلاق في مجرد أنها بنت

رسول الله ﷺ؟ .

- هل «أعرف» شيئاً عن موقعها في منظومة المعصومين . . إن مجرد وجود

رأي لفريق كبير من كبار العلماء يستند إلى روايات كثيرة . . حول أنها أفضل من

جميع الأنبياء باستثناء المصطفى الحبيب وهي «روحه التي بين جنبيه» كافٍ في

إلحاح السؤال : هل تنسجم معرفتي لها مع عظمتها، حتى مع قطع النظر عن الرأي

الحاسم في ذلك؟

- هل «أعرف» أن هذه الشخصية الإلهية النبوية الفريدة هي التي أراد الله

تعالى أن يبطل على يديها مفعول أخطر ثورة مضادة لثمرة خط النبوات وخاتمة

الرسالات، الأمر الذي يكشف جانباً من معنى الحديث القدسي : «ولولا فاطمة ما

خلقتكما» الذي نحسن فهمه إذا جعلناه وقوله تعالى : ﴿وإن لم تفعل فما بلغت

رسالته﴾ بمعنى واحد لدى التحقيق . . وإمعان النظر . .

والنتيجة : هل يخشع القلب في محراب عظمة الصّديقة الكبرى فيفقه بعض

دلالات أنها من المعدن المحمدي والحقيقة المحمدية ﷺ دون أن تدخل الأبوة

والبنوة - على عظمتها - في الحساب؟

وأنها من حيث الموقع و«الدور» . . في حفظ دين الله تعالى وهو خط العقل

والإنسانية السواء تضاهاى الأنبياء والأولياء . . على أقل تقدير . . بل تفوق

أكثرهم . .

حقاً . . ما هي الصورة في ذهني وذهنك عن الصّديقة الكبرى عليها صلوات

الرحمن .

لتوضيح بعض الخصوصيات التي تضعنا في بداية الطريق . . لنصل - إن سلكناه - إلى التدرج في التعرف على مكان العظمة الفاطمية المستمدة من التبتل وهو الانقطاع إلى الله تعالى . . يجدر الوقوف على عتبة قرعة عين المصطفى الحبيب . . نحفي بابها السؤال ونستخبره الحال .

والهدف بالتحديد، أن ندرك أي منحدر صعب ننحدر حين تكون الصورة الذهنية المتحكمة بآداب ولايتنا للزهراء عليها السلام . . أوهى من بيت العنكبوت تتلخص في أننا أمام مثقفة مؤمنة صابرة منحت أباها العطف والحنان . . ورضيت بعلي - رغم فقره - وارتجلت خطبة تُعجز البلغاء . . وتكشف عن مدى الحضور والوعي المميزين ! .

إن هذه الصورة المشوشة المغلوطة . . نتيجة طبيعية لعوامل تضافرت لتوصلنا إلى هذا المنحدر، ويمكن تلخيص هذه العوامل بالتالي :

أ - الإعراض التام أو النسبي عن الروايات «الغيبية» حول عظمتها عليها السلام كروايات النور، وروايات التزويج بأمر الله تعالى، وحفل الزفاف في السماء، وكراماتها من قبيل «الجفنة» و«التمر بلا نوى» وغير ذلك .

ب - الوقوع في أسر ربط العظمة بالموقع «الديني» وإن كان دينياً . . أي بموقع السلطة الظاهرية حتى إذا كانت ناتجة باستحقاق عن سلطة إلهية باطنية . . الأمر الذي يتحكم - ولو عبر اللاوعي - بالصورة الذهنية التي ترسم عن الشخص . . فيترأى لنا خطأ أن الصديقة عليها السلام لا تأتي في مرتبة المعصومين الأنبياء والأئمة الذين أحلهم الله تعالى هذا الموقع بما له من سلطة ظاهرية بقطع النظر عن القدرة على أعمالها وعدمه . .

ومن الواضح لدى التأمل أن الموقع الإلهي لا يرتبط بالسلطة الظاهرية بالفعل أو بالقوة فقد كان نبي الله موسى على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام نبياً وأمره الله تعالى أن يتلمذ على يد عبد صالح آتاه الله تعالى من لدنه علماً . . ولم يكن نبياً . . أو لم تثبت نبوته، فقد يكون صاحب الموقع والمنصب الديني ذي الأبعاد الدنيوية أفضل خلق الله تعالى كما هو الأمر بالنسبة لرسول الله ﷺ وقد يكون صاحب الموقع والمنصب دون غيره ممن ثبتت لهم خصوصية إلهية، وأقل

مرتبة . . وليس المراد دون غيره على الإطلاق ليستلزم ذلك جواز تقديم المفضول على الفاضل . . فالحديث هنا حول أن الأفضلية لا ترتبط بالبعد الظاهري من الموقع الإلهي . . كالسلطة مثلاً . .

بناءً على هذا . . إن كون الصديقة الكبرى عَلَيْهَا السَّلَامُ معصومة من المعصومين الأربعة عشر . . وعدم كونها إماماً أو نبياً لا ينبغي أن يوحي للوعي فينا أو اللاوعي بظلال سلبية تترك أثرها في الصورة التي ترسم في الذهن لتشكّل مفتاح العلاقة بها . . ورمز آداب الولاية تجاهها . .

ج - تحكم الرواسب الجاهلية والعادات والتقاليد حول النظرة إلى المرأة في دائرة الوعي . . واللاوعي والثاني أكثر شيوعاً، مما يحول دون تبلور ثقافة إسلامية حقيقية تعترف للمرأة بجدارة تبوء أسمى المراتب الإيمانية . . فالإسلام يخاطب الإنسان . . لا فرق في ذلك بين المرأة والرجل . . . واختلاف الوظيفة لا يعني إطلاقاً اختلاف المنزلة الإيمانية التي يمكن الوصول إليها . .

على هذا الأساس فإن مصطلح «سيدة نساء العالمين» يزخر عندما نطلقه - عادة - بهذه الرواسب . . الأمر الذي يقصر بنا عن التفاعل مع آفاق دلالاته الرحبية . . ولا شك أن هذا العامل يتفاعل تلقائياً مع سابقه . . فيزداد اللبس ويشد الإبهام .

د - انتشار خلل إنزال المعصومين في غير مرتبتهم التي رتبهم الله تعالى فيها . . ليصل الأمر في التعاطي مع المعصوم إلى حد وكأنه «عالم بامتياز» كما تقدم في بعض الأحاديث السابقة . . وهو ما يترك أثره البعيد على النظرة إلى الصديقة الكبرى ومعرفتها عَلَيْهَا السَّلَامُ . . فإذا كانت النظرة إلى المعصوم الرجل هي هذه فكيف هي إذا بالنسبة إلى المرأة المعصومة . . في ظل الرواسب المشار إليها .

هـ - انتشار الجهل بعظمة موقفها الإلهي النبوي بعد وفاة رسول الله ﷺ . . وبعيد آثاره المركزية والجذرية في حفظ الإسلام واستمراره، مع إمكان التمييز بوضوح بين الإسلام المحمدي الأصيل والإسلام المفتري . . ومن مظاهر انتشار هذا الجهل :

أ - الإصرار على تسمية خطبتها في المسجد النبوي . . بالخطبة الفدكية . .

وكأن الدافع في الخطبة «عقاري»! ولئن كانت التقية تبرر ذلك سابقاً، فما هو مبرره الآن؟

ب - تفسير كلامها الموجه إلى أمير المؤمنين عليه السلام الذي يدرج عادة في ختام الخطبة بما يوحي بأنها - والعياذ بالله - من أجل هذا العقار «تجاوزت حدودها» مع علي عليه السلام، الأمر الذي يترك ظلاله السيئة جداً على موقفها في المسجد فيعزز في الأذهان الاحتمال «العقاري» المتقدم.. كما يترك ظلاله السيئة جداً حتى على موقع المرتضى والصديقه عليها السلام في النفس وصورتها في الذهن، فإذا أضفنا إلى ذلك خطورة التفسير الخاطيء لبشرية المعصوم.. أصبحت الظلال السيئة المذكورة.. أشد وضوحاً..

ج - تجنب الحديث عن ظلامتها عليها السلام، إما بحجة أن هذه الأبحاث تاريخية ولم تعد ملحة، أو من منطلق التشكيك.. أو انسياقاً مع فهم خاطيء لمفهوم الوحدة الإسلامية، أو تحت تأثير ذلك كله.. علماً بأن ما يرتبط بحركة المعصوم في التبليغ لا يمكن إلا أن يكون في متن الاهتمام.. وكما تقدم.. كيف يعقل أن تكون ناقة صالح ناقة الله تعالى ولا يكون باب فاطمة باب الله عز وجل؟

وبهذا يظهر مدى التجني المتمثل في التشكيك.

ثم إن الوحدة الإسلامية - كما أسلفت مراراً بالتفصيل - لا يمكن أن تقوم على التحريف.. إن من أولى واجباتنا الشرعية حفظ الوحدة بين المسلمين جميعاً.. إلا أن هذا لا ينافي البحث العلمي الذي يحرص على إبقاء الأمور في دائرة البحث والتحقيق.. وإذا كان ثمة من يثير حفيظته البحث العلمي، وحرية التعبير الملتزم فتلك هي مشكلته التي يجب أن يبحث لها عن حل..

وهذا العامل «انتشار الجهل بعظمة موقفها» بعد وفاة المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله هو الأخطر من بين كل الحجب التي تحول دون القيام بواجب آداب ولاية الصديقة الكبرى عليها السلام.

لذلك ستكون الوقفة معه بشيء من التفصيل.. إن شاء الله تعالى وذلك ضمن المحورين التاليين:

١ - انتقال السلطة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢ - ما ورد من كلام الصديقة الكبرى الموجه إلى أمير المؤمنين عليه السلام،

## المحور الأول:

يجب على كل مسلم أن يطيل التأمل بما جرى بعد رسول الله ﷺ . .  
انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾ [آل عمران: ١٤٤].

حيث أن هذه الآية المباركة تتحدث عن وقوع انقلاب على الأعقاب بعد فقد سيد النبيين ﷺ، ولئن شكك أحد بدلالة صيغة الاستفهام على الوقوع . . فلا مجال للتشكيك بصيغة الخبر على ذلك . . علماً بأن صدر الآية يشير إلى ما روي بطرق المسلمين جميعاً عن وقوع هذه الأمة في ما وقعت فيه الأمم السابقة . . فكيف تم انتقال السلطة بعد المصطفى الحبيب . . وهل وقع انقلاب على الأعقاب أم لا؟

التصور الأولي الأكثر شيوعاً هو أن عملية انتقال السلطة تمت بمنتهى اليسر . . وبإجماع الصحابة ما خلا عددٍ قليل جداً منهم؟

فأين الانقلاب على الأعقاب إذاً؟

والحقيقة أن الأمر يختلف جذرياً عن هذا التسطيح للأحداث . .

ولئن كانت السلطات المتعاقبة قد أسهمت في طمس معالم الانقلاب المدوي . . فإن ما أسهم في تحقيق ذلك أمران:

الأول: أن الانقلاب لم يتلون بلون الدم . . فلم يقتل أحد سوى ما روي عن مقتل سعد بن عباد بعد مدة بسهام شعراء من الجن!

والثاني: إسهام الكثيرين منا في طمس معالم عظمة موقف الصديقة الكبرى ﷺ وبعيد آثاره عبر الأجيال . . فما تزال تفاعلاته قائمة . . رغم أن التعتيم عليه ما يزال هو الآخر قائماً .

ولا تنجلي صورة ما حدث بعد وفاة رسول الله ﷺ إلا بملاحظة العناصر التالية:

أ - التأكيد المستمر من رسول الله ﷺ على إمامة علي عليه السلام وأنه الخليفة

من بعده بدءاً من نزول ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ إلى حديث الدواة والكتف . .  
على فراش الرحيل إلى الملاء الأعلى .

ب - أمره ﷺ بتجهيز جيش أسامة تمهيداً للانتقال المطلوب للسلطة . .

ج - إعداد الانقلابيين على الأعقاب العدة . . وأهم مفرداتها ملاء شوارع  
المدينة وسككها بالقوات الموالية للانقلاب ومن قبيلة «أسلم» بشكل خاص . .  
وهو ما يعني احتلال المدينة المنورة عسكرياً وبشكل سري مدروس . . تمهيداً  
لساعة الصفر . . فإذا استدعى الأمر التدخل . . فالقوات جاهزة . . ومن المهم جداً  
التأمل في هذا المجال في النصوص التالية :

يروى الطبري : «أن «أسلم» أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك (أي  
ملاءوا الشوارع والأزقة) فبايعوا أبا بكر، فكان عمر يقول: ما هو إلا أن رأيت  
«أسلم» فأيقنت بالنصر»<sup>(١)</sup> .

ويتحدث ابن الأثير عن ذلك بأسلوب آخر فيقول : «وجاءت أسلم،  
فبايعت، فقوي بهم أبو بكر . . وبايع الناس بعد»<sup>(٢)</sup> ويدلنا على موقف «أسلم»  
المتبني لانتقال خاص للسلطة ما تقدم من قول عمر: ما هو إلا أن رأيت «أسلم»  
فأيقنت بالنصر»<sup>(٣)</sup> .

كان الوضع في المدينة عشية وفاة المصطفى ﷺ كما يلي :

١ - قوات «أسلم» تملأ الشوارع والسكك (الأزقة!)، تنفيذاً لأمر دُبِّرَ مع  
«المهاجرين» بليل .

٢ - الأنصار خائفون . . يحاولون أن تكون الخلافة لهم . . خوفاً من انتقام

---

(١) المحقق الأستاذ علي الشاوي، الإمام الحسين في المدينة المنورة، ص ٨٨ نقلاً عن  
الطبري ٤٥٩/٢؛ وفي نسخة من «برنامج مكتبة التاريخ والحضارة»، الطبري ٤٥٨/٢،  
٤٥٩؛ وفي نسخة أخرى: الطبري ٢٤٤/٢ .

(٢) المصدر، نقلاً عن الكامل لابن الأثير ٣٣١/٢ . وفي برنامج «الكامل» إصدار «سما» ٢/  
١٩٤ .

(٣) المصدر، نقلاً عن الطبري ٤٥٩/٢، وفي «برنامج مكتبة التاريخ والحضارة» ٢٤٤/٢ .

قريش منهم لمواقفهم في نصرة رسول الله ﷺ . . وهو ما حصل فعلاً في وقعة الحرة كما ينقل ابن أبي الحديد عن أبي جعفر يحيى بن جعفر العلوي .

٣ - التنافس بين الأوس والخزرج ثغرة تؤدي إذا أحسنت الاستفادة منها إلى أن تكون الخلافة في غيرهم . . ولقد كان أول من بايع بشير بن سعد<sup>(١)</sup> من الأوس حذراً من أن تصير الخلافة إلى سعد بن عباد من الخزرج . . ولذلك قال الحباب بن المنذر لبشير حين رآه يبايع أبا بكر: «والله ما أخطرك إلى هذا الأمر إلا الحسد لابن عمك» .

وقد قال أسيد بن حضير رئيس الأوس لأصحابه: والله لئن لم تُبايعوا ليكونن للخزرج عليكم الفضيلة أبداً<sup>(٢)</sup> . .

٤ - كراهية أبناء الطلقاء والمؤلفة قلوبهم وهم عمدة المهاجرين، انتقال السلطة إلى علي عليه السلام .

ومن الواضح أن النتيجة الطبيعية لهذه العناصر التي تشكلت منها صورة الوضع عشية وفاة رسول الله ﷺ ، هي انتقال السلطة إلى المهاجرين من غير بني هاشم . . وذلك إذا تم اغتنام الفرصة . . بأخذ البيعة قبل أن يخرج بنو هاشم من هول الصدمة والانشغال بتجهيز النبي ﷺ .

قال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه:

واغتتم القوم الفرصة لشغل علي بن أبي طالب عليه السلام برسول الله ﷺ وانقطاع بني هاشم عنهم بمصائبهم برسول الله ﷺ فبادروا إلى ولاية الأمر واتفق لأبي بكر ما اتفق لاختلاف الأنصار في ما بينهم وكراهية الطلقاء والمؤلفة قلوبهم من تأخر الأمر حتى يفرغ بنو هاشم فيستقر الأمر مقره، فبايعوا أبا بكر لحضوره

(١) القمي، بيت الأحزان، ص ٥٧، وهو والد النعمان بن بشير والي الكوفة عند دخول الشهيد مسلم بن عقيل إليها .

(٢) شرح النهج، لابن أبي الحديد. وفي بيت الأحزان، للقمي، ص ٥٧ نص آخر متحد معنى مع ما ذكر. وانظر: الطبري ٤٥٨/٢، برنامج المعجم الفقهي، الإصدار الثالث . .

المكان . . وكانت أسباب معروفة تيسر للقوم منها ما راموه وليس هذا الكتاب موضوع ذكرها فنشرح القول فيها على التفصيل»<sup>(١)</sup> .

ورغم أن ما تقدم يدل على أن انتقال السلطة لم يكن هادئاً . . فإن التأمل الدقيق . . والتتبع يقودان بوضوح إلى شديد حراجة الجو الذي تم فيه هذا الانتقال . .

ويسلط المزيد من الضوء على ذلك، ما ذكره الشيخ المفيد في معرض الحديث عن دفن رسول الله ﷺ حيث يقول:

«ولم يحضر دفن رسول الله ﷺ أكثر الناس، لما جرى بين المهاجرين والأنصار من التشاجر في أمر الخلافة و(فات) أكثرهم الصلاة عليه»<sup>(٢)</sup> .

ويكمن السر في ذلك في إشكاليتين يزخر بمصاديقهما تاريخ الاجتماع السياسي وهما: إشكالية النفس البشرية والسلطة، وإشكالية الثورة المضادة الكامنة في صميم أية ثورة . . متربصة بلوغ الثورة ذروة المد وتوفر مناخ بداية الجزر والانحدار . . وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بالانقلاب على الأعقاب وهو تعبير بليغ الدلالة على الانسلاخ من الإسلام والخروج منه أفواجاً . .

هذا عرض مكثف جداً لما كان عليه الوضع عند رحيل المصطفى الحبيب ﷺ .

والسؤال الآن: ماذا كان بالإمكان أن يصنع رسول الله ﷺ؟

والجواب: بمعزل عن القناعة السليمة بأن الحق هو ما فعله المعصوم . . وبقراءة سياسية موضوعية . . منزّهة عن الإسقاطات والمواقف المسبقة . . نجد أنه لم يكن بالإمكان أفضل مما كان . .

كان الإسلام على مفترق طريقين، أحلاهما مُر . .

الأول: زوال الإسلام بإعلان الردة الصريحة وتتبع فلول الأوفياء للإسلام

وقتلهم .

(١) القمي، بيت الأحزان، ص ٥٨ نقلاً عن الإرشاد، للشيخ المفيد. انظر: ١٨٩/١.

(٢) المصدر، ص ٦١ نقلاً عن الإرشاد للشيخ المفيد. انظر: ١٨٩/١.

الثاني: بقاء الإسلام كما بقي . . . مشوبةً حقائقه - باستثناء القرآن الكريم دون تفسيره - بالأباطيل . . . وصحيحه بالسقيم ، والذنابي بالقوادم لتبدأ بعد الانقلاب على الأعقاب مرحلة ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾<sup>(١)</sup> الذين أخلصوا الله تعالى العبودية فتحصنوا من لوثة عَرَضِ الدنيا وحطامها الزائل فلم ينقلبوا مع المنقلبين . . . بل مضوا قدماً في نفس الطريق المحمدي على ما مضى عليه البديون . . .

كانت الردة المستبطنة التي هي الانقلاب على الأعقاب قد بلغت من حيث قوة الاندفاع وتهيؤ المناخ وتضافر العوامل المساعدة ما يجعل انتصارها حتمياً . . . فإذا تحقق ذلك دون الحاجة إلى الجهر بحقيقة الموقف . . . مما يمكنها من توظيف كل زخم الرسالة لصالحها فليكن . . . وإلا فإن المضممر يتحول إلى ظاهر . . . والمستبطن يفصح عن نفسه . . . والروم والفرس جاهزون للتدخل إذا استلزم الأمر . . . فلم يكن الطرفان ينظران بعين الرضا إلى ما جرى في شبه الجزيرة العربية وتحول إلى أمر واقع استعصى معه تدخلهما . . . رغم أن هذه الرقعة الجغرافية الصغيرة (شبه الجزيرة العربية) كانت باستمرار مدىٍّ وجميٍّ لهما على التناوب . . .

من هنا أمرَ علي عليه السلام بالصبر . . . والمرحلة مرحلة العقل بسيفه المغمد لا المصلت المسلول . . .

كان انتضاء السيف يعني الجهر بحقيقة الانقلاب على الأعقاب . . . يحرجهم السيف فيخرجهم . . . وأبى حفظ الله تعالى للذكر إلا أن يفوت الفرصة . . . ولكن لا بد من تسجيل الموقف المحمدي . . . لتكون الأجيال على بينة من أمرها لتستطيع اكتشاف حقيقة ما جرى ولو بعد قرون . . .

وكان لا بد أن يسجل هذا الموقف مَنْ تُجمع الأمة على موقعه الإلهي الخاص، دون أن يؤدي ذلك إلى الدخول في دوامة العنف والاقتيال . . . وكانت الصديقة الكبرى القائد الإلهي المحمدي . . . والمقياس الرباني النبوي لنزع بُرُقع الشرعية المدعاة عن الانقلاب على الأعقاب ليظهر للأجيال على حقيقته . . . تسلاً

(١) حول تفسير الآية بحث علمي هام في تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي رحمه الله تعالى .

(٢) ابن أبي الحديد، شرح النهج ١٦/٢٦٣ .

تحت جنح ظلمات العصبية الجاهلية التي اضطرم أوارها في القلوب الموتورة ضد النبي وأهل بيته عليه وعليهم صلوات الرحمن .

ومشت صلوات الله عليها إلى المسجد بعد عشرة أيام<sup>(١)</sup> من وفاة المصطفى الحبيب . . ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ . . وقالت الكلمة الفصل . . ولم تفرغ من خطبتها التاريخية . . الوثيقة الكبرى . . إلا بتقدمة الحجّة بما لا مزيد عليه . . ولا مقالة بعده لقائل<sup>(٢)</sup> ولم يترك تعتيم الأنظمة . . وظلم ذوي القربى مجالاً لمعرفة ميسرة لحقيقة ما جرى . . إلا أن التاريخ على عبث البلاط به حفظ لنا أن لغطاً دار في المجلس . . وهتافاً تعالى . . لك أن تستنتج بوضوح أنه من قبيل: لا نبايع إلا علياً . . وهذا ما تؤكد المصادر وقوعه يوم السقيفة<sup>(٣)</sup> .

وإليك بعض أجواء نهاية الخطبة:

«فلما سمع أبو بكر خطبتها شق عليه مقالتها فصعد المنبر وقال: أيها الناس ما هذه الرعة إلى كل قالة (أي ما هذا الإصغاء إلى كل مقالة) إلى قوله: إنما هو ثعالة شهيدُهُ ذنبه مُرَبٌ لكل فتنة (أي إنما هو ثعلب شاهده جزء منه، وهو ملازم لكل فتنة أو عامل على زيادتها) يستعينون بالضعفة ويستنصرون بالنساء . .»

ثم التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم ( . . . ) ألا إني لست باسماً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك منا<sup>(٤)</sup> .

قال ابن أبي الحديد: «قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى ( . . . ) البصري وقلت له: بمن يعرض؟»

فقال: بل يصرح . . قلت: لو صرح لم أسألك .

فضحك وقال: بعلي بن أبي طالب .

قلت: هذا الكلام كله لعلي يقوله؟! .

(١) راجع الدرس رقم ٤ حول الخطبة المباركة .

(٢) الطبري ٢/٤٤٣؛ والكامل ٢/٣٢٥ .

(٣) ابن جرير الطبري، دلائل الإمامة، ص ١٢٤ .

(٤) أبو بكر الجوهري (٢٢٣هـ)، السقيفة وفدك (ط ثانية)، بيروت، ١٤١٢هـ .

قال: نعم إنه الملك يا بني . . قلت: فما مقالة الأنصار؟

قال: هتفوا بذكر علي فخاف من اضطراب الأمر عليهم فنهاهم . .»<sup>(١)</sup>.

تجدد هنا الإشارة إلى موقف لافيت لأم المؤمنين أم سلمة التي تتبوا بعد أم المؤمنين خديجة موقعاً فريداً بين أمهات المؤمنين، ولها في موالاته أهل البيت سجل محمدي لا يبارى، فقد روي أنها ما إن سمعت كلام أبي بكر المتقدم هذا حتى (أطلعت رأسها من بابها، وقالت: : ألمثل فاطمة بنت رسول الله يقال هذا، وهي الحوراء بين الإنس، والأنس للنفس، ربيت في حجور الأنبياء، وتداولتها أيدي الملائكة، ونمت في حجور الطاهرات، ونشأت خير منشأ، وربيت خير مربى، أتزعمون أن رسول الله حرم عليها ميراثه ولم يعلمها . . وقد قال الله له: وأنذر عشيرتك الأقربين، أفأنذرنا وجاءت تطلبه وهي خيرة النسوان، وأم ساطة الشبان، وعديلة مريم ابنة عمران، وحليمة ليث الأقران، تمت بأبيها رسالات ربه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر، فيوسدها يمينه، ويلحفها بشماله، وريداً فرسول الله بمرأى لغيكم، وعلى الله تردون، فواها لكم وسوف تعلمون . . فحرمت أم سلمة تلك السنة عطاءها).<sup>(٢)</sup>.

و«خرجت الصديقة الكبرى من المسجد فأتبعها رافع بن رفاعة الزرقي فقال لها: يا سيدة النساء، لو كان أبو الحسن تكلم في هذا الأمر وذكر الناس قبل أن يجري هذا العقد (البيعة) ما عدلنا به أحداً . .

فقلت له بردنها (أي أشارت بطرف كمها): «إليك عني . . فما جعل الله لأحد بعد غدير خم من حجة ولا عذر». قال (الراوي): فلم يرَ بك ولا باكية كان أكثر من ذلك اليوم «وارتجت المدينة وهاج الناس وارتفعت الأصوات . .»<sup>(٣)</sup>.

وهل تنتهي أجواء نهاية الخطبة عند هذا الحد؟!!

إنها البداية التي ما تزال أمواج تفاعلاتها تتوالى . . رغم كل محاولات

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج ٢١٥/١٦.

(٢) الطبري، دلائل الإمامة بعدة أسانيد، ص ١٢٢ (ط. مؤسسة البعثة ١٤١٢هـ).

(٣) الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث ١٥٣٤ (موسوعة: الحديث الشريف، قرص

التحريف والتزييف . . اللذين في سياقهما نقرأ في صحيح الترمذي: « . . . أن فاطمة جاءت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما تسأل ميراثها من رسول الله ﷺ فقالا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: إني لا أورث، قالت: والله لا أكلمكما أبداً فماتت لا تكلمهما، قال علي بن عيسى . . معنى لا أكلمكما تعني في هذا الميراث أبداً، أنتما صادقان!!!»<sup>(١)</sup>.

وقبل أن أفف عند السبب الذي يدعو إلى التحايل على النص الصريح . . أذكر أن البخاري يروي في صحيحه ما يشكل رداً على ما تقدم حيث يقول:

«فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها (فدك) شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبو بكر»<sup>(٢)</sup>.

أما السبب في محاولات تحريف الكلم عن موضعه . . وقد سمعت نموذجاً منه وهو لكثرتة وأهميته موضوع كتاب مستقل . . فيرجع إلى . . عظمة الصديقة الكبرى ﷺ المتسالم عليها بين المسلمين وهي عظمة تبلغ إلى حد أن كلمة إدانة منها لشخص ما كائناً من كان . . ولسلطة ما كائنة ما كانت تكفي لنزع الشرعية عنهما وجعلهما في موقع الإدانة . . لا في قفص الاتهام وحسب . .

في هذا الجو . . وبهذه اللغة . . وهذا الأفق يجب أن توضع خطبة الصديقة الكبرى . . وتدرس . . وتفهم .

إن مكانة الصديقة الكبرى التي ثبتها الله تعالى على يد من ﴿ لا ينطق عن الهوى ﴾ . . جعلت الأمة عبر أجيالها كلها أمام حقيقة أن المتكلم في المسجد بعد وفاة رسول الله هو رسول الله تعالى، نفسه . . فالمتحدث هو بنصه ﷺ شجنة منه، وبضعة، وروحه التي بين جنبيه، من يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها . .

---

ليزري، إصدار «صخر».

(١) البخاري، صحيح البخاري، الحديث ٣٩١٣ (موسوعة الحديث الشريف).

(٢) الشيخ علي الأحمد، مواقف الشيعة، ص ٤٨٦. تجدر الإشارة أني اعتمدت في

تتلاشى القرون . . وتذوب . . ويبقى الموقف الفاطمي أكبر من كل الأجيال  
تستلهم سبيل الدخول إلى باب رسول الله من باب فاطمة!  
أرأيت مدى أهمية العلم بعظمة موقفها الإلهي المحمدي . . على عتبة «آداب  
ولايتها» عَلَيْهَا ومدى خطورة انتشار الجهل بذلك . .

## المحور الثاني :

ما ورد من كلام للصديقة الكبرى موجّه إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ .  
وسأورد النص بصيغته المختلفة . . مراعيًا التسلسل الزمني . . لتتم المقارنة  
بين الصيغ على هذا الأساس .

يظهر من كلام العالم الجليل والمحقق الثبت الشيخ الأحمدي رضوان الله  
تعالى عليه أن مصادر هذا النص تنحصر بعدد قليل من بين المصادر الكثيرة جداً  
الموزعة على المصادر الشيعية والسنية التي أوردت أصل خطبة الصديقة  
الكبرى عَلَيْهَا دون هذا النص، الذي ينقل عادة في ختام الخطبة .

يقول الشيخ الأحمدي : وأما كلامها مع علي عَلَيْهِ فقد نقله «الاحتجاج»  
كما مر و«المناقب» لابن شهر آشوب والشيخ في «الأمالي»، و«البحار» عن  
«الاحتجاج» و(عن) «كشف الغمة» و(عن) الشيخ رحمه الله <sup>(١)</sup> .

وهذا يعني أن الشيخ الأحمدي أعرض بحق عن النص المنسوب إلى السيد  
المرتضى عليه الرحمة لأنه وجد على هامش نسخة لكشف الغمة نقلت من خط  
المؤلف مكتفياً بالإشارة إلى أنه نقل عن نص بخط السيد المرتضى <sup>(٢)</sup> ، كما يعني

---

استخراج النصوص الإصدار الثالث من برنامج المعجم الفقهي بالإضافة إلى برامج «نور»  
الحديثية المختلفة وهناك موارد اختلاف متعددة بين نسخ الأمالي، إلا أن الفروق في  
المعنى ليست كبيرة، ويعزز نص الشيخ أن ولده الشيخ أبا علي أوردته عنه في أماليه،  
المجلس السابع بنفس الألفاظ تقريباً ما عدا تريدين بدلاً من ترزتين، وفوارق أخرى لا  
تذكر. انظر: النص برواية ابن الشيخ في نهج السعادة للمحمودي ٦٤/١ .

(١) المجلسي، بحار الأنوار ٣٩/٣١١ ويأتي في هذه الهوامش مزيد إيضاح .  
(٢) الشيخ الطوسي، الأمالي (ط. مؤسسة الوفاء، بيروت ١٤٠١هـ) ص ٦٩٤، مجلس ١٤

أن نص الشيخ الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠هـ) هو الأقدم، يليه نص الطبرسي في الاحتجاج (٥٦٠هـ) وبعدهما - في ما يبدو - نص المناقب (٥٨٨هـ) وقد أورد الشيخ الطوسي النص مسنداً في أماليه بالصيغة التالية:

عن (الإمام الصادق) جعفر بن محمد عليه السلام قال: لما انصرفت فاطمة عليها السلام من عند أبي بكر أقبلت على أمير المؤمنين عليه السلام فقالت: يا ابن أبي طالب اشتملت مشيمة الجنين وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل، فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافة قد ابتزني نحيلة أبي وبلغه ابني، والله لقد أجدد في ظلامي، وألد في خصامي حتى منعني قبيلة نصرها والمهاجرة وصلها، وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا مانع ولا دافع، خرجت والله كاظمة، وعدت راغمة، ليتني ولا خيار لي مت قبل زلتي وتوفيت قبل منيتي . . عذيري الله فيك حامياً، ومنك عادياً، ويلاه في كل شارق . . ويلاه مات المعتمد ووهن العضد، شكواي إلى ربي وعدواي إلى أبي اللهم أنت أشد قوة .

فأجابها أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويل لك بل الويل لشانك . . نهني من غربك يا بنت الصفوة وبقية النبوة فوالله ما ونيت في ديني، ولا أخطأت مقدوري، فإن كنت ترزئين البلغة فرزقك مضمون ولعلتك مأمون وما أعد لك خير مما قطع عنك فاحتسبي فقالت: حسبي الله ونعم الوكيل<sup>(١)</sup>.

وأما نص الاحتجاج فهو كما يلي: ثم انكفأت عليها السلام وأمير المؤمنين عليه السلام يتوقع رجوعها إليه ويتطلع طلوعها عليه فلما استقرت بها الدار قالت لأmir المؤمنين عليه السلام يا ابن أبي طالب اشتملت شملة الجنين وقعدت حجرة الظنين نقضت قادمة الأجدل فخانك ريش الأعزل هذا ابن أبي قحافة يبتزني نحلة أبي وبلغه ابني لقد أجهد في خصامي وألفيته ألد في كلامي حتى حبستني قبيلة نصرها والمهاجرة وصلها وغضت الجماعة دوني طرفها فلا دافع ولا مانع خرجت كاظمة وعدت راغمة أضرعت خدك يوم أضعت خدك افترست الذئاب وافترست التراب ما كفت قائلاً ولا أغنيت طائلاً ولا خيار لي ليتني مت قبل

شعبان .

(١) الطبرسي، الاحتجاج ١/١٤٥ - ١٤٦؛ وفي نسخة المعجم الفقهي، ص ١٠٧.

هنيتي ودون ذلتي عذيري الله منه عادياً ومنك حامياً ويلاي في كل شارق ويلاي في كل غارب مات العمدة ووهن العضد شكواي إلى أبي وعدواي إلى ربي اللهم إنك أشد منهم قوة وحولاً وأشد بأساً وتنكيلاً فقال أمير المؤمنين عليه السلام : لا ويل لك بل الويل لشانك ثم نهني عن وجدك يا ابنة الصفوة وبقية النبوة فما وثقت عن ديني ولا أخطأت مقدوري فإن كنت تريدين البلغة فرزقك مضمون وكفيلك مأمون وما أعدلك أفضل مما قطع عنك فاحتسبي الله .

فقال: حسبي الله وأمسكت<sup>(١)</sup> .

\* وأما نص المناقب فهو كما يلي :

« . . ولما انصرفت من عند أبي بكر أقبلت على أمير المؤمنين عليه السلام فقالت له : يا ابن أبي طالب اشتملت شملة الجنين وقعدت حجرة الظنين نقضت قادمة الأجل فخانك (كذا) ريش الأعزل هذا ابن أبي قحافة قد ابتزني نحيلة أبي وبلغه ابني والله لقد أجهد في ظلامتي وألذ في خصامي حتى منعتني القيلة (كذا) نصرها والمهاجرة وصلها وغضت الجماعة دوني طرفها فلا مانع ولا دافع خرجت والله كاظمة وعدت راغمة ولا خيار لي ليتني مت قبل ذلتي وتوفيت دون منيتي عذيري والله فيك حامياً ومنك داعياً ويلاه في كل شارق ويلاه مات العمدة ووهن العضد شكواي إلى ربي وعدواي إلى أبي اللهم أنت أشد قوة .

فأجابها أمير المؤمنين : لا ويل لك بل الويل لشانك نهني عن وجدك يا بنت الصفوة وبقية النبوة فوالله ما ونيت في ديني ولا أخطأت مقدوري فإن كنت تريدين البلغة فرزقك مضمون وكفيلك مأمون وما أعد لك خير مما قطع عنك فاحتسبي فقالت حسبي الله ونعم الوكيل<sup>(٢)</sup> .

ولدى المقارنة بين هذه الصيغ تستوقفنا الملاحظات التالية :

- أولاً : لا وجود لعبارات «أضرعت خدك يوم أضعت خدك، افترست الذئاب وافترشت التراب» في النص الأول ولا في الثالث .

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٢/٢٠٨ .

(٢) الشيخ الطوسي، الأمالي، ط. الوفاء، ص ٣٨٤ في حديثها عليها السلام مع نساء الأنصار .

- ثانياً: إن العبارات المذكورة بأمثال العرب أشبه .

- ثالثاً: أن وجود هذه العبارات بين قولها ﷺ «وعدت راغمة» وقولها ﷺ: «مَا كَفَفْتُ قَائِلاً . . .» يشكل قطعاً في سياق الكلام ويفسح المجال أمام جعل العبارات نفسها، وما بعدها «ما كَفَفْتُ إلخ» بصيغة المخاطب، بينما هي بدونها بصيغة المتكلم ما كَفَفْتُ إلخ

- رابعاً: تطرح الملاحظات المتقدمة تساؤلاً عما إذا كان قد تم إقحام هذه العبارات عمداً لإخراج الكلام في صورة استنكار الصديقة الكبرى سكوت أمير المؤمنين ﷺ وعمق «أذاها» من ذلك . . . وشدة «غضبها» لتخليه عنها وعدم المبادرة إلى نصرتها .

وتسأل: أليس سياق النص هو ذلك؟ ثم أليس في قولها ﷺ: يا ابن أبي طالب اشتملت شملة الجنين وقعدت حُجرة الظنين، نَقَضَتْ قادمة الأجل فخانك ريش الأعزل» كفاية للدلالة الواضحة على هذا المعنى؟

والجواب: أما أن سياق النص هو ذلك . . . فهو مرفوض جملة وتفصيلاً . . . والأدلة كما يلي:

- أولاً: ثبوت عصمتها بالأدلة القطعية . . . وهي تنافي المعصية . . . ونسبة أحد المعصومين المعصية إلى الآخر ينافي كونهما معاً معصومين، إذ إما أن تكون النسبة صحيحة فقد انتفت عصمة من نسبت إليه المعصية . . . وإما أن لا تكون صحيحة فقد انتفت عصمة من نسب المعصية إلى من لا يعصي .

- ثانياً: إن حمل كلامها ﷺ على هذا المعنى (نسبة المعصية التعنيف، والتقريع) يتنافى مع أصل ثابت، واضح وضوح الشمس في رابعة النهار . . . وهو علم الزهراء ﷺ قبل وفاة المصطفى ﷺ بمآل الأمور . . . بدءاً من الانقلاب على الأعقاب، إلى استضعاف أهل البيت ﷺ، وصولاً إلى ما يجري على ذريتها عبر القرون . . . إن حمل كلامها ﷺ على هذا المعنى . . . يظهرها في صورة من تهالكت على ميراث . . . فحرمته . . . فأخرجها ذلك عن طورها، فتجاوزت كل الحدود (والعياذ بالله تعالى) مع أن حقيقة موقفها ﷺ الانتصار لعلّي ﷺ . . . وما فدك إلا عنوان لذلك .

- ثالثاً: يكشف التأمل في النصوص المتعددة التي صدرت عنها عليه السلام في سياق مواجهة الانقلاب على الأعقاب بدءاً من خطبتها في المسجد النبوي، مروراً بخطابها للنساء عند زيارتهن لها. . وصولاً إلى دفاعها الصريح عن مطالبة علي عليه السلام بحقه وعن عدم التصدي لموجة الانقلاب كما سيأتي. . أن الصديقة الكبرى لم تشكك أبداً في موقفه عليهما صلوات الرحمن. . . وأنها كانت تعلم علم اليقين أن الخذلان مسيطر. . والغدر غامر. . ولن يجدي الموقف شيئاً إلا «نفثة الصدر، وتقدمة الحجّة» لهم وللأجيال. .

كما تظهر هذه النصوص بكل جلاء أنها كانت تعيش اللوعة لغربة أبي الحسن عليه السلام وهي ترى شراسة النعمة عليه رغم كونه «مكدوداً في ذات الله» كل ذنبه أنه كان يقي رسول الله ﷺ والوحي والتنزيل بنفسه «كلما فغرت فاغرة للشرك فاهما قذف أخاه في لهواتها».

«وما الذي نقموا من أبي الحسن نقموا منه والله نكير سيفه وتنمره في ذات الله» والنصوص بين يديك فاستعرضها تجد المزيد. . ولا يفوتنك وصفها إياه عليه السلام بأنه «قواعد الرسالة ورواسي النبوة ومهبط الروح الأمين والطيبين (ب) أمر الدنيا والدين والآخرة»<sup>(١)</sup>، إلا أن ثمة نصاً تجدر الوقفة عنده بالتفصيل: عن محمود بن ليبيد (وهو ممن يروي عنهم الواقدي بواسطة واحدة) قال: لما قبض رسول الله ﷺ كانت فاطمة عليها السلام تأتي قبور الشهداء وتأتي قبر حمزة فوجدتها عليها السلام تبكي هناك فأمهلتها حتى سكنت فأتيها وسلمت عليها وقلت: يا سيدة النسوان قد والله قطعت نياط قلبي من بكائك فقالت: يا أبا عمرو لحق لي البكاء فقد أصبت بخير الآباء رسول الله ﷺ واشوقاه إلى رسول الله ثم أنشأت عليها السلام تقول:

إذا مات يوماً ميت قل ذكره وذكر أبي مذ مات والله أكثر  
قلت: يا سيدتي إنني سائلك عن مسألة تتلجلج في صدري قالت: سل.  
قلت: هل نص رسول الله ﷺ على علي بالإمامة؟ قالت: واعجباً أنسيتم يوم

(١) المجلسي، بحار الأنوار ٣٦/٣٥٢، والمراد بالبحور بعد الكور النقصان بعد الزيادة.

غدير خم؟! قلت: قد كان ذلك.. ولكن أخبريني بما أشير إليك، قالت: أشهد الله تعالى لقد سمعته يقول: «علي خير من أخلفه فيكم وهو الإمام والخليفة بعدي وسبطاي وتسعة من صلب الحسين أئمة أبرار لئن اتبعتموهم وجدتموهم هادين مهديين ولئن خالفتموهم ليكون الاختلاف فيكم إلى يوم القيامة..».

قلت: يا سيدتي فما باله قعد عن حقه؟ قالت: «يا أبا عمرو لقد قال رسول الله ﷺ: مثل الإمام مثل الكعبة إذ تؤتى ولا تأتي (أو قالت مثل علي) ثم قالت: أما والله لو تركوا الحق على أهله واتبعوا عتره نبيه لما اختلف في الله اثنان ولورثها سلف عن سلف وخلف بعد خلف حتى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين ولكن قدموا من آخره الله وأخروا من قدمه الله حتى إذا أُلحدوا المبعوث وأودعوه الجَدث المجدوث اختاروا بشهوتهم وعملوا بأرائهم تبا لهم أولم يسمعوا الله يقول: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾ بل سمعوا ولكنهم كما قال الله سبحانه: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ هيهات بسطوا في الدنيا آمالهم ونسوا آجالهم فتعسأ لهم وأضل أعمالهم، أعوذ بك يا رب من الحَوْر بعد الكَوْر»<sup>(١)</sup>.

فهل ينسجم مع هذه المواقف المتعددة التي هي من نسق واحد.. شديد الوضوح قوي الحجة.. حمل كلامها مع الأمير عليه السلام على معنى التوبيخ والتقريع؟

- رابعاً: إذا تأملنا الخارطة التي رسمها الوضعون بوحى من البلاط.. سنجد أن من أبرز معالمها طمس معالم ما يدل على أذى القوم للصديقة الكبرى.. وغضبها عليهم.. لأن بقاء ذلك واضحاً يعني بكل بساطة.. امتلاك خط الإمامة لأقوى الأدلة وأقصرها.. وأخطرها.. وهو كما يلي: هذا أذى الصديقة الكبرى ومن آذاها أذى رسول الله ﷺ.. والله تعالى يقول: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً﴾ [الأحزاب: ٥٧].

من هنا حرصت حركة الوضع في سياق سياستها التنفيذية لهذا الخط الأبرز

المصدر، ص ٣٥٤.

(١) المجلسي، بحار الأنوار ١٤٦/٤٣ - ١٤٧.

على نفث سمومها عبر اختلاق موارد (تثيت) أذية أمير المؤمنين للصدّيقة عليها السلام (والعياذ بالله تعالى) ذلك أنه إن لم يكن بالإمكان إخفاء معالم الجريمة . . فليتم إذاً توسعة نطاقها . . ليتحول من يريد أن يتصدى للإدانة إلى متهم! . .

وما أكثر النصوص التي تصب في هذا الهدف الشيطاني . . وأكثر منها النصوص التي نعمل إلى تفسيراتها السطحية الواهية فنتبناها وننشرها - ربما تحت تأثير الفهم الخاطيء لبشرية المعصوم - أذكر منها هنا نموذجاً . . يتضح منه حال الباقي :

جاء في البحار: كان بين علي وفاطمة عليهما السلام كلام فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وألقى له مثال (فراش) فاضطجع عليه فجاءت فاطمة عليها السلام فاضطجعت من جانب وجاء علي عليه السلام فاضطجع من جانب قال: فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله يد علي فوضعها على سرتة وأخذ يد فاطمة فوضعها على سرتة فلم يزل حتى أصلح بينهما ثم خرج، فقيل له: يا رسول الله دخلت وأنت على حال وخرجت ونحن نرى البشرى في وجهك؟ قال: وما يمنعني وقد أصلحت بين اثنين أحب من علي وجه الأرض إلي .

أضاف المجلسي رحمته الله: قال الصدوق رحمته الله: ليس هذا الخبر عندي بمعتمد ولا هولي بمعتقد في هذه العلة لأن علياً وفاطمة عليهما السلام ما كانا ليقع بينهما كلام يحتاج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإصلاح بينهما لأنه عليهما السلام سيد الوصيين وهي سيدة نساء العالمين مقتديان بنبي الله صلى الله عليه وآله في حسن الخلق<sup>(١)</sup>.

هذا نموذج من فيض من الروايات المشابهة . . وكلام الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه نموذج للتعامل مع النص حين يدل بظاهره على ما ينافي الثوابت . . فلا يمكن قبوله، لهذا التنافي . . كما لا يمكن رده لمجرد الاستغراب . . ويمكن التوقف فيه . . ورفض الدلالة الظاهرية . . بحثاً عن مكنون دلالاته . . لذا تجد الشيخ الصدوق قيّد رفضه لهذا الحديث بقيد (في هذه العلة) كما هو واضح .

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار ٣٩/٣١٦، وينبغي التأمل في أصل «رواية السيد» فهو

على هذا الأساس ينبغي أن نتعامل مع النص الذي نحن بصدده وكلام الصديقة الكبرى مع أمير المؤمنين عليه السلام فهو - كما تقدم - ينافي الثوابت إذا أخذنا بتفسيره الشائع من كونه (تعنيفاً) والعياذ بالله تعالى للأمير عليه السلام فينبغي أن يردد كل منّا مع الشيخ الصدوق: ليس هذا الخبر عندي بمعتمد ولا هو لي بمعتقد في هذه العلة، وبناءً على هذا التفسير . .

يعزز ذلك بدهامة حرص الوضاعين على التسلل إلى نصوص التصدي للانقلاب على الأعقاب ولو بطريقة إضافة عبارة أو عبارات هي بالمثل أشبه . . مما يجعل إمكانية انسجامها مع النص أكبر . . وإمكانية التنبيه لها أقل . . وهو ما يبدو أنه حصل عبر إقحام «أضرعت خدك . . يوم أضعت خدك، افترست الذئاب وافترست التراب» في النص - والله تعالى العالم - علماً بأن ثمة تفسيراً حتى لهذه العبارات . . يخرجها من دائرة التقريع . . كما سيأتي .

- خامساً: وأما السؤال حول الفرق بين هذه العبارات وبين ما ورد في أول النص: «يا ابن أبي طالب إلى حجرة الظنين» . . فالجواب عنه أن عبارات أول النص يمكن حملها بمنتهى اليسر على محمل تعاطف الصديقة مع الأمير عليه السلام . . والتفجع لغربته . . وبثه الشكوى وأما العبارات الأخيرة فليست كذلك لخصوصية دلالة «أضرعت خدك يوم أضعت خدك» بشكل خاص، على أنها رغم ذلك يمكن أن تفسر بما يخرجها من هذا النطاق كلياً . . كما مرت الإشارة . . ويأتي التوضيح .

- سادساً: ورغم كل ما تقدم وبناءً على أن النص صدر بهذه الصيغة مع العبارات الأمثالية الأخيرة . . فإن بالإمكان القول إن الصديقة الكبرى لم تصدر في كلامها مع الأمير عليه السلام من جو نفسي عاتب . . فضلاً عن أن يكون غاضباً . . والدليل على ذلك أمور:

أولاً: أنها عندما سمعت جوابه وقوله لها فاحتسبي . . قالت: حسبني الله ونعم الوكيل وفي بعض المصادر إضافة «وأمسكت» وهو ما لا يمكن فهمه إلا على أساس أن الجو كان جو بث الشكوى مما جرى عليهما معاً . . وعليه بشكل خاص . .

ثانياً: كلامها عنه عليه السلام في المسجد . وبعده سواءً في حديثها مع النساء، أو الزرقبي، أو ابن لبيد كما تقدم . . وحمل كلام على لون خاص يتنافى مع كلام قبله وكلام بعده، لشخص واحد ينسجم مع غير شخصية المعصوم كما لا يخفى .

ثالثاً: إن الهدف من كلامهما عليهما السلام ونقله للأجيال عبر الإمام الصادق عليه السلام كما رواه الشيخ الطوسي رحمهما الله إثبات حقيقة موقفيهما سلام الله عليهما . فالصديقة العالمة بالتحريف الذي سيجهد الكثيرون أنفسهم لطمس الحقيقة بغباره وركامه . . كانت تريد أن تقول: «والله لقد أجهد (أجدد) في ظلامتي وألدد في خصامي»، والأمير العالم بالتساؤل المُلح آنذاك وفي كل عصر حول سبب عدم تصديه مهما كانت النتائج يريد أن يقول: «فوالله ما ونيت في ديني . . ولا أخطأت مقدوري» بمعنى أن الله أمراً هو بالغه ﴿وكان أمر الله قادراً مقدوراً﴾ فالتكليف الإلهي يفرض هذا الموقف .

رابعاً: إن إسقاط التعنيف والتوبيخ على النص هو الذي يجعلنا نفهمه بما ينسجم معهما . . وقد عرفت أن كلام الصديقة الكبرى قبل هذا النص وبعده لا يسمح لنا بهذا الإسقاط . . فلنحاول أن نقرأ نصها عليها السلام معاً على أساس أنه صادر من منطق التعاطف والتفجع لغربته . . وبث الشكوى إلى الله تعالى: فإذا رأينا إمكانية ذلك . . أقررنا بخطأ التفسير القائم على أساس إسقاط لا مبرر له حيث لا تساعده الثوابت . . ولا الأجواء التي تكشف عنها النصوص المختلفة للصديقة عليها السلام حول هذه الواقعة . . ولتكن القراءة هكذا:

١ - يا ابن أبي طالب اشتملت شملة (مشيمة) الجنين وقعدت حجرة الظنين . . كأنها تقول أسفي لما حل بك جراء تنكب القوم وصية رسول الله ﷺ وانقلابهم على أعقابهم فإذا بك في عزلة بعد أن كنت في صلب الأحداث . .

٢ - نقضت قادمة الأجدل . . فخاتك (فخانك) ريش الأعزل . . تاريخك الجهادي لا يُشقُّ له غبار أمسكت بالصقر فجردته من سلاحه (ريشه الذي يطير به) فانقض عليك (فخاتك - بالتاء - وهو الصحيح لا خانك، راجع المصادر اللغوية: يخوتون خوت الأجدل) انقض عليك ريش الطائر الذي ليس بصقر لقد تصدّيت

لأقوى الأبطال فجدلتهم . . . واليوم يتجرأ عليك هؤلاء «العُرُل» الذين لم يكونوا يحلمون أن تواتيهم مثل هذا الفرصة . . . أما معنى قولها :

هذا ابن أبي قحافة إلى قولها فلأما مانع ولا دافع . . . فهو واضح .

٣ - ثم يأتي قولها عَلَيْهِ السَّلَامُ : خرجت والله كاظمة وعدت راغمة . . . وهنا تُظهر المقارنة بين نص الشيخ الطوسي من جهة ونصي الاحتجاج والمناقب من جهة أخرى نقطةً شديدة الأهمية وتتضح عندما نقرأ النص بالروايتين وسأختار مع رواية الشيخ رواية الاحتجاج لأنقل منهما هذا الشرط من النص بروايته :

أ - في الاحتجاج : خرجت والله كاظمة وعدت راغمة «أضرعت خدك يوم أضعت خدك، افترست الذئب وافترشت التراب، ما كفت قائلاً ولا أغنيت طائلاً» . . . ولا خيار لي ليتني مت قبل هنيئتي ودون ذلتي . . .» .

ب - في أمالي الشيخ : «خرجت والله كاظمة وعدت راغمة، ليتني ولا خيار لي مت قبل ذلتي وتوفيت قبل منيتي . . .» .

والملاحظة الشديدة الأهمية أن ثمة ثلاث عبارات - هي التي تقدم ذكر احتمال إقحامها اعترضت كلاماً مترابطاً تتحدث الصديقة فيه عن حالتها . . . وظلامتها، بينما العبارات الثلاث - لا يمكن تفسير الأوليين منها إلا بكونه خطاباً لآخر (يأتي مزيد إيضاح) بينما يمكن قراءة الثالثة بصيغتي المتكلم والمخاطب ما كفتُ قائلاً . . . أو ما كفتَ قائلاً . . . إلخ . ولا معنى للانتقال من حديثها عَلَيْهِ السَّلَامُ عن حالتها . . . إلى الحديث عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم ترجع إلى الحديث عن ظلامتها علماً بأنه لا يتعين حمل عبارة افترست الذئب وافترشت التراب على التوبيخ بل يمكن حملها بيسر على ما تقدّم في معنى «اشتملت شملة (مشيمة) الجنين . . . إلخ . . . من التعاطف مع الأمير والتفجع لغربته . . .» .

أما تعبير أضرعت خدك يوم أضعت خدك فهو التعبير الوحيد الذي يقوى فيه احتمال التعنيف جداً . . . حيث أنه يحمل مسؤولية إضراع الخد - وهو الذل - بسبب إضاعة الحد . . . وهو بمعنى ترك السيف، ويكون المراد بالحد حد السيف . . . ، أو القبول بالتنازل عن الحق الذي هو الحد، إلا أنه لا مبرر للجزم بكونه محض خطاب للأمير عَلَيْهِ السَّلَامُ وبالتالي لا مبرر لحصر تفسيره بمعنى التبريع . . . فإن ذكر

المثال أو الكلام الذي يخرج على صورة المثال في مطاوي الكلام أمر معروف جداً جودة وكثرة . . . وكثيراً ما يكون المتكلم يقصد نفسه . . . أو ما يشمله وغيره . . . وقليلاً ما يكون المقصود هو المخاطب . . .

وعليه فإن بالإمكان جداً احتمال كون مراد الصديقة الكبرى عليها السلام - على فرض صدور هذه العبارات منها وعدم كونها مقحمة لحاجة في نفس الجاحظ وأمثاله - أضرعنا خدنا يوم أضرعنا حدنا . . . افترسنا الذئاب وافترشنا التراب . . . أي أنه كان علينا أن نخطط لمواجهة هذا اليوم . . . عندما كانت الأمور مستوسقة وثبتت الوسادة لنا . . . إلا أن هذا التفسير يتعارض مع الثابت من عصمة المصطفى صلى الله عليه وآله . . . وعصمتها هي وعصمة أمير المؤمنين عليهما السلام . . . غير أن هناك تفسيراً آخر أيضاً لا ينطوي على هذا المحذور وهو نفس هذا التفسير المتقدم مع عدم الاعتراض منها عليها السلام على أن المصلحة تقتضي ذلك . . . إلا أنها تريد أن تسجل للأجيال أن الذي جعل هؤلاء يقدمون على ما أقدموا عليه . . . هو أن تلكيفنا الشرعي اقتضى المداراة وإضاعة الحد . . . وهذا هو الذي أضرع خدنا اليوم أو أضرع حدنا الذي هو حقناً، أو نصيبنا . . . بناءً على أن الكلمة «جدك» بمعنى الحظ والنصيب . . .

وعليه فتكون عليها السلام بصدد تقرير حقيقة دون أدنى اعتراض على المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله أو على الأمير وعليها عليها السلام . . . وهو معنى معقول جداً . . . بل هو المتعين على فرض صدور هذه العبارات منها . . . ولا أقل من أن يعترف المكابر أنه احتمال وجيه . . . وإذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال كما هو واضح فلا مجال للقول الشنيع . . . بأنها كانت في معرض تعنيف الأمير . والعياذ بالله تعالى .

ويقوي احتمال كون هذه العبارات دخيلة أنها لم ترد في النص الأقدم الذي يرويه الشيخ الطوسي بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام إلا أن يكون قد وقع تصحيف في العبارة يخرجها من معناها . . . لا سيما وأن هذه العبارة بالخصوص وردت برواية السيد المرتضى هكذا: أضرعت جدك (بالجيم) يوم أضرعت (بالصاد) خدك<sup>(١)</sup> (بالخاء) . . .

---

رضوان الله تعالى عليه لم يورد هذا النص حين أورد الخطبة في الشافي ولا في (=) غيره من كتبه . . . كل ما في الأمر أن العلامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه وجد نصاً

وقد عرفت أن الإصرار على القول بصدورها منها عليه السلام ، وبأية صيغة كانت . . لا يقدم أي مبرر لكون هذه العبارات تعنيفية . . .

٤ - وأما «المثل» الرابع: عذيري الله إلخ . . فهو برواية الاحتجاج: عذيري الله منه عادياً ومنك حامياً وأما برواية الشيخ في الأمالي فهو «عذيري الله فيك حامياً ومنك عادياً» وهو المورد الوحيد - فيما يبدو - الذي ترجح فيه كفة رواية الاحتجاج على رواية الشيخ . . ولعل سبب ذلك هو التصحيف، فالعادي أي المعتدي هو من منع الزهراء عليها السلام حقها . . وأقصى ما يمكن أن يلام به الأمير عليه السلام - دون حق - هو التقصير - لا سمح الله - في حقها . . فمن الطبيعي جداً أن يكون التعبير عذيري الله فيك أو منك حامياً ومنه عادياً، أو عذيري الله منه عادياً ومنك (أو فيك) حامياً.

وبالرجوع إلى كتب اللغة يتضح أن معنى عذيري الله منه عادياً ومنك حامياً يعذرني الله منه في موقفه منه لكونه معتدياً إلى هذا الحد ويعذرني في موقفه منك لكونك حامياً لي ومدافعاً عني ولم تقم بحق الحماية . . وبعبارة أخرى يعذرني الله لموقفه من هذا العدوان . . وهذه الحماية . .

---

منسوبة إلى السيد المرتضى فأورده للأمانة العلمية . . قال عليه الرحمة: أقول: وجدت في نسخة قديمة لكشف الغمة منقولاً من خط المصنف مكتوباً على هامشها بعد إيراد خطبتها صلوات الله عليها ما هذا لفظه: وُجد بخط السيد المرتضى علم الهدى الموسوي قدس الله روحه أنه لما خرجت فاطمة عليها السلام من عند أبي بكر . . حين ردها عن فذك استقبلها أمير المؤمنين عليه السلام فجعلت تعنفه . . ثم قالت: اشتملت . . إلى آخر كلامها عليها السلام (البحار ٣٩/٣١١).

والواقع أن النص المنسوب إلى السيد عليه السلام يقوي احتمال الدس في النص والإقحام فيه - على الأقل - فليس من الصعب الحصول على نسخة من كشف الغمة وكتابة نص عليها بأية صيغة ونسبته إلى السيد وبيعه للوراق ليقع في يد من قد ينقل هذا النص فيحصل اللبس والتشويش، وإذا لاحظنا بعض الفوارق بين النص المنسوب إلى السيد وبين نص الأمالي اتضح ما ذكرته بما لا مزيد عليه . . فقد استبدل تعبير افترست الذئاب وافترشت التراب بتعبير مستهجن وهو: وتوسدت الورا كالوزغ، ومَسَّتْك الهناة والنزغ . . اللعة البيضاء، للتبريزي الأنصاري، ص ٧٣٣؛ والبحار ٣٩/٢١٧.

أما إذا كانت العبارة: عذيري الله فيك حامياً ومنه عادياً أو منه عادياً وفيك حامياً - على فرض الصدور - فهو يعذرني الله لتقصيري في موقفني منه وهو المعتدي، وتقصيري فيك وأنت الحامي .

والاختلاف في المعنى ناشئ من وجود (منك) في الحديث عن المعتدي و(فيك) في الحديث عن الحامي وهذا المعنى نص في المطلوب ينسجم مع الخطبة ومع كلامها عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدها . . وإنما قلت إنه «نص في المطلوب» باعتبار أن القدر المتيقن من المعنى هو اعتبارها الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ حامياً . . والطرف الآخر عادياً . . وما عدا ذلك من دلالات «عذيري الله» يمكن تفسيره بما لا ينافي هذا القدر المتيقن . . كأن يقال مثلاً ليعذرني الله فيك وأنت الحامي . . ولكن أية حماية تستطيع القيام بها وأنت مأمور بالصبر فينسجم المعنى مع التفجع دون أدنى تكلف .

على أن من الأهمية بجدارة التنبه إلى أن بالأمكان حمل هذه الفقرة برواية الشيخ على معنى آخر مختلف جذرياً لا تشوبه أية شائبة، وذلك بحمل (حامياً) على كونها حالاً من ضمير المتكلم في (عذيري) ومبرر هذا الحمل أن اسم الفاعل يأتي وصفاً للمذكر والمؤنث على حد سواء، ف(حامياً) هنا بمعنى (حامية) كما يطلق (النائب) و(القاضي) ويراد بهما المرأة النائب والمرأة القاضي، وحمل (عادياً) على العدوان بحق لوجود القرينة، كما في قوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾ فإن للأمير الحق على فرض تقصيرها عليهما صلوات الرحمن (وفرض المستحيل غير مستحيل) أن يكون في موقع المطالب لها بحقه، المستعدي لها وعليها فيكون المعنى: أسأل الله أن يعذرني إن كنت قد قصرت في حمايتك وقد تصدبت لها في موقفني في المسجد، وأسأله أن يعذرني إذا أردت مطالبتي بهذا التقصير، فتستعديني بحق لتقصيري . وهو معنى ينسجم تمام الانسجام مع التفجع لغرته عليه صلوات الرحمن، كما ينسجم مع ما يفترض أن تقوله بعد رجوعها من المسجد، وينسجم كذلك مع عبارات ما كفتُ قائلاً ولا أغنيُ طائلاً .

٥ - وتجدر الوقفة عند الفرق الأخير بين رواية الشيخ وغيره حول «البلغة»

فهو برواية الشيخ، فإن كنت ترزئين البلغة فرزقك مضمون . . . ورواية غيره: فإن كنت تريدين البلغة إلخ . . . والفرق بينهما كبير واضح يرجح رواية الشيخ والتي أكدها نقل ابنه عنه في أماليه أيضاً فلاحظ .

نستنتج من كل ما تقدم: أنه لا يصح أن ينسب إلى الصديقة الكبرى ما ينافي عصمتها وعصمة الأمير عليه السلام، كما لا يصح أن ينسب إليهما ما يتنافى مع سلامة موقفهما معاً بعد وفاة الرسول ﷺ وتفهم كل منهما موقف الآخر لاختلاف التكليف بينهما، فلا يصح إذاً أن ينسب إلى الصديقة ما يكشف عن «تظلمها» من الأمير عليه السلام ويجب أن يضرب بعرض الحائط الزخرف الذي نتج عن وضع الموضوعين أو تصحيف الناسخين . . . لتبقى الحقيقة التي لا يشوبها أدنى شك أن الصديقة الكبرى عليها السلام كما صرحت بذلك كانت ترى الظلم الحقيقي في ظلم علي عليه السلام حقه الإلهي ولم تكن ظلامه فدك لتصلح أكثر من شاهد على ما بلغه القوم، ويغلب على الظن أن «المثل» أضرعت خدك يوم أضرعت خدك تم إقحامه في الكلام كما يغلب على الظن بدرجة تالية أن «أمثالا» أخرى تم إقحامها في النص أيضاً . . . إذ من الملفت اشتغال نص قصير نسبياً على هذا الكم من «الأمثال» . . . وإن كان بالوسع تفسير جميع ذلك تعاطفاً مع المولى وتفجّعاً لغرته عليه السلام . . . كما تقدم بالتفصيل . . . ولولا اعتبار السند الذي ذكره الشيخ الطوسي في الأمالي لهذا النص . . . لما كان ثمة مبرر لهذا التدقيق . والله تعالى العالم وهو الهادي سواء السبيل .



## حقائق فاطمية

في ختام هذه الجولة على أعتاب الصديقة الكبرى . . أقدم تلخيصاً على شكل نقاط مختصرة . . لأهم المفاسل التي يجب التنبه لها . . في مجال ولايتها عليها صلوات الرحمن .

١ - ينبغي فهم ما روي عن رسول الله ﷺ حول الصديقة الكبرى . . باعتباره جميعاً يتلخص في معنى : «فاطمة مني وأنا منها» وهو يعني : «فاطمة هي أنا» . . وكذلك ما روي عنه ﷺ حول سائر المعصومين عليهم السلام ، فقد ثبت لهم ما ثبت له باستثناء النبوة .

٢ - وهذا يعني أيضاً أن البحث عن عظمة الصديقة الكبرى عليها السلام - أو أي من الأئمة عليهم السلام - يجب أن يكون في ثنايا عظمة المصطفى الحبيب ﷺ ، وفي الصميم .

٣ - إن موقع الصديقة الكبرى عليها صلوات الرحمن . . من منظومة المعصومين الأربعة عشر، موقع مميز . . وهو ما يحتم إعادة النظر في ما ندعيه من معرفتها عليها السلام كما يحتم بذل الجهد الدائم بهدف الوصول إلى «حق المعرفة» انطلاقاً من كونهم عليهم السلام الأدلاء إلى الله تعالى ومن أراد الله بدأ بهم .

٤ - وانطلاقاً من هذه المكانة، فليس البحث عن أي شأن يرتبط بظلامتها مجرد بحث تاريخي . . وإنما هو في جوهره بحث عقائدي . . وإن تمظهر بالبحث التاريخي . .

٥ - الاستغراب، والإسقاط، والتحييد، والتشكيك، مفردات لا علاقة لها بالمنهج العلمي . . وعندما تلامس عتبة العقائد، فهي شديدة الخطورة . . فكيف إذا أوغلت .

٦ - نور فاطمة، ومصحف فاطمة، وباب فاطمة، وقبر فاطمة وخطبتها في المسجد، من الحقائق الفاطمية التي هي مجال لأدق الأبحاث العلمية المعمّقة. . فلا يصح لأي كان الخوض فيها. . كما لا يصح أن يتم تناولها بمعلومات محدودة. . أو أبحاث مجتزأة. . ولا يرضي الصّديقة الكبرى أن ندافع عن هذه الحقائق بالشتائم، بل يقتضي الواجب اعتماد البحث العلمي بأبعاده المختلفة، التاريخية التي أنجزت بجدارة، والعقائدية، والسياسية، والمنهجية. . وغيرها. . وليس الخلاف في الحقائق الفاطمية عبارة عن خلاف بين الحداثة والتخلف. . أو الاستنارة والرجعية بل هو خلاف بين وهم الحداثة. . ووهم الاستنارة وبين الأصالة وسلامة المعتقد. . إنه خلاف منهجي بين المنهج العقلي العلمي. . وما يظن أنه منهج. . ولا حداثة ولا استنارة إلا حيث يقوم الدليل العلمي ويطبق المنهج السليم. . الحداثة في حسن إسلام العالم وجودة فهمه للأصالة كما هي وسلامة التزامها في المسار العملي، وما عدا ذلك أسوأ بكثير من أن نمن على الله تعالى بإسلامنا، إنه منّ عليه عز وجل بإسباغ وهم الحداثة الذي أفرزه أسن الحمأ المسنون، على هذا النص المتخلف! والعياذ بالله تعالى.

حداثة الآلة للمختبرات ولا علاقة لها بحداثة الفكرة والمنهج. . وأساليب التطبيق من عالم الفكر لا الآلة، وكما لم يخلق الله تعالى الكون عبثاً فلم يرسل الأنبياء ولم يقم الأوصياء حججاً ليخوضوا - معاذ الله تعالى - في التخلف والرجعية، ويتركوا العقل والتحضر والحداثة والتجدد لإمعات مثلنا ينطبق عليها قوله عز وجل ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾. . إن أشع مظاهر التخلف وأشدها قبحاً هو البحث عن الحداثة (في الفكر) خارج حدود الأصالة.

٧ - للمصطلحات دور هام في نشر الثقافة. . من هنا وجب التنبّه إلى أضرار استعمال مصطلح «الخطبة الفدكية» وهي في الحقيقة خطبة الخلافة الإلهية. . والرد على الانقلاب على الأعقاب. . ولئن كانت التقيّة تبرر استعمال هذا المصطلح سابقاً. . فلا مبرر له الآن.

٨ - وفي هذا السياق ينبغي التنبيه لخطورة نشر التفسير الخاطيء للمصطلح، كما هو الأمر بالنسبة لمصطلح «أم أبيها» حيث يتحدث الكثيرون عنه بما يجعله دون مصطلح «أم المؤمنين» الذي اتُخذ ستاراً لحرب علي عليه السلام في عصره وفي كل عصر. . . مع أن مصطلح «أم أبيها» أعظم منه دلالة ووظيفة. . . ورغم ذلك فنحن نحصره في دائرة أنها عليها السلام منحت أباهما الحنان بعد وفاة أمها. . . رضوان الله تعالى عليها. . .

٩ - لا تناقض بين الحديث عن ظلامه الصديقة الكبرى عليها السلام. . . وبين وجوب رعاية مبدأ الوحدة الإسلامية المقدس. . . شرط أن يبقى الحديث عن الظلامه علمياً. . . منزهاً عن الأساليب المبتذلة. . . ومن أغضبه حتى البحث العلمي الذي يحرص على أن يظل في دائرة الضرورة. . . فهو مدعو إلى إعادة النظر في معنى الوحدة الإسلامية، التي تعني التوحد على أساس الحقيقة والتي تعني أن هناك فريقين. . . لكل منهما حق البحث العلمي في خصوصياته حريصاً على عدم استشارة الآخر.

١٠ - تمس الحاجة في باب الوصول إلى الحقائق الفاطمية. . . وكل حقائق الإسلام. . . إلى أبحاث منهجية ترسم معالم المنهج الذي يجب اتباعه. . . ويشكل التوفر على هذا النوع من الأبحاث المدخل الوحيد الذي يمكن من الوصول إلى نتائج ملزمة تخرجنا من دوامةٍ نعرف كيف تبدأ. . . ولا نعرف أين تنتهي. . .

والحمد لله رب العالمين.